



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

تمثلات الحرب في روايات نجم والي

رسالة تقدّمت بها

سرى هيبّيت حميد الصافندي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها /أدب

بإشراف

الأستاذ الدكتور

عبد الأمير مطر فيلي

٢٠٢٤ م

١٤٤٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ

فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

المائدة الآية ٦٤

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (تمثلات الحرب في روايات نجم والي) المقدمة من الطالبة (سرى هيبب حميد الصافندي) قد جرى تحت إشرافي، جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها /أدب .



الإمضاء

أ.د. عبد الأمير مطر فيلي

التاريخ: ١٤/٢٧/٢٠٢٣ م

بناء على التوصيات المقدمة أشرح هذه الرسالة للمناقشة



الإمضاء

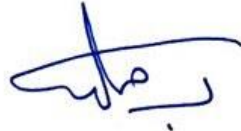
أ. د . ليث قابل الوائلي

(رئيس قسم اللغة العربية)

التاريخ: ٢١/١٢/٢٠٢٣ م

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا قد اطلعنا على الرسالة الموسومة (تمثلات الحرب في روايات نجم والي)، التي قدمتها الطالبة (سرى هيبب حميد الصافندي)، وناقشناها في محتوياتها وفي ماله علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول بتقدير (جيد جداً) لنيل درجة الماجستير باللغة العربية وآدابها / أدب .



الإمضاء

الاسم: أ.د. محمد عبد الرسول

عضواً

التاريخ: ٢٠٢٤ / ٣ / ١٩



الإمضاء

الاسم: أ.د. محمد حسين علي حسين

رئيس اللجنة

التاريخ: ٢٠٢٤ / ٣ / ١٩



الإمضاء

الاسم: أ.د. عبد الأمير مطر فيلي

عضواً ومشرفاً

التاريخ: ٢٠٢٤ / ٣ / ١٩



الإمضاء

الاسم: أ.م.د. وسام محمد منشد

عضواً

التاريخ: ٢٠٢٤ / ٣ / ١٩

صادق مجلس كلية التربية على قرار لجنة لمناقشة .



الإمضاء

الاسم: أ.د. صباح واجد علي

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء

التاريخ: ٢٠٢٤ / ٤ / ٢٧

الإهداء

إلى ضحايا الحروب..

أولاً

إلى الناجين من الحروب

ثانياً

” أنا أكتب تاريخ الجحيم العراقي ”

نجم والي / لقاء تلفزيوني / شتاء ٢٠٢١

شكرو عرفان

افتتح كلمات الشكر الجزيل بشكر خالقي الذي انعم عليّ بنعمه الكثيرة وأفضاله العظيمة ، أشكر مستحقي الشكر ومنهم السيد عميد كليتنا المحترم أ.د صباح واجد والسيد رئيس قسم اللغة العربية في كليتنا أ.د ليث قابل الذي غمرنا بعطفه و رعايته، ومقرر القسم الدكتور محمد عبد الرسول الذي تشرفت بالتلمذ على يديه الكريمتين في مرحلة دراستي الأولية ثم مرحلة الدراسات العليا وعرفته ناصحا ومرشدا حريصا على طلبته لا يبخل في إهداء النصيحة فله مني الشكر الجزيل على ما تقدم من كرمه ولطفه .

سأبقى مَدِينَةً لأستاذي المشرف أ.د عبد الأمير مطر فيلي المحترم الذي كان لي نعم الوجه في رحلة بحثي هذه ، فكان النبراس الذي به أهتدي كلما حلكتُ رحلة بحثي ، فكان البوصلة التي ترشدني ، والكلمة التي تشجعني ... اسأل الله أن يجزيه خيراً وسعادة .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتي الأجلاء الآخرين الذين أغرقت من علومهم وتعلمت عليهم في أثناء دراستي ومنهم أ.د فهد البيضاني و أ.د سها صاحب القرشي و أ.د علي نياز و أ.م.د حازم علاوي و أ.م.د فلاح سركال و أ.م.د علي كريم و أ.د محمد حسين و الدكتور عباس العامري ، والشكر الموصول لزملائي و زميلاتي في دراسة الماجستير

و أختتم بشكر أحباب القلب أهلي الذين ذللوا لي المصاعب ، ووفروا لي الظروف الملائمة لإتمام الرسالة ، أمي وأخواتي ...

الباحثة

رقم الصفحة	الموضوع
أ - ب	المقدمة
٢١ - ١	التمهيد: أضواء على نجم والى والتمثلات وأثر
١٠ - ١	الحروب فى الأدب
٢١ - ١١	أولاً: ١- نجم والى ٢- مفهوم التمثلات ٣ثانياً: أثر الحروب فى الأدب
٦٥ - ٢٢	الفصل الأول: التمثلات النفسية والعدوانية للحرب
٤٩ - ٢٣	المبحث الأول: الاضطرابات والعقد النفسية
٦٥ - ٥٠	المبحث الثانى: التمثلات العدوانية
٩٨ - ٦٦	الفصل الثانى: التمثلات الاجتماعية للحرب
٨٢ - ٦٧	المبحث الأول: السياسات التدميرية
٩٨ - ٨٣	المبحث الثانى: الانتهاكات الأخلاقية
١٥٠ - ٩٩	الفصل الثالث: التمثيل الفنى للحرب
١١٤ - ١٠٠	المبحث الأول: لغة السرد
١٢٧ - ١١٥	المبحث الثانى: المفارقة
١٥٠ - ١٢٨	المبحث الثالث: التناص

١٥١	الخاتمة
١٥٥	المصادر والمراجع
a-c	ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية

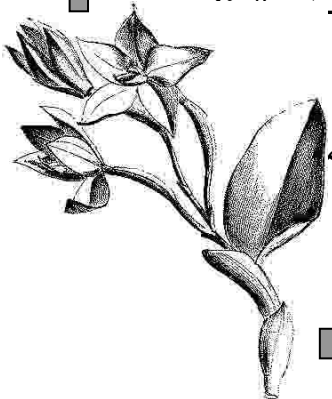
المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنقذنا من الحروب طائر المسخ الأسود الذي يحوم حول بلادنا فيستعذب الأحزان ويبحث عن الجمال ليئده ، وعن الفرح ليمسحه فراقا وتناحرا .
أحمد الله حمدا كثيرا يعادل ما أوقدوا من حرب في بلادنا فأطفأها الله برحمته وهو أرحم الراحمين ، وصلِّ يا رب على المبعوث رحمة محمد وآله الطيبين الطاهرين .
أما بعد ..

إذا ما دق ناقوس الحرب فإنه يرسم على جميع البلاد سواداً وحداداً يشل الحياة ويقتل الفن والإبداع إلا أنه قد يولد قصصا وحكايات لا تنسى يستلهمها الإبداع فتتناسل الروايات تخلد التاريخ وترسمه بشكل أوضح للزمن وتكون شاهدا على ما مر بالبلد ، وحين تختلط الأحداث بالخيال فأنها ستشع إبداعا ، ومن هذا الرحم ولدت روايات نجم والي ، من رحم الحروب وتغذت على أحداثها فهيمت صورتها على هذا الأثر ، ولا نجد من وقف على هذه الثيمة و أبعادها ومن سبر غور تمثلاتها في بيان الأبعاد النفسية والاجتماعية واللغوية وغيرها ، ومن هنا كان اختياري لعنوان الدراسة وكانت جديتها في التعقب .

كان مناسباً أن يقسم البحث على تمهيد وثلاثة فصول ؛ أما التمهيد فهو نبذة عن حياة الروائي و مصطلح التمثلات وتأثير الحروب في الأدب ، أما الفصل الأول فقد خصصته لدراسة التمثلات النفسية والعدوانية للحرب فتضمن المبحث الأول الإضرابات النفسية و المبحث الثاني التمثلات العدوانية ، في حين خصصت الفصل الثاني التمثلات الاجتماعية للحرب وتضمن المبحث الأول منه على السياسات التده



المبحث الثاني فتضمن الانتهاكات الأخلاقية فيما كان الفصل الثالث منطلقاً لبيان التمثيل الفني للحرب وتضمن المبحث الأول منه لغة السرد والمبحث الثاني تضمن التناسل أما المبحث الثالث المفارقة .

وقد اعتمدت في كل ذلك على المنهج التحليلي الوصفي لتحليل مادة الروايات و إبراز التمثلات .

ثم أعقت ذلك بخاتمة بينت فيها ما توصلت إليه الدراسة من نتائج .

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والامتنان لمشرفي أ.د عبد الأمير مطر فيلي لما قدم لي من يد العون وأوصلني بملاحظاته السديدة إلى بر الأمان ، ولا يسعني إلا أن أقدم شكري وتقديري عرفاناً للجنة المناقشة الذين تحملوا عبء القراءة و مناقشتها فضلاً عن امتناني لما سوف يقدمونه من آراء سديدة .

وختاماً أرجو أن أكون قد وفقت في بحثي هذا ، وحسبي أنها خطوتي الأولى في طريق العلم .

أسأل الله كشف الكروب وستر العيوب وغفران الذنوب ...

الباحثة

التمهيد

أضواء على:

نجم والي والتمثلات و أثر الحروب بالأدب

أولاً) ١. جوانب من حياة الروائي نجم والي

٢. مفهوم التمثلات

ثانياً) الحروب وأثرها في الأدب

التمهيد :

أضواء على : نجم والي و التمثلات و الحروب من حيث أثرها في الأدب



أولاً:

١- جوانب من حياة الروائي نجم والي

نجم والي أديب عراقي ولد في محافظة ميسان في الأول من تموز عام ١٩٥٦م ، ويقال أنه ولد في ٢٠ تشرين الأول من السنة نفسها ، في محافظة ميسان وفيها أكمل دراسته الابتدائية في مدرسة التضامن، وبرزت رغبته في أن يكون كاتباً عراقياً معروفاً منذ نعومة أظفاره عن عمر تسع سنوات ، وأكمل دراسته في إعدادية العمارة ، عرف عنه التمرد منذ صغره ، فعمل في قسم الإذاعة وهو لم يتجاوز الثامنة عشر، تم طرده منها لعدم انتمائه لحزب البعث آنذاك ، لم يثن هذا من عزيمته وإرادته ، بدأ بكتابة الريبورتاجات، ثم انتقل سنة ١٩٧٤م إلى بغداد ؛ لإكمال دراسته الجامعية فتخصص بدراسة الأدب الألماني وتخرج سنة ١٩٧٨ م ، وفي عام ١٩٨٠م تم تجنيده للخدمة العسكرية كأبي شاب عراقي، سجن في مقر الاستخبارات العسكرية بتهمة التمرد ؛ لأنه لم ينتم لحزب البعث البائد فتعرض للتعذيب الجسدي ، تسرح من الخدمة العسكرية في العاشر من آب سنة ١٩٨٠م ، وفي السنة نفسها هاجر إلى ألمانيا^(١).

عاد إلى العراق عام ٢٠٠٤م إلى مسقط رأسه ميسان بعد سقوط حزب البعث ، أما عن أول الأماكن التي زارها فهي مقبرة الانكليز ومدرسة التضامن الابتدائية و المكتبة المركزية للمحافظة، كان يساري الهوى رغم عدم انتمائه لأي حزب ، كتب القصة في بداياته ثم اتجه إلى الرواية^(٢).

أما أهم الجوائز التي حصل عليها فهي^(٣):

١. جائزة برونو كرايسكي العالمية للأدب عن روايته الشهيرة (بغداد مارلبورو)

(١) من حوار لي مع الروائي بتاريخ ٢٨ / ٨ / ٢٠٢٢.

(٢) ينظر: تقنيات السرد في روايات نجم والي ، أحمد عبد الرازق ناصر، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية ، العراق، ٢٠١٥م :٢١٣.

(٣) ينظر : ويبيكديا موسوعة حرة ، مقال ، نجم والي ، الموقع الإلكتروني / <https://ar.wikipedia.org/wiki>

٢. جائزة الأوطان حصل عليها على نص كتبه باللغة الألمانية ومشروع أوطان اختارت لجنة التحكيم فيه (خمسة) كتاب و (خمسة) مصورين ، وطلب منهم الإقامة في منطقة مونسترلاند في إقليم نوردر فيست فالين (شرق ألمانيا) لمدة أسبوع ، ليكتبوا عما يعتقدون أن بالإمكان أن يكون وطننا لهم .
أما عن مؤلفاته (٤) :

أولا - الروايات:

١. الحرب في حي الطرب - رواية - ١٩٩٣ م .

٢. مكان اسمه كميت - رواية - ١٩٩٧ م .

٣. تل اللحم - رواية - ٢٠٠١ م .

٤. صورة يوسف - رواية - ٢٠٠٥ م .

٥. ملائكة الجنوب - رواية - ٢٠٠٩ م .

٦. بغداد مالبارو - رواية - ٢٠١٢ م .

٧. أثم سارة - رواية - ٢٠١٨ م .

٨. سعاد والعسكر - رواية - ٢٠١٩ م .

٩. عمتي الرومانتيكية - رواية - ٢٠٢٣ م .

ثانيا - مجموعتان قصصيتان :

١- ليلة ماري الأخيرة - ١٩٩٥ م .

٢ - فالس مع ماتيلدا - ١٩٩٩ م .

ثالثا - الكتب :

كتاب بغداد سيرة مدينة

رابعا - الترجمة :

ترجم عن الاسبانية مسرحية (خطبة حب لاذعة ضد رجل جاس) لغابرييل غارسيا ماركيز .

(٤) ينظر: تقنيات السرد في روايات نجم والي: ٢١٣

وعن الألمانية قصائد (خطوات ظلال أيام وحدود) لميشيل كروغر .
و (آلام الشاب فرتز) لغوته (أول ترجمة للرواية مباشرة من الألمانية) .

٢- مفهوم التمثلات :

التمثل في معاجم اللغة " مَثَّلَ لَهُ الشَّيْءَ : حَتَّى كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَمَثَلَهُ أَمَثَلَهُ هُوَ : تَصَوَّرَهُ ، وَمَثَّلَ . وَ مَثَّلْتُ لَهُ كَذَا تَمَثُّلاً... وَتَمَثَّلَ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ تَشْبِيهًا بِهِ"^(٥). فهو " الشَّبْهُ . يُقَالُ مَثَّلُ : وَ مَثَّلَ ، وَشَبَّهُ شَبَّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ"^(٦)، و " التَّمَثَّلُ وَالتَّمَثِيلُ مَتَقَارِبَانِ فَهَمَا يَشْتَرِكَانِ فِي حُضُورِ صُورَةِ الشَّيْءِ أَوْ الشَّخْصِ فِي ذَهْنِ الْمُتَلَقِّي لِأَنَّ " التَّمَثِيلَ تَصْوِيرَ الشَّيْءِ كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ"^(٧) ، و " تَمَثَّلَ أَوْ تَصَوَّرَ الشَّيْءَ : تَوَهَّمُ صُورَتَهُ وَتَخِيلُهُ وَأَسْتَحْضِرُهُ فِي ذَهْنِهِ ، وَتَصَوَّرَ لَهُ الشَّيْءَ : صَارَتْ لَهُ عِنْدَهُ تَمَثُّلٌ مَشْخَصٌ أَوْ صُورَةٌ وَشَكْلٌ"^(٨). وجاء في التنزيل ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾^(٩). أما في الاصطلاح فللتمثل توصيفات عدة مستمدة من فروع المعرفة المختلفة ؛ فقد نقلت القواميس الغربية هذا المصطلح ومن ذلك أنه عُرِّفَ في القاموس الفرنسي لاروس على أنه " استعراض أو عرض عمل فني في صورة مسرحية أو صورة ذهنية لموضوع معين تمثل شخص لموكله في القضاء أمام السلطة القضائية (النيابية) عن شخص غائب في معاملات قانونية أو تجارية"^(١٠) .

(٥) لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري (٧١١ هـ) ، صادر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٥٥م ، مادة (مَثَّلَ): ج ١١ / ٦١٠ .

(٦) المصدر نفسه : ج ١١ / ٦١٠ - ٦١٤ .

(٧) كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تح. د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، ط ١ ، ٢٠٠٨م : ج ٨ / ٢٢٩ .

(٨) ينظر: المنجد في اللغة والاعلام ، لويس معلوف ، دار المشرق للنشر والتوزيع ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٦م : ٤٤٠ .

(٩) سورة مريم ، الآية : ١٧ .

(١٠) نقلاً عن : التمثلات الاجتماعية للمعرفة المدرسية لدى التلاميذ الذين ظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة (دراسة ميدانية لتلاميذ السنة الثانية ثانوية ولاية وهران ومستغانم نموذجاً) ، بن ملوكة شهيناز ، أطروحة دكتوراه ، جامعة وهران ، قسم علم النفس ، ٢٠١٥ م : ١٣ .

أما قاموس نوربيرسيلامي فقد اعتبر التمثل هو إحضار الشيء إلى الذهن وليس استرجاع صورة للواقع ؛ فالتمثل عملية ذهنية بموجبها تتم إعادة صياغة وبناء ذهني لعناصر المحيط (١١).

وقد اخذ التمثل منحى آخر في معاجم التحليل النفسي فهو يستعمل " للدلالة على ما نتصوره ، أو ما يكون عليه المحتوى المحسوس لفعل التفكير - ويستعمل خصوصا لاسترجاع أو استحضار إدراك سابق " (١٢). فالتمثل في المعنى السيكلوجي يأخذ منحى قائماً على الحضور والغياب عن طريق إدراكه في الذهن فهو " استحضار موضوع غائب عن الذهن ، موضوع غير واقعي أو يتعذر إدراكه بكيفية مباشرة ، ولكن إدراكه أو تصوره ذهنياً ممكن " (١٣).

و يقوم مفهوم التمثلات الثقافية في إن المصطلح " يشير إلى نظام المعرفة والنشاط النفسي ومعانيها الثقافية الخاصة التي تعكس التجربة الفردية للإنسان ، ففي علم النفس يقصد به الإدراك والصورة العقلية التي يرتبط محتواها بوضعية أو موضوع في العالم المحسوس " (١٤).

ويدل التمثل في المعنى السيكلوجي على استحضار موضوع غائب إلى الذهن ، موضوع غير واقعي أو يتعذر إدراكه بكيفية مباشرة ، ولكن وعيه أو تصوره ذهنياً ممكن ، وقد يشمل التمثل عدة صور وهو كالصورة يمكن تركيبه بواسطة الفاعلية الذهنية ... فالتمثلات عالم مفاهيم تبرز في المعرفة العلمية بمعطيات المذاهب الفكرية والاتجاهات الاجتماعية والأبعاد النفسية والسيكلوجية ، كل هذه الأنساق تُدعم بواسطة الممارسات الاجتماعية التي

(١١) ينظر : المعجم الموسوعي في علم النفس ، نوربيرسيلامي ، تر. وجيه اسعد ، منشورات وزارة الثقافة ، سورية - دمشق ، ط١ ، ٢٠٠١ : ج٢ / ٧١١.

(١٢) معجم مصطلحات التحليل النفسي ، جان برتراند بونتاليس ، تر . مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٩ م : ٣٢٠ - ٣٢١

(١٣) المعجم الموضوعي لعلم التربية ، احمد اوزي ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط١ ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٦ م : ١١٣ - ١١٤.

(١٤) التمثلات الاجتماعية للعمال حول طلب العمل داخل المؤسسة ، بلغيث سهيلة ، رسالة ماجستير ، جامعة عبد الحميد بن باديس ، كلية العلوم الاجتماعية / علم الاجتماع ، ٢٠٢٠ م : ٢١

يقوم بها الإنسان ، والتمثيلات بنية ضمنية تهدف إلى تحليل العناصر المكوّنة لها وإيجاد أنماط التفاعلات من أجل اكتشاف ما تخزنه من معلومات مضمرة ... فالتمثل يرتبط دائماً بموضوع ما ويقدم له تفسيراً معيناً بحسب المعلومات والتأثيرات الاجتماعية حول هذا الموضوع (١٥).

فالتمثيلات بذلك " احدى الميكانزمات* التي تساعد الفرد على التكيف والتواصل مع جماعته المرجعية ؛ لذلك قد تكون بعض التمثيلات الشائعة في الثقافة التي تتداولها وسائل الإعلام وسيلة من وسائل ربط الفرد بجماعته" (١٦). مما يعني أن التمثل نسق او سلوكيات تحدد من خلال الوسط الاجتماعي (١٧)، فالتمثل في علم الاجتماع هو انعكاس للواقع (١٨).

ومما سبق ندرك أن للتمثيلات بُعدين ؛ أولهما نفسي والثاني اجتماعي ولكونها " تكوّن جزءاً كبيراً من عالمنا الداخلي ... فإن تمثل العالم الذي يحيط بنا في شكل صور ذهنية هو دليل على أننا نستمتع بصحة نفسية جيدة ... التمثل يحتوي على خاصية مغناطيسية تعمل على جذب المحتويات العقلية وشدها إلى بعضها البعض؛ لنتخلق منها بعد ذلك صوراً ذهنية يحتفظ بها الفرد في ذاكرته ، لأنه يعتبر جزءاً من ماضيه الحقيقي وحياته الخاصة" (١٩) أما من الناحية الفلسفية فهو حصول صورة الشيء في الذهن (٢٠)، والفرق بينه وبين التشبه أن كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل" (٢١)، فالتمثل بذلك يرتبط بالوظيفة الرمزية التي يقوم

(١٥) ينظر : التمثيلات الثقافية في رواية اعترافات امرأة لعائشة بنور ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي - الجمهورية الجزائرية ، خديجة بولخراس ، رحمة عزيز ، ٢٠١٩ ، ٢٣-٢٠٢٠ م .

* هي خدعة لا شعورية غير منطقية لحل الصراعات النفسية . ينظر: ميكانزمات الدفاعية وعلاقتها بالعصابية والرضا عن الحياة لدى طلبة جامعة الأقصى ، أمال عبد القادر جودة ، مجلة كلية التربية ، عين شمس ، مصر ، ٢٠٠٩ م : ٢٠٦ .
(١٦) المعجم الموضوعي لعلوم التربية : ١١٣ - ١١٤ .

(١٧) ينظر : المعجم الموضوعي لعلوم التربية: ١١٣-١١٤

(١٨) ينظر : التمثيلات الاجتماعية لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم اليات الهوية ، د. كوثر السويسي ، المجلة العلمية لعلم النفس مجلة علمية محكمة ، جامعة تونس ، مج/١ ، العدد / ١ ، صيف ٢٠١٦ م : ٥١
(١٩) المصدر نفسه : ٤٨ .

(٢٠) ينظر : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية والفرنسية ، د.جميل صليبا ، دار الكتب اللبناني، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٢ م : ج ١ / ٣٤٢ .

(٢١) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية والفرنسية: ج ١ / ٣٤١ - ٣٤٢

به الذهن أي ذلك الشكل من النشاط الإنساني الذي يتعلق بإنتاج الرموز وفي هذا الإطار يعتبر الإنسان بمثابة آلية منتجة للرموز^(٢٢)، وعلى هذا يمكن القول بان فلسفة التمثل ترتبط بمسألة إعادة الإنتاج أو العلاقة القائمة بين الواقع والصور ، فالواقع هو الوجود الخارجي للأشياء في حين تمثل الصور تظهر ذلك الوجود الذي يتحكم به الإدراك العقلي أو النفسي أو العاطفي^(٢٣)، وهذا مقارب لتصور المناطقة للتمثل فهو: " يقرر للأشياء الموجودة في الأعيان صور في الأذهان كأنها مثل أو أشباح يلحظها الإنسان بذهنه ، وأعيانها الموجودة غير ملحوظة"^(٢٤)

وهناك من يجد أن التمثل مستقبلاً سيشهد ميداناً رحباً في عالم التحليلات بوصفها علماً طبيعياً للإنسان^(٢٥)، فالتمثل بذلك مفهوم واسع فمرة يشير إلى معنى الاستيعاب^(٢٦). أما في المعاجم الأدبية فيعرف التمثل على أنه " ارتسام صورة الأشياء في الذهن"^(٢٧)

فالتمثل representation اصطلاحاً تتعدد تعريفاته لكونه من الاصطلاحات التي تتجاوز فيها الحقول المعرفية وتتفق في كونه إعادة إنتاج للمشاهدات العينية والصورية ومن مدلولات الألفاظ .

أما مفهومه الحديث في الدراسات السردية فيرجع إلى حفريات ميشيل فوكو الذي جعل العلوم الإنسانية هي ميدان التمثل الأوضح لأنه : "الأساس العام لهذا النوع من المعرفة ،

^(٢٢) ينظر : التمثلات الاجتماعية للفلسفة كمادة تدريسية ، إبراهيم الوثيقي ، منتدى العمق المغربي ، ٢٧ / نوفمبر / ٢٠١٢ ، الموقع الإلكتروني ، <https://al3omk.com/702613.html>.

^(٢٣) ينظر: تمثلات الحرب الأهلية في الرواية العربية ، نادية غضبان محمد ، أطروحة دكتوراه ، جامعة المستنصرية / قسم اللغة العربية، ٢٠١٩ م : ٥٦

^(٢٤) موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب ، د. فريد جبر ، د . رفيق العجم ، د. سميح دغيم ، د. جبراري بهامي ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٥ : ١٩٩٦

^(٢٥) ينظر : الكلمات والأشياء ، ميشيل فوكو ، تر . مطاع الصفدي ، مركز النماء القومي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٩ م : ٢٠٧

^(٢٦) ينظر : موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند ، تر . خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، ط ٢ ، باريس ، ٢٠٠١ م : ج ١ / ٦٣ .

^(٢٧) المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٤ م : ٧٨ .

وهو الذي يجعل المعرفة ممكنة " (٢٨)، ففكرته تقوم عن الاستغناء عن الشيء بصورته أو نيابة الصورة الممثلة عن الشيء موضوع التمثل.

يقوم التمثل بتشكيل (المتخيل الثقافي) الذي يعمل على إنتاج ذاكرة جمعية وينبوع رمزي وشبكة واسعة من الصور والقيمات والمرويات والخطابات التي تشكل الإطار المرجعي لهوية المجتمع الثقافية^(٢٩). وقد أصبحت الصورة المتخيلة عن الواقع "تمثل روح العصر الوحيدة، ونتاجاً من نتاجات المخيلة والحس التوليدي والمعرفي وأداة حاسمة في التواصل"^(٣٠).

على الرغم من مجاورة المصطلح للحقول المعرفية بدءاً من الفلسفة والمنطق لكنه يتضح في السرد كون الدراسات السردية بالنظر لموضوعها تسمح بالتجديد؛ وتسعى لقراءة مغايرة ما دام المتن السردى نصاً ثقافياً يتضمن حيوات متعددة، ومظاهر ممكنة الحصول في الواقع؛ فلها ارتباط بواقعها ومجتمعها، وأن كانت فن أدبي خيالي.

ولما كان التمثل السردى يركب "المادة التخيلية، وينظم العلاقة بينها وبين المرجعيات الثقافية و الواقعية"^(٣١). تأسيساً على ذلك تكون الصورة المتخيلة في ذهن السارد هي الصورة التي يمكن الاكتفاء بها لكشف تجليات ذلك الواقع سردياً؛ لأنه حين يقوم بتمثل موضوعه "يحتمي أيضاً بالمخيلة من أجل إعطاء موضوعه الكثافة الدلالية والرمزية التي يتطلبها"^(٣٢).

وكل ثقافة تنتج روايتها الخاصة بها، وتطوّر، عبر رحلتها في استجلاء الواقع، السؤال الثقافي؛ لتغدو الكتابة تمثلاً للواقع الممزوج بالذات، وهي ترزح تحت ثقل ذلك الواقع حينئذٍ

(٢٨) الكلمات والأشياء : ٧ .

(٢٩) ينظر: تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط) ، د. نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٤م : ٣٩ .

(٣٠) آلية التمثيل الكولنيالي للشرق، محمد عطوان، مجلة الكوفة- العراق، دار التنوير- بيروت، العدد / ٤ ، خريف / ٢٠١٤م : ١٧٩ .

(٣١) موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١، بيروت، ٢٠٠٥م : ٥٥٩ .

(٣٢) الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، د. إدريس الخضراوي، دار رؤية، ط١، القاهرة - مصر ، ٢٠١٢م : ٥٦ .

، تصبح حتماً يتأسس على الوعي بهذا الواقع وتمثله من أجل التحرر منه أو تعميق الشعور به.

ولما كانت الرواية أكثر الأنواع الأدبية التحاماً بالواقع؛ فقد حققت تأملاً للتجربة الواقعية وتمثلاً لها، فالأدب الحقيقي يمتلك القدرة على إنتاج تصورات ثقافية جديدة، وحسب بيير بورديو يمكن للمبدع أن "يغير الواقع الاجتماعي بواسطة تغيير تمثيل الفاعلين لهذا الواقع"^(٣٣).

فدراسة تركز على كشف التمثلات حريّ بها أن تكشف المسكوت عنه وتلج إلى عمق النصوص لاسيما وأن الدراسة ربطت فعل التمثل بنعت الحرب التي مثلت مرحلة جوهرية في تاريخ العراقيين .

يتناول البحث الحرب بوصفها ثيمة مركزية ارتكزت عليها روايات الروائي العراقي نجم والي ، إذ تتناول الحروب التي عانى منها العراقيون في حقبة مختلفة بداية من حرب الثمانينات التي جسدها رواية – الحرب في حي الطرب – مروراً بارتداداتها وصورها في رواياته – تل اللحم – مكان اسمه كميته – إثم سارة – ثم إلحاقاً بالحرب الأمريكية وتبعاتها متمثلة في روايات – صورة يوسف – وبغداد مالبورو – عمته الرومانتيكية .

وتجلية مظاهرها من خلال أحداثها التي تبدأ بالموت وتنتهي به.

فالباحث يتحرى تمثلات الحرب ليس في موضوع الحرب نفسها إنما آثار الحرب التي تنسحب على الشخصيات من الناحية النفسية والاجتماعية كذلك على بنية النص ، فالرواية تحاول أن تشارك التاريخ الذي تصنعه الأسلحة كما يراها (نجم والي) ، فهي خيال يحول التاريخ إلى قصص مروية.

ففعل الحرب هو فعل إبادة للحيات بكل تفاصيلها تبدأ بالإنسان وتنسحب إلى محيطه ونسله وقيمه، فالحرب لا تقف عند حدودها الزمانية بل تنغرس في وجدان الشعوب وتظل جراحها حية فهي إبادة حقيقية للقيم والأفكار. فثمة خط فاصل من نار في تاريخ الشعوب هو

(٣٣) نقلاً عن : تمثيلات الآخر: ١٤٨

ما قبل الحرب وما بعدها. وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم التمثل يختلف من حيث اللغة والاصطلاح النقدي فالبحث يركز على التمثل بوصفه أنموذجاً يعرض أحداثاً أو موقف، مقدما الهوية المعرفية للنص.

ثانياً: الحرب أصلها وتاريخها

إن من يتتبع الأصل اللغوي لكلمة الحَرْبُ يجد أنها مصدر لفعل ثلاثي: حَرَبَ يَحْرُبُ، حرباً واسم فاعله محروب وجمعه محارب "حَرِبَ الرَّجُلُ ، يَحْرَبُ حَرْباً : اسْتَدَّ عَضْبُهُ ، فَهُوَ حَرِبٌ مِنْ قَوْمٍ حَرَبِيٍّ ... و حرب : الحَرْبُ : نَقِيضُ السَّلْمِ ، أُنتَى ، و أصلها الصِّفَةُ كَأَنَّهَا مُقَاتَلَةٌ حَرْبٌ " (٣٤).

الحرب ظاهرة قديمة قدم الإنسانية وهي من سنن الشر، فالحرب هي القتال أو النزال بين فئتين متخاصمتين أو مجموعات متخاصمة لم يتم التفاهم بينها ولم تسلك الطرق السلمية المتعارف عليها وتعجز عن ضبط النفس نتيجة الخلافات الحادة والمصالح سواء كانت شخصية أو باطنية أو توسعية أو بغية الدفاع عن الحقوق والأراضي أو نتيجة غطرسة الفكر التوسعي السلطوي الذي يؤدي لاحتلال بلاد أخرى أو سعياً للاستقلال وتحرير البلاد والعباد من دنس المحتلين (٣٥)، وهي في القانون الدولي عادة ما تسمى بالنزاعات المسلحة (٣٦).

فمفهوم الحرب توسع ليدخل مجالات شتى فهناك الحرب الباردة والأهلية والعالمية والنفسية والإعلامية و الوقائية والكمركية كذلك حرب الاستنزاف (٣٧).

ويرى علماء النفس أن من الطبيعي أن يخوض البشر حروباً؛ لأننا مخلوقين في الأصل من جينات أنانية وبمجرد أن يشكل الآخرون تهديداً لبقائنا، فأنا لا نتردد لحظة في

(٣٤) لسان العرب : مادة (حرب) ج ١ / ٣٠٢ - ٣٠٤ .

(٣٥) ينظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، ٢٠٠٤م : ٢٧٨.

(٣٦) ينظر : القانون الدولي الإنساني مقدمة شاملة ، نيلس ميلز ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ١ / آب / ٢٠١٦ م : ١٧ .

(٣٧) ينظر : موسوعة أنواع الحروب ، الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين ، الأوائل للنشر والتوزيع ، ط١ ، سورية -

دمشق ، ٢٠٠٦م : ٢٩٦.

إعلان الحرب عليهم^(٣٨)، وهذا لا يبتعد عن وصف المتنبي لفلسفة الأمر الذي يحث الإنسان نحو الإقبال على الحرب والإحجام عنها فالأنانية وحب النفس هي المنطلق دوما قال^(٣٩):

فَحُبُّ الْجَبَانَ النَّفْسَ أوردَهُ البَقَا وَحُبُّ الشَّجَاعِ النَّفْسَ أوردَهُ الحَرْبَا

لعل تشبيه الحياة بالحرب الضخمة الواسعة النطاق شيء لا يبتعد عن الواقع فالموجودات في حرب دائمة والصراع من أجل البقاء هو قانون هذه الحياة، فالافتراض هو القانون الكبير الذي يهيمن على الموجودات ، فقد افتتحت الإنسانية وجودها بالصراع والتحارب منذ قابيل وهابيل ، فإن يموت الآخر لتعيش وتنعم هي حقيقة الصراع البشري المرير الذي أوقد للحرب وقودها دائما ، وهذه الفكرة هي نواة لما تداوله الفلاسفة في علاقة الإنسان بعالمه الاجتماعي وأثر ذلك على سلوكه، فيرى أرسطو أن الإنسان حيوان سياسي بطبعه^(٤٠)؛ لأنه لا يقدر على أن يعيش بعيدا عن جماعته ، إذ إن من المفروض عليه أن ينخرط في مؤسسات العائلة والدولة ، أما توماس هوبز أحد منظري العقد الاجتماعي فقد انتقد بشدة أفكار أرسطو خاصة الأطروحة القائلة بأن الإنسان حيوان سياسي ، أو بمعنى أنه مزود طبيعياً للعيش داخل المجتمع ، ويرى عكس ذلك فكان يكرر الحكمة التي ارتبطت به (الإنسان ذئب لأخيه الإنسان) ؛ لأنّ الحالة الطبيعية للإنسان هي حالة الحرب المستمرة بين كل واحد ضدّ كل واحد^(٤١) فإنسان هوبز بذلك حيوان قاتل وعنيف ومنجذب للقوة والحرب ولا شك أن ما يمر به العالم اليوم من مأس وحروب وعنف ومؤامرات تحاك في الخفاء يؤكد صحة تلك المقولة ، أما إنسان الفيلسوف ميكافيلي* فهو يتخذ شكل الأمير ويعلم جيدا كيف يتصرف كالحَيوان فهو يفلد الثعلب والأسد، لكن الأسد لا يستطيع أن يحمي نفسه من الفخاخ والثعلب غير قادر على مواجهة الذئب على المرء إذن أن يكون ثعلبا ليواجه الفخاخ

^(٣٨) ينظر: الجين الأناني (تحليل كتاب ريتشارد دو كينز) ، نيكولا ديفيس، تر. كريم طرابلسي، ط١، ٢٠١٧م : ١٢-٥٠
^(٣٩) ديوان المتنبي ، أبو الطيب المتنبي ، تح . مصطفى سبيتي ، دار الكتب العلمية ، ط١، لبنان ، ١٩٨٦م : ٢٥٦ .
^(٤٠) ينظر: الاسلام والديمقراطية (معالم المدرستين في التعددية السياسية) ، د. نصير حميد الخزرجي ، دار المدى ، بيروت ، ٢٠٢١م : ٣٧ .
^(٤١) ينظر : محاضرات في علم الاجتماع المعاصر (من الجذور إلى الحرب العالمية الثانية)، عبد العزيز خواجه، دار الألباب ٢٠٠٧، ط١، الجزائر : ١٥٦ .

* ميكافيلي : وهو فيلسوف ايطالي

ويكون أسدا ليخيف الذئاب، ومن يريد أن يكون أسدا لا يفهم الأمور جيدا ،أما المنظرة آرتت فقد استطاعت أن تصيغ بنية فلسفتها وفق ما سبق فوجدت أن الإنسان حيوان سياسي وأن لم يكن كذلك يجب أن يكون إلهاً أو كائنا تبعا سافلا مثل باقي الحيوانات وهو بذلك يقترب من إنسان هوبز وميكافلي^(٤٢).

و الحقيقة أن الحرب كالنيران تشتهي الأخضر واليابس، وعندما فزع الإنسان البدائي منها لجأ إلى آلهة ابتدعها لتقيه شرور الحرب ففي الديانات القديمة والميثولوجيا نجد الأساطير الأغريقية (اليونانية) متعددة الآلهة ، فكان نصيب الحرب منها (أريس) ويشار إليه بأنه أله اولمبيا للحرب والشجاعة والوحشية والمجازر الدموية ،صور طويل القامة ذو هيئة أنيقة ويعتلي عربة تجرها خيول سريعة مصنوعة من البرونز ويقبض بيديه على رمح ضخم ويتخذ وقفة القتال ، ويوجه ضربات مميتة نحو كل اتجاهات ،وكان يصاحبه بيموس (الرعب) وفوبوس (الخوف)بالإضافة إلى ربة الحرب القديمة انيو^(٤٣) ، وعند الرومان نجد (مارس) اله الحرب وحاميهم ونصيرهم وهو اله الحرب الروماني الذي يعتقد أنه يجلب الحظ لبدأ الحروب ، وكان الثاني من حيث الأهمية بعد جوبتر يعتبر من أهم الآلهة العسكريين في ميثولوجيا روما القديمة ، وقد اقترن بإله الحرب عند الأغريق آريس واتحد معه في الفن والأدب والميثولوجيا ، ولكنه كان يفوق في الأهمية والمكانة لدى شعب أقام إمبراطوريته على الحرب والقتال^(٤٤).

ولا نخطئ إن قلنا أن الحرب هي من فجر ينبوع الأدب لتنبثق الأفكار وتفلت اللغة في عالم لا نهاية له ،ليكون الأدب توثيقا لما بذرتة البشرية من حروب ،وما حصده من دمار و ما جنته من نصوص أدبية اتسمت بدقتها في رصد الحرب وتصويرها لمن لم يعاينها ، فتأريخ الإنسان مع الحروب يبدأ منذ القدم فأول نزاع في تاريخ البشرية تم الإخبار عنه ووثقته

^(٤٢) موسوعة تاريخ أوربا (عصر النهضة) ، مفيد الزبيدي ، دار إسامة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣م : ٨١ .
^(٤٣) ينظر :موسوعة الأساطير العالمية، حنا عبود ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، ط١ ، ٢٠١٨ م : ١٠٠ ،
و ينظر : قاموس أساطير العالم ، آرثر كورتل ، تر . سها الطريحي ، دار نينوى ، دمشق - سورية ، ٢٠١٠م : ١٣٨ ،
وينظر : موسوعة تاريخ الأديان(الشعوب البدائية والعصر الحجري) ، تر . غادة جاويش ، دار التكوين ، ط ٤ ، ٢٠١٧ م : ١٠٠ .

^(٤٤) ينظر :الآلهة والأساطير اليونانية ، مها محمد السيد ،مكتبة المهتدون ، ط١ ، ٢٠٢٢م : ٧٣-٧٦

الرُقْمُ الطينية ، خاصة دولتي - مدينة لكش وأوما السومريتين في منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد ، وقد تم إيضاح المسار المبكر للحرب الطويلة من قبل (إنتمينا) حاكم دولة - مدينة لكش في نقش مسماري مدون باللغة السومرية على عدة أشياء فخارية وجدت في خرائب معبد قام بترميمه آنذاك بعد تعرّضه لضرر الحرب يسجل النقش - الوثيقة - في لغة مجردة وواقعية ، سلسلة من الأعمال العدوانية وعمليات الانتقام التي قامت بها دولة - مدينة أوماً ضد دولة - مدينة لكش في عهد حاكمها المدعو أور - لوما ، والرد العنيف الذي قام به جيش لكش بقيادة والد (إنتمينا) الحاكم (إي ناناتوم) الذي صدّهم وقام بدحرهم ، إن العراق قديماً وحديثاً كأنه قد قدر له أن يتجرع ويلات الحروب ومصائبها منذ أقدم تاريخ عرفته البشرية إلى حدود الساعة، عادت الحرب بأوزارها الثقيلة في مناسبات عديدة خلال فترة ٤٥٠٠ عام ، منذ عهد (إنتمينا) إلى عهد (صدام حسين) ، انتهاء بحروب العراق ضد الإرهاب وإن اختلفت صورها وأدواتها أو وسائلها عبر التاريخ .

أما في الشعر فإن ملحمة (هوميروس) الإلياذة تصور الحرب التي استمرت عشر سنوات ، والتي قام بها الإغريق ضد مدينة طروادة بعد أن أخذ باريس - ابن ملك طروادة- هيلين من زوجها منيلاوس ملك الأساطير الإغريقية ، وهكذا وفرت الحروب موردا للأعمال الأدبية الإغريقية وأعمال أخرى في الأدب الإغريقي والروماني فيما بعد مثل أعمال فرجل^(٤٥).

وفي السياق ذاته في حديثنا عن الملاحم لابد من ذكر السيرة الهلالية التي تنفرد بتصوير الحروب العربية الطويلة مثل ملحمة سيف بن ذي يزن ، وذات الهمة وعترة بن شداد^(٤٦).

ومهما يكن من شيء فقد تنوعت بذلك الطرق التي وصلت إلينا فيها أخبار الحروب فبين تدوينها بطريقة بدائية على الرقم الطينية ، وبين حفظها شفاهاً بأشعار مرردة فيما بعد ؛ لأن الأشعار هي تخذ من الانتصارات ، فالشعر ديوان العرب فهو مخلدٌ لمآثرها^(٤٧) ، ولا بد من

^(٤٥) ينظر : البطل في الأدب العالمية (من الأسطورة إلى الحداثة) ، نسيمه زمالي ، جامعة تبسة ، مجلة الذاكرة ، العدد ٥ / ٣٦٤:

^(٤٦) ينظر :سيرة بني هلال دراسة سردية ، وليدة طالب ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب - قسم اللغة العربية ، الجزائر ، ٢٠١٠م :٥٧

^(٤٧) ينظر :في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، دار التراث الأول ، ط١ ، ١٩٩١م :٤٤٤

الإشارة إلى أن الحرب لم تكن هي الخيار الأمثل لدى العرب فقد اجبروا عدة مرات على خوضها بسبب الظروف والبيئة الاجتماعية القاسية التي فرضت عليهم نوع معين من المعيشة^(٤٨) " فقد كانت الغارات وسيلة من وسائل العيش فكان العرب في جاهليتهم يعون مهالك الحروب ومفاسدها ؛ وكان عقلاؤهم يتمنون أن لو زالت الحرب ؛ ولكن هذه النزعة ظلت خافتة لا تلقى سمياً إلى يومنا هذا^(٤٩) ، وخير دعوة للسلام في أدبنا القديم قول زهير بن أبي سلمى^(٥٠) :

وما الحرب إلا ما علمتم ودقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها دميممة ،

وتضر إذا ضريرتوها فتضرم

وبالرغم من الدعوات فإن الحرب إذا نشبت لا تخمد وإن علت الأصوات والدعوات التي تنادي لإيقافها ، وفي تاريخنا قبل الإسلام مأس أخذت ما أخذت من مقاتلين سببها ناقة مشؤومة مخلفة حرباً طويلة كالبسوس و داحس والغبراء ، وقد صورها عمر بن كلثوم وركز فيها على قوة تغلب التي طحنت أعداءها بقوة أبطالها^(٥١) ، فالروح القبيلية هي المحرك لمثل هذه الحروب ، البعيدة عن المنطق في أسبابها^(٥٢) .

وما انفك دخول الإسلام للدين الجديد ؛ الدين الذي أحلّ الأحكام والشرائع السماوية محل قوانين القبيلة الضيقة ، فقد ألغى التعصب للقبيلة الذي يقوم على مبدأ "أنصر أخاك ظالماً أو

^(٤٨) ينظر : مسائل الجوار والحماية عند البادية في الجزيرة العربية ، قاسم بن خلف الرويس ، ثقافة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م : ٥٨ ،

^(٤٩) ينظر : فيض الخاطر (مقالات أدبية و اجتماعية) ، أحمد أمين ، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة ، ط ١ ، مصر ، ٢٠١٢ م : ج ٨ / ١٦٠ .

^(٥٠) ديوان زهير بن أبي سلمى ، تح . علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط ١ ، ١٩٨٨ م : ١٠٧ .

^(٥١) ينظر : شرح القصائد العشر ، الإمام الخطيب أبي زكريا التبريزي (٤٢١ هـ - ٥٠٢ هـ) ، تح . الإمام محمد الخضر حسين ، المطبعة المنيرية ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٣٥ م : ٣١٨ .

^(٥٢) ينظر : شعر الحروب في العصر الجاهلي ، د . علي الجندي ، مكتبة الإنجلو ، مصر ، ١٩٦٦ م : ٤٣ .

مَظْلُومًا^(٥٣)، وحبذ الدفاع عن القبيلة، ولكن بشروط قال الرسول ﷺ: "خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يَأْتُمْ"^(٥٤)، فتحوّلت الحروب للدفاع عن الدين الإسلامي، ومن ذلك ملحمة كعب بن زهير التي صور فيها تكالب أعداء الإسلام ضد المسلمين يوم بدر. وأصبح الشعر وسيلة لحث المسلمين على القتال ورفع الروح الحماسية^(٥٥) و وصف حروبهم ومن ذلك قول ربيع بن مكرم الضبي في شعر الفتوحات^(٥٦):

وشهدتُ مَعْرَكَةَ الْفُيُولِ وَحَوْلَهَا ابْنَاءَ فَارِسَ بَيَضُهَا كَالْأَعْبَلِ

مَتَسَرَّبِلِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ جُرْبُ مُقَارِفَةٍ عَيْبَةٍ مُهْمَلِ

ولأهمية حروب المسلمين قال الرسول " الجنة تحت ظلال السيوف"^(٥٧)، أما في العصر الأموي فقد كانت الصراعات محتدمة على السلطة واحتدام الفتن التي انعكست على أدب ذلك العصر^(٥٨)، ومن ذلك قول زفر بن حارث احد شعراء ذلك العصر^(٥٩):

أرى الحربَ لا تزدادُ إلا تَمَادِيَا أرىني سَلاحي لا أَبالكِ إِنِّي

^(٥٣) المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م: ج١/٣٩٢.

^(٥٤) الروض الدني (المعجم الصغير)، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ)، تح. محمد شكور محمود الحاج أمير، المكتب الإسلامي دار عمار، بيروت، عمان، ط١، ١٩٨٥ م: ج٢/١٩٧.

^(٥٥) ينظر: فيض الخاطر (مقالات أدبية و اجتماعية): ج٨ / ١٤٧.

^(٥٦) كتاب الحيوان، أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تح. عبد السلام هارون، ط٢، ١٩٦٥ م: ج٧ / ٢٦٣.

^(٥٧) صحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي، تح / د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٥، دمشق، ١٩٩٣ م: ج٣ / ١٠٣٧.

^(٥٨) ينظر: محاضرات في الأدب الإسلامي والأموي، يوسف شحدة: ٢٢٢. و ينظر: شعر الحرب في أدب العرب في

العصرين (الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة) زكي المحاسني، دار المعارف، ط١، القاهرة - مصر، ١٩٦١ م: ٢٣

^(٥٩) ديوان زفر بن حارث، زفر بن حارث الكلابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، تح. نوري حمودي القيسي، مج /

٣٥، ج ١ /، عدد١، كانون الثاني / ١٩٨٤ م: ١٧٠

وما أن حل العصر العباسي برز المتنبي وأبو تمام والبحتري في وصف الحروب إلا أن المتنبي سبق هؤلاء الشعراء فكان أكثرهم براعة في وصف المعارك حتى قال عنه ابن الأثير " إذا خاض في وصف المعركة كان لسانه أمضى من نصالها، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها . حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلوا "(٦٠)، حتى كان شعر الحرب نتاجا للحروب الداخلية أو ما عرفت بالفتنة ومعارك الدولة العباسية وفتوحاتها ، فغلبت معاني وألفاظ وأدوات الحروب في أشعارهم(٦١) من ذلك قول ابن المعتز(٦٢).

وجيش كمثل الليل يسود شمسُه ويحمر من إعناته البرُّ والبحرُ

ومع بزوغ فجر العصر الحديث أصبح الأدب أداة لمقارعة المحتل ، يقول عبد الرحيم محمود(٦٣):

سَأَحْمَلُ رُوحِي عَلَى رَاحَتِي وَأَلْقِي بِهَا فِي مَهَاوِي الرَّدَى

فَأَمَّا حَيَاةٌ تَسُرُّ الصِّدِيقَ وَإِنَّمَا مَمَاتٌ يُغَيِّظُ العَدِي

وانعكست الحروب على فنون الأدب عامة ومنها فن السيرة الشخصية ومن ذلك كتابات عميد الأدب العربي طه حسين الذي تزامنت بداية الحرب العالمية الأولى مع سفره إلى فرنسا ، ضمن بعثة إلى فرنسا أوفدتها الجماعة المصرية يقول في مذكراته: "نسى نفسه ، ونسى الناس ولكنه لم ينس البعثة إلى باريس، ولم ينس الحرب التي تحول بينه وبين باريس وكيف السبيل إلى نسيان الحرب وأنباؤها المرعبة تصبحه وتمسيه كل يوم"(٦٤).

(٦٠) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير،تح:أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار

نهضة مصر، القاهرة ، ط١ ، ١٩٣٩م:ج ١ / ١٤

(٦١) ينظر : شعر الحرب في أدب العصرين الأموي والعباسي : ١٥٤

(٦٢) ديوان ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز ، تح . كرم البستاني ، دار صادر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦١م : ٨٦

(٦٣) الأعمال الكاملة لعبد الرحيم محمود (الديوان - والمقالات) ، جمع وتحقيق عز الدين المناصرة ، دار جليل للطباعة والنشر ، ط١ ، دمشق - سوريا ، ١٩٨٨م : ٣٧ .

(٦٤) الأيام ، طه حسين ، مؤسسة الأهرام ، ط١ ، القاهرة ، د.ت : ٤٧٩

ومع ظهور الأجناس الأدبية الحديثة كفن القصة و الرواية من خلال الاتصال بالآداب الأوروبية تناقلت قصص الحرب كموضوع رئيسي له^(٦٥)، و افرد بعض الروائيين للحروب الكبرى العالمية عددا من رواياتهم ، فعرفنا الروايات العظيمة على مدار التاريخ التي توثق للحروب مثلما فعل تولستوي في روايته الشهيرة (الحرب والسلام) و تناول فيها الحروب التي خاضتها روسيا في القرن التاسع عشر^(٦٦).

ولم يختلف الأمر في أدبنا العربي فتأثر الروائيون بالحروب وانعكست على نتاجاتهم و حينما امتد اثر الحرب العالمية ليصل إلى الدول العربية ، تناولت بعض الروايات العربية بعض تفاصيلها وهذا ما نجده في رواية (الرغيف) لتوفيق يوسف عواد التي ارتسمت أحداثها في الحرب العالمية الأولى التي انطلقت شرارتها سنة ١٩١٤م ، وشكلت الحرب فيها محور أحداثها^(٦٧) كذلك كتب الروائي حنا مينه روايته (الشراع والعاصفة)^(٦٨) التي تروي قصة بحار فقد مركبه اثر عاصفة هوجاء وتعرف على مناضل شيوعي يعمل على استقطابه للحركة النضالية ضد الاستعمار الفرنسي وتتصاعد أحداث الرواية متأثرة باضطرابات الحروب، وكذلك الروائي إبراهيم عبد المجيد في (لا احد ينام في الإسكندرية)^(٦٩) وتوثق في إطار درامي العلاقات المتشابكة للمجموعات المختلفة من سكان مدينة الإسكندرية خلال فترة الحرب العالمية الثانية، حيث استعرضت العلاقة بين السكان المحليين للإسكندرية والوافدين عليها من دلتا وصعيد مصر، وتناول ومحمد يوسف القعيد الحرب في بر مصر التي تدور أحداثها في قرية مصرية قبل حرب ١٩٧٣م إذ يتصل عمدة

^(٦٥) ينظر : الرواية العربية ومصادر دراستها ونقدها ، د. سمر روجي الفيصل ، ط ١ ، ٢٠١٠ ، ٥٩:

^(٦٦) ينظر : الحرب والسلام ملحمة تلوستوي الخالدة ، زيدون خلدون جميل ، جريدة القدس العربي ،الأيادة العصور الحديثة،

الموقع الالكتروني <https://www.albayan.ae/books/eternal-books>

^(٦٧) ينظر: الرغيف ، توفيق يوسف عواد، مكتبة لبنان ، ط ٧ ،بيروت ، ١٩٨٤ م : ٧ - ٢٢٩ .

^(٦٨) ينظر :رواية الشراع والعاصفة لحنا مينه (السندباد يحلم بالعودة إلى البحر) ، ناصر الحرشي،جريدة القدس، ٢٨/

نوفمبر/ ٢٠١٩ م.

^(٦٩) ينظر: لا أحد ينام في الإسكندرية ، إبراهيم عبد الحميد، منشورات الجمل ، ط ١ ، ألمانيا ، ٢٠٠٢م : ٤٣٤-١.

القرية من إرسال ابنه الأصغر للالتحاق بالجيش وكي لا يُكتشف يقوم بإرسال ابن خفيه التلميذ الفقير^(٧٠) وعلى هذا الحدث تبنى روايته .

و بالتزامن مع احتلال فلسطين فمذ عام ١٩٤٨ م ظهر ما يسمى بأدب المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني و بدأت حرب فلسطين مع الاحتلال الصهيوني أصبح أدب المقاومة موضوعا أساسيا في الأدب العربي عامة والأدب الفلسطيني بشكل خاص ، وعلى رأس هؤلاء الروائيين الروائي الفلسطيني غسان كنفاني حيث جسد هذه القضية في رواية تتحدث عن النكبة (رجال في الشمس)^(٧١) .

كما كتب عدد من الكتاب العرب روايات تتناول النكبة في فلسطين ففي لبنان رواية (باب الشمس)^(٧٢) لالياس خوري ، وفي مصر الروائية رضوى عاشور في روايتها (الطنطورة)^(٧٣) التي تروي قصة عائلة فلسطينية منتسبة إلى قرية الطنطورة تم اقتلاعها من أرضها بعد اجتياح العصابات الصهيونية فتعيش تجارب اللجوء .

كما أن الأحداث التي عاشتها مصر كانت قد ألفت ظلالها على العديد من الأحداث منها رواية (الرفاعي)^(٧٤)، تناولت بطولات العميد أركان حرب إبراهيم الرفاعي مؤسس وقائد مجموعة (٣٩) قتال هذه المجموعة الاستثنائية في تاريخ العسكرية المصرية ، ورواية (أرض.. أرض) لجمال الغيطاني التي تمثل رغبة تحتشد لإزالة آثار العفن والتواطؤ والتراخي وكل ما أدى للنكسة، ولم تكن الحرب الأهلية اللبنانية بمعزل عن التأثير بالأدب العربي من ذلك رواية (شريد

^(٧٠) ينظر: المصدر نفسه :١- ٤٣٤ .

^(٧١) ينظر : قراءة في أدب غسان كنفاني، محمد سالم ، الجزيرة ،الموقع الالكتروني <https://www.aljazeera.net/blogs/2019/2/9> .

^(٧٢) ينظر : باب الشمس ، الياس خوري ،دار الآداب ، ط٦ ، بيروت ، ٢٠١٠ م : ١- ٥٣٠ .

^(٧٣) ينظر : "الطنطورية" : الرواية التي أعادتها مجازر غزة إلى المواجهة ، الجزيرة ، الموقع الالكتروني [/ https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)

^(٧٤) ينظر: الرفاعي ، جمال الغيطاني ، مطبعة الهيئة المصرية ، ط ١ ، مصر ، ١٩٧٠ : غلاف الرواية

المنازل) (٧٥) التي تروي قصة (إيليا الكفوري)، الذي هربت به أمه من دوي الحرب إلى نيويورك) ولم يرجع إلا بعد عشرين عاماً ليسأل في ارتباك عن هويته ، فقد قرّر بعد سنوات العودة إلى لبنان بحثاً عن هويته و (مطر حزيان) (٧٦) لجبور الدويهي ، و روايته (حارث المياه) (٧٧) لهدى بركات تروي قصة رجلٍ معتوه، سلبت الحرب إرادته وعزيمته وأفكاره وبيته وانتماءه، فغداً متشرّداً يفتات ممّا تجود عليه الطبيعة، ويتبارى مع الكلاب الضالّة في تأمين لقمة عيشه ، وكان لفن السيرة الذاتية تأثر بالحرب الأهلية فقد كتبت عادة السمان مذكراتها ووصفت فيها وقائع ومجريات الحرب الأهلية في لبنان ،أما الحرب العراقية - الإيرانية فكان لها تأثير في الأدب العربي من ذلك رواية (أستاذة الوهم) (٧٨) لعلي بدر ، والتي تدور أحداثها في بغداد في العام ١٩٨٧ ، وتحدث عن مجموعة جنود شعراء، يقتلون جميعهم أثناء الحرب العراقية الإيرانية إلا واحد يروي الأحداث فيما بعد . كما إن لحرب الخليج اثر واضح على نتاجات الأدباء منها (جراحات في الزمن الرديء) (٧٩) لخولة القزويني، ونجد الروائي سنان أنطوان يعرض في رواية (يا مريم) (٨٠) لسنان أنطوان الولايات والمآسي التي عاشها العراق والى الأسئلة الشائكة التي تتعرض لها الأقليات والانقسامات الطائفية في بلاد الرافدين ، وهذا ما عبر عنه أدباء سوريا في سياسات اثر الحرب على واقع الحياة مثل رواية الكاتب فواز حداد (السوريون الأعداء) (٨١) .

(٧٥) ينظر: شريد المنازل ، جبّور الدويهي ، دار الساقى ، ط٤ ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٢م : ١ - ٢٨٨ .

(٧٦) ينظر: مطر حزيان ، جبّور الدويهي ، دار الساقى ، ط١ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٦م : ١ - ٢٠ .

(٧٧) ينظر: حارث المياه ، هدى بركات ، دار النهار للنشر ، ط٦ ، بيروت ، ١٩٩٨ م : ١ - ١٧٧ .

(٧٨) ينظر: أستاذة الوهم ، علي بدر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١١م : غلاف الرواية .

(٧٩) ينظر: جراحات الزمن الرديء ، خولة القزويني ، دار الصفوة ، ط١ ، ٢٠٠٦ م : ١ - ١٢٥ .

(٨٠) ينظر: يا مريم ، سنان أنطوان ، منشورات الجمل ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٣ م : ١ - ١٠٠ .

(٨١) ينظر: السوريون الأعداء ، فواز حداد ، الرياض الريس ، ط١ ، ٢٠١٤ م : ١ - ٤٧٤ .

الفصل الأول:

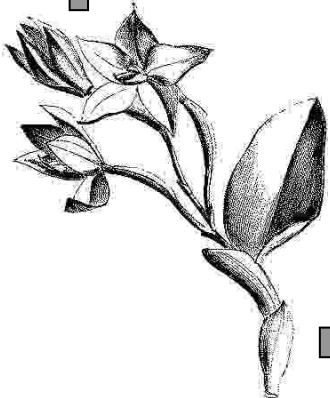
التمثيلات النفسية والعدوانية للحرب

في روايات نجم والبي

المبحث الأول : الاضطرابات والعقد النفسية

المبحث الثاني : التمثيلات عدوانية

الفصل الأول : التمثيلات النفسية والعدوانية للحرب



سعت الرواية منذ بواكيرها لتتناول شتى جوانب الحياة ؛ فيحاول الأديب أن يتناول ما يحيط بالإنسان من خلجات ؛ ومن هذه الجوانب التي تعرضت لها الروايات هي الحرب التي تمثل الغريزة السادية لدى الإنسان ، فهو مجبول على النزاعات في صميم تكوينه ، فإذا قلّ التنازع الفعلي في محيطه لجأ إلى اصطناع تنازع وهمي ليروّح به عن نفسه^(٨٢) ، فهي تصور لنا غياب العقل البشري وتجلي غرائز الإنسان ، وبما أن الرواية "شأنها شأن الملحمة فيما مضى تعطي صورة كاملة عن العالم ، أي صورة عن عصرها"^(٨٣) ، فهي تجسيداً للواقع وكذلك تجسيد لمواقف الحياة وهذا الذي يميز روايات الحروب ويجعلها قريبة من المتلقي ، فهي تعتمد على الحقائق التاريخية ؛ فالسارد يرجع إلى نص تاريخي ليبنى عليه المادة السردية مسلطاً الضوء على المراحل التي مرّ بها الإنسان من خلال تلك الولايات وإطلاق الغرائز دون رقيب على ذلك ، فهي لا تعكس الواقع كما حدث بل تعرض "سلسلة من الأحداث الممكن وقوعها طبقاً لقاعدة الاحتمال والحتمية"^(٨٤) . والحرب هي تشابه الماكينة الضخمة التي تبتلع البشر وكل ما يدور في فلكهم من قيم ومبادئ مخلفة قصصاً ومآسي يضمحل أمامها الوجود الإنساني ويتلاشى بالكامل بحيث لا يصبح هناك شيء يُعاش من أجله فباتت الحرب مختبراً حقيقياً للنفس الإنسانية ، فنجم عنها عنف مفرط و إيغال بالوحشية والسادية و جرائم تخالف الطبيعة الإنسانية.

أخذت روايات نجم والي دوراً وظيفياً لمقاربة الأوضاع السياسية فقام الروائي ببسط أفكاره من خلال العلاقة القائمة بين الحرب والنص .

المبحث الأول : الاضطرابات والعقد النفسية

لا يقتصر تأثير الحروب على إزهاق الأرواح وإنما تخلف الحروب آثاراً نفسية لا تختفي تبعاتها بمجرد انتهاء هذه الحروب بل تستمر بما أحدثته من جروح عميقة ؛ فيعيش

(٨٢) ينظر : مهزلة العقل البشري ، د.علي الوردي ، دار ومكتبة دجلة والفرات ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، د.ت: ١١٠ .
 (٨٣) نظرية الرواية وتطورها ، جورج لوكتاش ، تر. نزيه الشوفي ، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا ، ط ١ ، ١٩٨٧م : ٢٦ .
 (٨٤) فن الشعر ، أرسطو طاليس ، تر. إبراهيم حماده ، مكتبة الأنجلو المصرية : ٣٢ .

من يعاصر هذه الحروب دوامة من الاضطرابات النفسية المزمنة، ويلازمون أنماطا فكرية غير سوية وتكون هذه الأنماط عميقة الجذور في شخصية المصاب بها ، وتؤثر في رؤيته الذاتية لنفسه وتصرفاته تجاه الآخرين فتؤثر في واقعه وفي مناماته أيضا مما يشير إلى أمراض نفسية وعقد دفينه^(٨٥) .

أولا - الاضطرابات والأمراض النفسية :

اضطرابات تنتج عن صدمة نفسية أو ماديّة ، ومن الشائع أن يتعرض لها الجنود أثناء الحروب أو ضحايا الاختطاف والتعذيب فيعاني الفرد من قلق واسترجاع ذهني للأحداث على شكل كوابيس وصعوبات في النوم و فرط اليقظة ويتجنب الفرد الأمور والظروف المرتبطة بالصدمة ، من دون أن يكثر عاطفياً لما يدور حوله ، وليس فقط الأشخاص الذين عاشوا صدمة وحدهم من يتعرض للاضطراب النفسي فقط بل الأشخاص الذين شهدوا أحداثا معينة كالاغتصاب أو القتل أو تدمير أو تهجير وهو يطال مختلف الفئات العمرية^(٨٦)

١- الكوابيس وأحلام اليقظة :

إن حياة الإنسان الماضية كلها محفوظة في ذاكرته حتى التفاصيل الدقيقة التي لا يابها بها ولا يعتد بها ؛ وان هذه الذكريات هي قوة ديناميكية كلٌّ منها تكافح لاستعادة ضوء التذكر الشعوري ؛ وفي خلال اليقظة تكبت بواسطة بواعث اليقظة ثم لتعود للظهور خلال الأحلام والكوابيس بموضوعاتها السلبية ، فالكوابيس ما هي إلا حصيلة صدمة نفسية ورد فعل عصبي اتجاه التهديدات الحياتية ومعظمها يدور حول التهديد الموجه إلى شخص أو مما يحبه الفرد^(٨٧) . ومن الطبيعي أن تُصور روايات نجم والي الكوابيس وتعرضها؛ لأن الحروب العنصر الأساسي فيها وقد عرّض أبطال الرواية عموما والجنود خصوصا لمشاعر الخوف التي انتابتهم سواء الخوف على النفس أو على الأهل وهذا ما حصل في رواية (الحرب في حي الطرب) للجندي (محمود) عندما سأله (عدنان):

^(٨٥) ينظر : سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النفسي ، غسان يعقوب، ط١، دار الفرابي ، ١٩٩٩م: ٤١ - ٥٦

^(٨٦) ينظر: أطفال فلسطين و إرهاب الصهاينة المعتدين ، د. موسى عبد القادر العزه ، الجنادرية للنشر والتوزيع ، ط١، عمان - الأردن ، ٢٠١٦ م : ١٠٣ .

^(٨٧) ينظر: أبواب العقل الموصودة (باب النوم وباب الأحلام) ، د. علي كمال ، الدار العربية ، بغداد ، ط٢، ١٩٩٠م: ٥٣ .

" ألم تتم ؟ ... "

فقال له:

- لقد حاولت ولكن الكوابيس لا تدعني أنام .

سكت ، ثم أضاف بصوت متردد :

- عدنان أنت مثل أخي. هل تعلم بأني أحلم دائماً بامرأتي وهي في حضن مصري^(٨٨). فإن قدرة الآخر على تشتيت تركيز الرجال في جبهات القتال وجعلهم أسرى التفكير بمن تركوهم خلفهم في المنازل من نساء وأطفال ينتج من خلال بث الإشاعات في الحرب ؛ ولأن الجندي في ساحة القتال يكون مرهف الحس أكثر من أي وقت آخر بسبب فراق الأهل وضغط الحرب ، ف " يمكن للإشاعة استغلاله بحيث تمسّ هذا الجانب لتدفع به في النهاية إلى الاستسلام أو الفرار بقصد الاطمئنان على الأهل"^(٨٩) فكان الكابوس مرتبطاً بالمرأة الزوجة لأن المرأة هي الضحية الأكبر في الحروب و إحساسها بالرخص والفقد والخذلان والتعرض للتعنيف والاعتصاب كل هذا جعل الكوابيس تراود محمود كلما همّ بالنوم .

وقد لا تكون آثار الحرب النفسية متزامنة مع ساحة القتال فحسب فقد تكون الكوابيس مرافقة لأبطال الرواية حتى بعد عودتهم من ارض المعركة ، فبطل رواية (تل اللحم) (نجم عاد من الحرب العراقية الإيرانية إلا أنه لم يستطع نسيان آثارها المترسبة في وجدانه وقد نعتها مراراً (بالقيء)^(٩٠) . فكأنها أكلة فاسدة لا تستطيع ذاكرته هضمها.. لتتحول إلى أحلام سيئة تراوده ، فالحرب شغلت ذاكرته واستحوذت على واقعه أيضا فيقول (نجم) في منلوج داخلي : " أنها انتهت بالطريقة والنهية اللتين شاءت لها الأطراف المتحاربة أن تنتهي إلا أنها لم تنته لنا ، نحن الذين استقبلنا قيئها " ^(٩١) . وقد يجد الإنسان النوم وسيلة للهروب من

(٨٨) الحرب في حي الطرب ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ٢٠١٩ م : ٩١ .
(٨٩) المرجع في الحرب النفسية دراسات عسكرية ، العقيد مصطفى الدباغ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م : ١١٠ .
(٩٠) ينظر : تل اللحم (قصة مرايا سيد مسلط) ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٨ م : ١٤ .
(٩١) المصدر نفسه : ١٤ .

الواقع^(٩٢) . فكانت نتيجة هذه التجربة التي مر بها (نجم) الخلط بين الواقع والخيال والنوم المتأرجح المليء بالكوابيس فبدأ (نجم) بالهلوسة " لبرهة اختلط عليّ كل شيء، ولم أعد أميز ما يحدث ، أقصد التمييز بين الحقيقة والوهم ، بين الحلم والحياة ، وبين الكابوس وبين الأمنية ... أصبح من الصعب التمييز لواحد مثلي لم يغادر الصوفا التي استرخي فوقها " (٩٣)

فالروائي اعتمد على رسم صورة للشخصية يختلط لديها الواقع مع الوهم وصعوبة التمييز بينهما ؛ فالإنسان عند نومه قد يتأثر بالمنبهات الحسية الخارجية ؛ ف (نجم) متأثر بصوت المذيع القادم من الراديو الذي تركه مفتوحاً وهو ينقل خبر انتحار (الجنرال بلزاك) في تل اللحم ، فالمذيع بوصفه منبهاً حسيّاً خارجياً قد اثر على أحلام (نجم) ليجعلها تتحول إلى كوابيس حتى أنه تصور تخيلات تأخذه إلى عالم تل اللحم كشعوره بدبيب النمل في جسده وهو نائم ؛ لأن (تل اللحم) ما هي إلا مقبرة تضم مخلفات الحروب والموت ، وهذا التصوير هو من احد اللمسات الخاصة لروايات نجم والي فيختلط الواقع مع الخيال وهو أحد مكامن الخلق الفني الذي يتميز به إبداع الروائي نجم والي ؛ فنجد هذا الأثر النفسي الذي تتداخل فيه الحقيقة مع الوهم ماثلاً في رواية أخرى وهي (صورة يوسف) ، ولكن بطريقة مغايرة تنحرف به إلى عنصر الغموض والإيهام ؛ فتتبدل سمات الشخصية الواحدة عن طريق تبديل الأدوار بين شخصيات الرواية ، فبطل روايته (يوسف) لجأ إلى التزوير للتخفي خوفاً من التجنيد الإلزامي فتقمص شخصيات عدة ومن بينها شخصية أخيه يونس (الجلاد) ؛ ليعيش هذه الشخصية بكل تفاصيلها وليزاول حياتها الخاصة وهمومها ؛ لتتحول هذه الهموم فيما بعد إلى كوابيس تراود يوسف فكان يتلقى اتصالات هاتفية تتكرر فيقول على لسان الراوي " كانت الساعة قاربت الرابعة فجراً ، عندما استيقظ يوسف ماني من نومه ، على صوت يقول له محذراً : (حان وقت قيام الساعة، وعلى القاتل تسديد ديونه) . لم يكن كابوساً مألوفاً ، مثل تلك الكوابيس التي بدأت تزوره في الأيام الأخيرة ، منذ أن بدأت

(٩٢) ينظر : أبواب العقل الموصودة (باب النوم وباب الأحلام) : ١٩٧ .
(٩٣) تل اللحم : ١٤ .

المكالمة التلفونية ذاتها تتكرر بإلحاح^(٩٤) . فالتزوير وهو احد مخلفات الحرب هو نوع من العيش بالوهم يجعل صاحبه يخلط بين الوهم والحقيقة وخصوصا إذا أجاد تمثيل دوره الجديد ؛ فالهروب من الواقع واللجوء إلى الوهم هو أحد الوسائل التي يلجأ إليها الإنسان جاهداً للبقاء على قيد الحياة ويتخذها مهرباً من الموت وما فرضته الحرب عليه ؛ لأن تقمص الوهم يعد منفذاً ناجحاً للتمسك في الحياة رغم صعوبة أداء وتقمص لشخصية جديدة و يبقى يعيش حالة من الخوف خشية اكتشاف أمره ولكنه يرى أنها الوسيلة الوحيدة للنجاة من محرقة الحرب وموتها المؤكد .

إن مشاهد السعادة والأمل والحب الناجح والتفاؤل والرومانسية قد غابت من هذه الروايات وان وجدت قصص حب فهي متشحة بالخوف الدائم ؛ ومن ذلك عرض واقع المرأة البائس في رواية (الحرب في حي الطرب) ؛ لأن المرأة في هذا الحي قد اتخذت جسدها سلعة للتكسب وفقدت الحق بكل شيء حتى حقها أن تترك العمل بالبيع والتجأ إلى عمل شريف أو حقها بالزواج أو الهروب من هذا الحي لتعيش حياة جديدة . ومن ذلك (سليمة) احد النساء اللواتي عشن في هذا الحي اضطرت إلى بيع نفسها ، وعندما التقت بـ (علي) وهو احد الجنود الفارين من الحرب وجدت فيه ملاذاً آمناً لأنه بنظرها بعيد عن العالم المُنْدىس و العلاقة التي كانت تربطهم علاقة حب لا يشوبها دنس الرذيلة التي ترتبط بالمال . فعلي لعب دوراً بارزاً في حياة الفتاة العجورية من خلال تقبل العرق العربي للعرق العجوري وكانت (سليمة) تخاف أن تحرمها السلطة الاجتماعية من علي ؛ فالروائي لم يغفل أن السلطة السياسية فرضت على جميع أفراد المجتمع و أخذت حصة الأسد من باقي السلطات لأنها كانت مدعومة بأفراد الحكومة والدستور والقانون الذي كان يمنع أفراد العجر من حق الحصول على هوية الأحوال المدنية ، فإذا كان النسق السياسي والاجتماعي العربي يرفض العجر فإن العجر أيضاً يرفضون العرق العربي لأن الفرد العجوري لم يعترف بالفرد العربي إلا إذا تخلى عن عرقه ويتحول إلى فرد عجوري يقنط معهم ويمارس طقوس حياتهم ولا يغادرهم ابداً نتيجة لذلك كانت سليمة تخاف أن تحرمها الحرب منه فراودتها الكوابيس كوابيس الفقد ؛ لأن حبيبها ملاحق من السلطات فراح الراوي يخبرنا بتفاصيل الكابوس " لم

^(٩٤) صورة يوسف (حكاية حانة المدينة) ، نجم والي ، الرافدين ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٢١ م : ٢٣ .

يغزها النوم فقط ، انما تكالب حول البيت ، حول الغرفة رجال لا تستطيع عدّهم .ربما كانوا آلافاً .سحنات خليجية بزيبها ولهجتها من المستحيل إحصاؤها. لكنهم يتقدمون وهي تقف خائفة . عند العتبة خلفها لاذ علي بالصمت . وعندما التفتت خلفها لتطمئن عليه كان ممدداً بتابوت ، وبدل أن يُلف بكفن أبيض كان ملفوفاً بدشداشة خليجية أذيالها مطرزة بالذهب .»^(٩٥)

وقد تؤنسن الكوابيس لتكون كالوحش الكاسر إلا أن هذا الوحش سيكون أليفاً أو روتينياً إذ ما قورن ببشاعة العالم وهيئة الحرب الممسوخة ، ومن ذلك ما جاء بصوت (راوي بغداد) في رواية (بغداد مالبورو) وهو يواسي نفسي "هل تعرف أنّ من تُثقل على نومه ليلاً كوابيس وأحلام يظن أنها مسألة وقت وسيعود كل شيء إلى وضعه الطبيعي ... كلما نمت هجمت عليّ كأنها انتظرت اللحظة التي أغفو فيها ، لكن في كل المرات تلك بتكرارها أو قوتها كنت أقول لنفسي: لا بأس عليك "^(٩٦). فهنا تُرجح كفة بشاعة العالم إذا ما قورنت ببشاعة الكوابيس المظلمة ، فالكوابيس والأحلام هي إشارة إلى فوضى الحروب والقتل الذي يجري في العالم ويدفع ضحيته الإنسان البائس الذي يفتقر إلى كل مقومات العيش الكريم ؛ فتكون حياته دائماً في خطر وتُستباح في كل الأزمنة والأمكنة عموماً وفي العراق خصوصاً .

وهذا الكابوس الذي تخلفه الحرب هو واحدٌ و إن اختلفت البلدان ، فالدمار والخراب يلحق الإنسان إلى عالم أحلامه ليحولها إلى عالم كوابيس سوداوي وربما يمتزج السواد بالدماء وهذا ما عرضه نجم والي في رواية (إثم سارة) التي تصور أثر حرب الخليج والدمار في المناطق العربية التي نالتها نيران الحرب ف (سارة) بطلة الرواية استيقظت احد الأيام مذعورة في لحظة امتزج بها الواقع مع كوابيس النوم إذ إن الأحداث الحقيقية للحرب أثرت بها شخصياً ومنها اختفاء صديقتها (الهنوف) حتى إن هذا الكابوس ذكرها بتجربة تحولها من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ هذه اللحظة الفارقة في تاريخ كل أنثى " عندما نامت في الليل وهي تحضن الرسالة التي سلمتها لها الخادمة آشا في نهار ذلك اليوم ، حلمت

^(٩٥) الحرب في حي الطرب : ١٧٩

^(٩٦) بغداد مالبورو (من أجل برادلي مانينك) ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠١٨م : ٢٤٧.

بصديقتها ، كيف أنها سقطت في هاوية عميقة ، تبكي وتصيح بها ، تطلب منها أن تمدّ لها يديها لكي تنتشلها من هناك ، كان الحلم اقرب للكابوس ، وبدل أن تمدّ يدها ناحية صديقته شعرت بيديها ملفوفتين حول صدرها منذ زمن طويل ، بالضبط كما كورتها حول جسمها في ذلك الصباح الذي استيقظت فيه على دم العادة الشهرية وقد لطح فخذيهما^(٩٧) .

وتكون الأحلام أكثر إلحاحاً فيلجأ إلى أحلام اليقظة لينفس بها عن همومه الكامنة فعندما لا يستطيع الإنسان التعبير عن انفعاله واقعاً ويضطر إلى كبت إحساسه ومشاعره سيتحول هذا الإحساس إلى خيالات وعالم ينسج أحداثه كما يشاء هروباً من الواقع المعاش ونجده عند ذلك منطوياً على نفسه ، إذ هو يتخيل ما يشتهي فيتكلم بصوت مسموع ويحرك يديه ويهدد ويعربد ، كأنه يرى الأمور واضحة بين يديه ، فكان لتعسف السلطة دوراً كبيراً لتأجج تلك الأحلام والتخيلات بين صفوف الجيش العراقي ؛ ولا تخلو هذه الأحلام اليقظة عندهم من جانب كبير من العنف بأنواعه اللفظي والجسدي ؛ فيندفع بها الإنسان غاضباً أو شاكياً بالرغم من وجود الناس من حوله ، وعادة ما يصور الشخصية بأنه متيقن أنه سينتقم لكن على طريقته فيتصور أحداثاً ويتحول بها من الشخصية الضعيفة إلى الشخصية المتنفذة ويعيد تبديل الأدوار ليكون هو البطل في الرواية الجديدة لتولد من رحم الرواية قصص أخرى بطلها هو وهذه سمة أحلام اليقظة فـ " محتواها الفكري يستحيل إلى صور حسية يضيف إليها المرء تصديقه ويعتقد أنه يعيشها "^(٩٨) . فما يعيشه الجندي من ضغوط نفسية أثناء الحرب تجعله يدخل بدوامة من التخيلات فنرى (عدنان) في رواية (الحرب في حي الطرب) ، كان يحلم بتعذيب القائد بطريقة سادية تبين مدى غضبه وكان فرحاً بهذا الحلم الذي يعده اكبر انجازاته على الرغم من أنه كان يعلم أنه يحلم فقط ، وكان يهدد كل من يعتدي مفتخراً يقول له : حسناً " سأحلم بك "^(٩٩) .

أما (صالح) في رواية (مكان اسمه كميث) فكان رأسه مليئاً بالأفكار العنيفة وأمنيات لا يستطيع تحقيقها في الرد على كلام المتحزبين " بينما تظن في الرأس فكرة واحدة : كم

(٩٧) إثم سارة ، نجم والي ، دار الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٨ م : ١٢٤ - ١٢٣ .

(٩٨) تفسير الأحلام ، سيجموند فرويد ، ت. د. مصطفى صفوان ، دار المعارف ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٤ م : ٥٢٧ .

(٩٩) الحرب في حي الطرب : ١٣٢ .

من السهل النهوض من مكانه ، وقلب المائدة في وجوههم ، ما الذي حصل له ؟ هل هو على مطب هلوسة غير عادية ؟ دوامة من الأسئلة تتزاحم في رأسه . برهة يستسلم لها ، ليعود لنفسه "(١٠٠)". فالخوف يستطيع أن يوقف جميع التخيلات ؛ لأنه إذا استمر بها ستتحول إلى واقع لا يحمد عقباه .

٢- هواجس قتل النفس :

هو " فعل ناجم عن اليأس يقوم به شخص لم يعد متعلقاً بالحياة "(١٠١). يعرف عالم النفس هليفاكس الانتحار "حالة الموت الناتج عن فعل يأتيه الضحية بنفسه بقصد قتل نفسه وليس التضحية بها لشيء آخر ، أي هو موت إرادي يقدم عليه الفرد للخلاص من مشاكله"(١٠٢).

يرى نيتشه أن هناك نوعان من الموت: الموت الطبيعي، الموت الحتمي، والموت الاختياري وهو الانتحار. وأكبرها هو الموت الطوعي. النوع الأول من الموت هو الموت الذي لا علاقة له بالإرادة، الموت في وقت غير مناسب. أنه موت جبان. لذلك يجب على المرء أن يختبر الموت بطريقة أخرى: أن يريده أن يموت بحرية ووعي، دون صدفة أو حادث(١٠٣).

تشير العديد من الدراسات حول الانتحار إلى أن محاولات الانتحار هي استجابة لأزمات ظرفية وأن هذا يزداد في أوقات الحرب والأزمات الاقتصادية(١٠٤).

فالانتحار رد فعل مأساوي لمواقف الحياة المجهدة ، لأن قدرة الإنسان على التصدي للآلام محدود ، وبما أن الحرب باعتبارها اضطراباً اجتماعياً حاداً دمر التوازن الثقافي والنفسي لدى الفرد العراقي ، فمن الطبيعي أن ينعكس هذا الأمر على روايات الحرب لتجسد بصورة واقعية الاضطراب لأن الرواية " تسعى لأن تمثل الحقيقة ، وتعكس مواقف الإنسان ،

(١٠٠) مكان اسمه كميت ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٢٠ م : ٤٤ .

(١٠١) الانتحار ، إميل دوركايم ، ت. حسن عودة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، ط ١ ، دمشق ، ٢٠١١ م : ٩ .

(١٠٢) نقلا عن : أدباء منتحرون (دراسة نفسية) ، مكرم شاكر اسكندر ، دار الراتب الجامعية للنشر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٢ م : ٩٨ .

(١٠٣) ينظر : نيتشه (خلاصة الفكر الأدبي) ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٥ ، ١٩٧٥ م : ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(١٠٤) ينظر : أدباء منتحرون (دراسة نفسية) : ١٣ .

وتجسد ما في العالم ؛ أو تجسد من شيء مما فيه على الأقل^(١٠٥)، إن التغيرات التي تصيب النسق الكلي - المجتمع - تمس بشكل أو بآخر النسق الأسري ومن ثم الأدوار والسلطة داخل الأسرة وهذا ما نراه جلياً في رواية (الحرب في حي الطرب) فأحد الشخصيات (نديم) يزهق روحه بسبب ضغط الأب والسلطة الأبوية التي يمارسها على أولاده ،كل من : (سليم ،وعدنان ،ونديم) فقد التحق الأخ الأكبر بالعمل الفدائي بالأردن وانقطعت أخباره أما عدنان قد التحق بالجيش إلا أنه بقي يكن العداوة والكره لأبيه ؛لأنه يحس بأن أباه قد تسبب باختفاء (سليم) ، مما جعله يحاول الانتقام منه عن طريق إقامة علاقة غير شرعية مع زوجة الأب ، فالشخصية (الأب) تخالف التمثلات الدينية والتقاليد الاجتماعية وكان عدنان عادة ما يصف الأب (بعباد الدراهم) ؛ فالأب بسلطته كان يريد الحفاظ على نسق العائلة و زيادة أموالها ؛ ولكن الأولاد لم يطبقوا هذه السلطة والحياة التي رسمها مما جعل نديم يحاول الهرب من السلطة الأبوية الصارمة واتخاذ مصير الحرية رغم صعوبته فلا يريد مواجهة مصير الالتحاق بالجيش مثلما فعل أخواه السابقان ، وهرباً من والده الذي كان يقول لهما :

" - أنني لست على استعداد لإيواء ابنين عاقين لا همّ لهم سوى معارضة (الله) ، أبيهم ،الحكومة)"^(١٠٦). فقد استمد الأب من سلطة الحكومة شرعيته وربط هذه الشرعية بالدين سلطة (الأب البايولوجي) ثم بالحكومة باعتبار القائد في هذه الدولة هو أب روعي ف شخصية الأب في الرواية شخصية منعدمة القيم يتضح ذلك لأنه ربط بين التقديس (الله) وبين (الأب والحكومة) وكلاهما في النص سلبي لأن الأب مختل القيم لا همّ له سوى مصلحته أما الحكومة فقد جعلت من الناس أدوات " فهم مادة بتصرف سلطات مثلث الحصار والهدر ؛ يتم التلاعب بهم ومصيرهم لخدمة سطوة السلطة وتوطيد أركانها"^(١٠٧). وكان مصير نديم الانتحار الذي وجده ملجأ للهروب من خدمة هذه الحكومة " لقد قاوم نديم ذلك حتى هدده أبوه بالطرد. وقف نديم ذات مساء فوق سطح الدار وسكب فوق جسمه كمية من النفط

(١٠٥) في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، د. عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، ط١، الكويت ، ١٩٩٨م : ١٢.

(١٠٦) الحرب في حي الطرب : ٨٢.

(١٠٧) الإنسان المهذور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية) ، د. مصطفى حجازي ، المركز الثقافي العربي ، طه ، الدار البيضاء - المغرب ، ٢٠١٩ م : ٣٨.

وأشعل عود الثقاب "(١٠٨). فلجأ نديم للانتحار هو الذي كان يحلم بعيش بحرية وسلام إلا أنه لم يستطع مجابهة ضغط السلطة الأبوية . وعلق عدنان على حادثة أخوه قائلاً "بالنظ نحيا ونموت " (١٠٩).

إنّ من آثار الحرب أنها هدمت العلاقات الأسرية التي كان من المفترض أن تكون وطيدة كعلاقة الأب بأبنائه ؛ وغيرها من العلاقات الأسرية وجعلت هذه العلاقات تنهار في خضم أحداثها إلا أننا نجد في مواضع أخرى من الروايات أن الحرب قد أصبحت عامل جمع وربط وخصوصاً بين الجنود ، فجمعتهم علاقات حميمة وتشاركوا الطعام الشحيح والضحكات وحتى الأمنيات ومن ذلك (سلمان) الجندي في رواية (بغداد مالبورو)، الذي كان يدون أمنيات زملائه في دفتر خاص بالأمنيات ، وقد فقد هذا الدفتر فيما بعد في الجبهة مثلما فقد اغلب رفاقه ولم تكن حوادث الفقد هذه لتمر عليه بدون أن تترك أثراً نفسية ففقدان الدفتر الذي دون فيه سلمان الذكريات هو دلالة على فقدان أصدقائه من الجنود وان مصيرهم هو الموت بسبب الحرب وحتى سلمان نفسه لم يسلم من الموت وإن لم يُغيب جسده بل مات شخصاً سوياً وأصبح إنساناً مهوساً بالخوف والرعب والاضطراب النفسي فبعد أن فقد احد أصدقائه وهو (نهاد)، عاش حالة من الاضطراب جعلت هذه الحادثة تتكرر في مخيلته مرارا وتكرارا ، فيتفاعل معها بكل جوارحه فقرر الهرب فرارا من نفسه "ليس غير الهرب وضعه أمام عينيه إلى أي اتجاه تختاره قدماه . المهم الركض أو الزحف ، إذا استدعت الحال ، لكن ليس غير الركض ثم الركض في النهاية إلى عمق الصحراء ، العثور على طريق ، المهم أن يحفر بسطاله طريقاً بعيداً عن طائرات الآباتشي والأسلحة الرشاشة... كل ما يمكن أن يقوله أنه تاه . أو سقط بسبب العطش و الجوع بسبب انهيار قواه ولحسن حظه عثر عليه بعد يومين أو ثلاثة من هروبه بدوي في الصحراء حمله إلى قرية قريبة وعندما صحا طمأنه البدوي قائلاً : لا تخف ، أنت في صحراء السماوة وجدناك مطروحا تهذي على الأرض ، مكث عند البدوي لمدة شهرين أو ثلاثة ليس لأن شفاءه استغرق كل هذا الوقت بل لأنه هو الذي طلب من البدوي أن يبقيه عنده . كان بحاجة لأن

(١٠٨) الحرب في حي الطرب : ٧٦ .

(١٠٩) المصدر نفسه : ٧٦ .

يستريح . وعندما وصل البيت لم يقل لأمه ، أين كان كل هذه الشهور كما لو كان عاد للتو من الجبهة سيراً على الأقدام" (١١٠) . وحتى بعد قرار الهروب هذا لم تتحسن الأمور ولم يجد له علاجاً يخفف آلامه وهو أجسه .

فيقول (راوي بغداد) أن سلمان " فكر بالذهاب إلى المستشفى المجانيين للعلاج، خاف أن يضحك منه الأطباء ، فكر أنه ربما سيشفى إذا توقف عن قراءة الكتب وكتابة الشعر ، بل ماذا لو تزوج ، وعندما رأى نخيل قال ، ها أنا ألتقي بالمرأة التي تعيد لي الحياة ، ثلاث سنوات أو أكثر عاش معها . استرد عافيته بعض الشيء وتصالح مع نفسه إلى حد ما . تصالح مع النوم أيضاً ومع الكوابيس ولم يعرف أن الأمر يحتاج مناسبة واحدة ليعود وينفجر من جديد . كان عليه أن ينتظر ظهور وليم في التلفزيون لكي يتذكر ما جرى على الجبهة في تلك الليلة بكل تفاصيله الواضحة والغامضة المتلبسة أيضاً . لكي يتذكر كم هي سعادته هشة ، كم هو مؤقت فرحُه وأن ما حدث له عند خطوط النار لا شفاء له ولا عزاء" (١١١) .

وعلى الرغم من إن من حوله كانوا يعتقدون أنه سيعود إلى سابق عهده ومن هؤلاء أمه التي " ظنت أنه سيعود بهذا الشكل إلى رشده ولو لم تدرِ أن كل مال العالم لن يعيد لسلمان الحياة فهو ومنذ عودته من حفر الباطن تحولت إلى ظل سلمان ، ظل محطم لذلك الشاعر الذي كان أصلاً حزيناً . وهذه المرة أضيف له الخراب" (١١٢) .

فقد خلفت له هذه الحالة ضغطاً نفسياً تجاوزه لا يمكن فينزل عن الحياة عن أسرته ويعيش حالة من الذعر والخوف وسرعة الغضب وهي أعراض ما يسمى كرب ما بعد الصدمة أن كل ذلك كان كفيلاً أن يقوده إلى محاولة الانتحار" ثلاث محاولات للانتحار قام بها بعد ذلك" (١١٣) . فالانكسار النفسي يطغى على شخصيات روايات نجم والي ؛ وأصبح الموت نسقاً مهيمناً في التعبير عن أزمة الإنسان العراقي المنسحق وسجلاً لكشوفات الواقع الفاسد ، ورسمت رؤية تشاؤمية لما وصلت إليه الأمور ؛ وفضاءً دلاليًا للشروخ النفسية والسياسية داخل بنية المجتمع .

(١١٠) بغداد مالبورو : ١٠٢

(١١١) المصدر نفسه : ١٠٢ - ١٠٣

(١١٢) المصدر نفسه : ١٠٢ .

(١١٣) المصدر نفسه : ١٠٢ .

فالحرب قد شكلت مصدر الم وحزن وانكسار لا يمكن تجاوزه عند اغلب شخصيات نجم والي ؛ لأنها قد تكون مصدر رزق وسعادة لأشخاص آخرين يجدون في نهايتها نهاية لهم ، ومن ذلك (الجنرال بلزاك)، الشخصية التي عرضها السارد التي كانت تجد في (علي بابا) ملهما لها على الرغم من أنها شخصية من نسج الخيال إلا أنه كان متأثرا بها إلى درجة جعلته ينتحر؛ لأنه لم يستطع تحقيق طموحه وهو التجسد بهذه الشخصية ، وكان يقول قبل انتحاره خذوا كل شيء واطركوا لي علي بابا^(١١٤) ، وبذلك وجد أن نهاية الحرب هي إلغاء لوجوده.

إن موضوعات الحرب في روايات نجم والي لها أبعاد متعددة تتناسب مع طبقاتها السردية والملحمية ، فالرواية تتحدث عن فجائع خلفها حطام الحرب وهي فجيرة التاريخ، وفجيرة المرأة وفجيرة الحب وتم استجلاء السرد البشاعي للحرب عبر الحب الفاشل و العلاقات الاجتماعية المنهارة لإنسان لا يملك غير ذاكرة مدمرة ونفسية مضطهدة وتم التعبير عن رماد الواقع ورصد الخراب والدمار ؛ لأن الحرب هي ساحة مليئة بالحرز والضغوطات أدت إلى ظهور انحرافات كانت كفيلة للجوء إلى الانتحار للتخلص من هذه الضغوط .

إنَّ المبدع وإنما يلتقط الحالات السلبية التي قد لا يلتفت إليها الآخرون وهنا تكمن قيمة إبداعه وتنبؤه بما يحصل للمجتمع فقد صور نجم محيطه بصورة مجتمع فاقد للمبادئ والقيم نتيجة الحروب التي سيطرت على المجتمع انحرافات أخلاقية كانت كفيلة باللجوء إلى الانتحار للتخلص من الضغوط النفسية وخير ما يمثل هذا شخصية (رباب) التي أحببت (ملهم) لكن ملهم قد خانها فيما بعد مع (وجبهة) وهي إحدى أبطال الرواية و حبيبة الراوي (نجم) ، فالخيانة جعلت رباب تفكر بالانتحار مرارا فمرة عن طريق رمي نفسها في النهر ، و الثانية محاولتها شق شريانها في الطول لأن احتمالات النجاة وفق الطريقة التي قامت بها صفر إلا أن كل هذه المحاولات كانت نتائجها فاشلة^(١١٥).

^(١١٤) ينظر: تل اللحم : ١٨٠

^(١١٥) ينظر: تل اللحم : ١٨٠ .

إما الطريقة الثالثة حينما جمعت أوراق الصحف المرمية في الردهة في المستشفى و أشعلت النار فيها^(١١٦). والرابعة حين حاولت شنق نفسها بلف سلسلة التواليت على رقبتها . والمحاولة الخامسة حين بلعت قنينة صغيرة من إبر البنسلين فأجروا لها عملية ، استخرجوا الزجاجاة منها . حينها قررت ترك فكرة الانتحار^(١١٧). باقتناعها بعدم جدواها . فالحرب أنهت إنسانية الإنسان وسدت كل منافذ الأمل في الحياة مما جعلتها سوداوية فحولت الإنسان من ايجابي إلى سلبي يفكر بأقرب وسيلة هروب من الحياة وعدم مواجهتها ؛ فتحولت شخصيات المجتمع إلى شخصيات فاقدة لكل شيء منهاره انهزامية ، وعلى الرغم من كل هذه المحاولات يصور لنا الروائي أنها شخصية ضعيفة لا تمتلك قوة إرادة حتى في إتمام عملية موتها فهي ضائعة وعبثية.

ولا بد للدمار الذي خلفته الحرب أن يلقي بضلاله على المرأة ، فضلا عن أن العلاقات القائمة في الأسرة العربية المتسلطة هي علاقات قوامها مركب العلاقة بين القوي والضعيف ، فالنظام البطريركي العائلي هو أساس لسيطرة مزدوجة سيطرة الأب على أفراد العائلة وسيطرة الرجل على المرأة فالذكر يخضع للوالدين ، أما البنت فهي تخضع لهما ولإخوتها الذكور ، كما أن النظام البطريركي يسلب المرأة شخصيتها ويجعلها تابعة للذكور من أفراد أسرته ومن ذلك سامية احد أبطال رواية (مكان اسمه كميت) والتي كانت على علاقة حب مع (عبد الحسين الدلال) إلا أن أخيها (عصام ماهدود) الذي كان ينتمي للحزب الحاكم عمل على تفسيره على الرغم من أنه كان يعرف بحبها لهذا الشخص ؛ وهي لم تحاول منعه من تفسيره إلا أنها تقدم على الانتحار شنقا أمام بيت حبيبها بعد معرفتها أن أخاها قام باغتصاب خطيبته ماجدة يقول الراوي على لسان ماجدة " وُجدت جثة سامية معلقة على أحد أعمدة التلغراف عند باب عبد الحسين الدلال "^(١١٨) ، إن العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة في ظل النظام السائد هي علاقات عامودية يشكل الذكر محورها تجاه الإناث فسلطة الرجل تكون مطلقة وقائمة على رفض النقد وغياب الحوار بالمقابل تسود قيم الخضوع من طرف المرأة اتجاه الرجل ؛ فتبدو القيم الروحية والأخلاقية بالنسق الاجتماعي وهي تتكئ كليا على القيم

^(١١٦) ينظر : المصدر نفسه: ١٨٠ .

^(١١٧) ينظر : المصدر نفسه: ١٨٠ .

^(١١٨) مكان اسمه كميت : ٩١ .

المادية ، فكل شيء بنصب على الشرف المادي وبهذا نفهم الرقابة الممارسة على المرأة ومفهوم الشرف يقوم بحفظ المرأة وهذا التناقض بين تصرفات (عصام ماهود) ومع أخته فيختلط مفهوم الشرف عنده ،وبذلك كان الانتحار بالنسبة للمرأة منقذاً ، لأنها لم تستوعب السلطة المتغترسة المطبقة عليها وهذا قريب من قصة (منار) التي عرضها نجم والي في رواية (عمتي الرومانتيكية)، والتي أجبرت على العمل كراقصة في السهرات الليلية التي كان ينظمها أحد الضباط المنتفذين في السلطة ، فكان الانتحار خياراً امثلاً لها " الانتحار . و فقط هذه المرة تركوها ، فتاة محروقة لم تعد مغرية لهم ، كأن منار عرفت ذلك ، لكي تعيش حياة سوية ، من دون منغصات ، عليها أن تمحو جمالها "(١١٩).

كان نجم والي يعرف أن سلطة المال وسلطة الأسرة وسلطة المجتمع تحتاج أن تكون ارسخ في مجتمع تدور السلطة فيه بين هذه الأقطاب لذلك صور الدين بهيئة سلطوية ، فهو يقف حاجزاً يمنع الانتحار ويحوّله إلى رغبات مكبوتة ؛ فمناظر العنف والقتل ورؤية الجثث متناثرة كفيلة لدفعهم إلى الانتحار لكن بسبب حرمة الانتحار عدلوا عنه "لو كنا يابانيين ل فعلنا كما فعلوا بعد اندحارهم في نهاية الحرب العالمية الثانية ، وانتحرنا . ولكننا مسلمون "(١٢٠).

٣ - الخوف :

الخوف هو شعور أو إحساس ناجم عن التهديد ، ولا يجب أي إنسان الإحساس به و " الخوف ينشط حين يقترب الشخص من الموقف المهدد غير أنه قد ينشط كذلك بمجرد أن يتحدث الشخص عن موقف خطر أو يفكر فيه أو يتخيله "(١٢١)، ففي العصور البدائية، كانت عواطف الخوف توجه نحو مصادر الخطر الطبيعية الخارجية وكان الإنسان يقدها ويُجسدها في آلهة وثنية مرهبة، و تحول هذا الخوف في العصور اللاحقة إلى خوف من

(١١٩) عمتي الرومانتيكية ، نجم والي ، دار روايات للاصدارات ، ط ١ ، الشارقة - الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٢٣ م :

١٥١ .

(١٢٠) صورة يوسف : ٧٩ .

(١٢١) الخوف الاجتماعي وعلاقته بنمطي الشخصية ، حسن خزعل محمد ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، ط ١ ، بغداد - العراق ، ٢٠١٨ م : ١٤ .

الإنسان نفسه بسبب الصراعات السياسية والسيطرة الاقتصادية والفكرية^(١٢٢)، فأصبح الخوف ثقافة تتجلى في المجتمع وانعكست على البيئة الروائية عند نجم والي بل أنه من أكثر المشاعر الاضطرابات النفسية تصويراً في ثقافة السردى ؛ لأنه يمثل سمة لرواية الحرب بصورة عامة وما تتركه الحرب من مأساة وما تخلف من دمار وأهوال دوراً في انبعاث هذا الشعور بما تمثله من أجواء مشحونة بمشاهد القتل والتعنيف وإزهاق الأرواح بالمجان ... ففي رواية مكان اسمه كميت يصور البطل (صالح) وهو يتحدث عن حالة الرعب التي يحسها الإنسان وهو داخل بيته فلا بيت آمن والكل يعيش حالة ترقب للقدام ، لأن همجية السلطة راحت تعبت في كل مكان " هكذا اختفى الجميع ، مسلمين أنفسهم إلى عزلة داخلية ، يستحوذ الخوف على حياتهم ، حذرين من كل خطوة يخطونها ، بعضهم لا يستطيع النوم إلا بعد وضع كرسي وراء الباب ، احتياطات مضحكة "^(١٢٣).

لا يقتصر الإحساس بالخوف على منشأ معين بل يتعد ويتغير بتغير الظروف والبواض التي تولده ؛ ومن هذا التعدد لصور الخوف هو الإحساس بأنهم مراقبون فهو خوف آخر، فلمجرد إحساس أعوان السلطة بعدم الانتماء للحزب الحاكم ممكن أن تكون عواقبه وخيمة ؛ فيلحق الأذى بمن ارتابوا منه فيعرض للاعتقال أو الإعدام "يطوف الزائر بيوت المدينة بيتاً بعد بيت ،وكان بيوت المدينة ليس لها بداية أو نهاية "^(١٢٤) أما إذا أصبحت هناك حملات لاستهداف أشخاص معينين من قبل أعوان السلطة فإن الهروب هو الطريق الوحيد للخلاص من الموت المحتم فـ (رعد) احد شخصيات روايته (مكان اسمه كميت) لجأ إلى الهروب بسبب انتماءه لا حد الأحزاب السياسية المعارضة فيصور ليلته الأخيرة حين ابلغ أخته بقرار هربه لمحاولة التخفي عن السلطة، كانت المرة الأولى التي تراه فيها بحالة من الانهيار يبكي حتى أنها عجزت عن مواساته قال لها "ماجدة لا أريد أن أموت "^(١٢٥). فكان الخوف من السلطة ومواجهة الموت فكرة مرعبة له . عبر عنها باللغة المستخدمة عن الخوف من الموت باعتباره حدث متيقن لأنه رفض التدجين .

^(١٢٢) ينظر : هاجس الخوف في الرواية الخليجية ، الرشيد بو شعير، (بحث) ، مؤتمر ثقافة الخوف ، عمان - الأردن ، ٢٤

- ٢٦ / نيسان / ٢٠٠٦ م : ٢ - ٣ .

^(١٢٣) مكان اسمه كميت : ١٤٣ .

^(١٢٤) مكان اسمه كميت : ٢٠٦ .

^(١٢٥) المصدر نفسه : ٥٨ .

إن شعور الأفراد أو عامة الشعب بالرعب والهلع هو الخوف من السلطة، أو الخوف من المجهول، أو الخوف هل سوف يستطيع الحصول على متطلبات الحياة فإن الخوف للجندي كان الخوف على حياته هل سوف يعود إلى أهله أم لا، إن الخوف من السلطة أو مجهول ينتظرهم أو هو قلق مزمن إزاء أيام قابلة يجهلون تفاصيلها ومواجهة الحياة السوداوية ومتطلباتها، أما الخوف بالنسبة للجندي العراقي هو كيف ينجو من الحرب ويحافظ على حياته بل كان سؤاله الرئيس هل سيعيش يوم آخر أم لا؛ لأنهم كانوا يواجهون الموت في حرب طاحنة تتعاضم ويلاتها فنرى (علي) احد أبطال رواية (الحرب في حي الطرب) يتساءل عن سبب خوفه ويحاول تهدئة خواطر نفسه فهو يرى أن الموت ملازم لهم كظلمهم ومحتم عليهم فهو مألوف لديهم إلى درجة لا سبب للهروب منه " ما معنى هذا الخوف ستموت غداً أو اليوم أو بعد غد في حي الطرب في الزبير . البصرة ، ستموت . إن لم تمت بقصف إيراني ، فتحت رحمة مطاردي الهاربين " (١٢٦) . فمن المعروف أن الجنود كانوا يقاتلون بدافع خوفهم من الحاكم الجائر ، فهم مدجنين مستسلمين لقدرهم الغيبي مسيرين له أكثر من خوفهم من الجانب الإيراني أما إذا فكر احدهم بالهرب وحققوا معه واكتشفوا أنه كان هارباً فلهم الصلاحية بتعذيبه أو ببتير احد أجزاء جسده أو حتى إعدامه " تلجأ السلطات الدكتاتوية إلى أعمال إرهابية فضيعة كالتصفيات الجسدية للمعارضين والاعتقالات السياسية والاختطاف والنسف واحتجاز الرهائن والحرق بالتيزاب أو في الأفران الكهربائية والقيام بمجازر جماعية وغيرها " (١٢٧) .

فشعور الخوف الناتج عن التهديد هو ما أحست به الطفلة (ساجدة) وزميلاتها في المدرسة عند زيارة الداعية الإسلامي السعودي المتطرف الذي أراد أن يعرفهن على الدين واصفاً ما سيلحق بمن يتخلف عن الالتزام بتعاليمه من عذاب " نهضت بعد أن جمعت دفاترها ، وعندما بدأ جسمها كلها بالارتجاج ، عندما وضعت يديها على أذنيها لكي تغلقهما أمام كلام الشيخ ، وعندما قررت أخيراً أن تبدأ بالصراخ وتطلب من الشيخ أن يغلق فمه ، شعرت ببلى بارد يدخل حذاءها ، يقترب من قدميها، بلل جواربها ، كلا إنها لم تفعل ذلك ،

(١٢٦) الحرب في حي الطرب : ٣٧ .

(١٢٧) سوسيولوجيا العنف و الإرهاب لماذا يفجر الإرهابي نفسه وهو منتشٍ فرحاً، إبراهيم الحيدري ، دار الساقي، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٥م : ٤٦ .

تعرف ذلك جيداً ، لكن لا حاجة لها لكي تلمس تنورتها ، فهي ترى بركة كبيرة من البول انتشرت تحت قدميها "(١٢٨). فحالة التبول اللاارادي تمثل ردة فعل لهذه الطفلة نتيجة تمكن الخوف منها .

إن ما ينقله التلفاز من صور الحرب والدمار لا تشكل سوى ذرة من حقيقة الحرب البشعة فهي اشد رعباً خاصة إذا كان الإنسان بموقع الإجبار في خوض الحرب فيصف لنا (راوي بغداد) في رواية (بغداد مالبورو) المنظر المروع لها " أن تجلس وترى على شاشة التلفزيون صور قصف بغداد هو غير أن تسقط تلك الومضات التي تراها على الشاشة على شكل حبيبات ، شظايا تمزق جسدك الحي ، وهو الفارق هذا الذي يجعل القلب يضرب بقوة أو يتوقف عن الخفقان ، الأوصال ترتعش أو تتقطع الأنفاس ، الجبهات تعرق أو تصطك الأسنان ، كل ما يمكن أن ينتج الخوف من عرق ويباس فم ، من بلع الريق ولعق لسان ، أقصد العيش في جحيم النار التي تطلقها طائرة مجهولة أو تحت رحمة اليد التي تضغط على زر أوتوماتيكي يرسل إلى بيتك صاروخ ، هو غير الحديث عنه ، لا تخيل يعبر عن حقيقة الألم لحظة أن تجلس تحت رحمة الموت والدمار "(١٢٩). فهو ينقل صورة مرعبة للحرب وهي اشد رعباً عند الأطفال فكان هذا جلياً في رواية (الحرب في حي الطرب) فمشهد القصف وصوت الطائرات وهي تقترب من مكان تواجد (علي) أثناء الحرب حينها تذكر فزع أخته الصغيرة ذات الأربعة أعوام عندما فزعت من منظر الطائرات " لقد رأى علي كيف أنها كانت تلتصق بالحائط كأنها تدافع عن نفسها من طلقة تستهدفها . لم تكتف بذلك ؛ إنما كانت ترتعش ارتعاشات مذهلة لتسقط دمعة من عينها . دمعة واحدة . كلا لم تسقط إنما نطت كقط يقفز من العلية"(١٣٠).

لم يسلم من عنف الحرب وآثارها وما تتركه من خوف حتى الأطفال في نصوص نجم والي الروائية فكان الطفل "يعيش في جوّ مشحون بأحداث الحرب مع ما يرافق ذلك من

(١٢٨) إثم سارة : ٤٧ .

(١٢٩) بغداد مالبورو : ٥٨-٥٩ .

(١٣٠) الحرب في حي الطرب : ٥٤ .

تأثيرات سلبية من شأنها انتزاع كل شعور بالطمأنينة عنده واستبداله ، على العكس ، بشعور دائم أو مؤقت بالخطر والتهديد على حياته "(١٣١).

فقد أخذت الحرب مأخذها باتجاه انتهاكات لحقوق الطفولة ، أن الأطفال الذين عاشوا حالة من الفزع والخوف لا يمكن أن تُمحي فيصف الراوي في رواية (بغداد مالبور) حال الأطفال " لا عزاء لدموع أطفال رأيتمهم يبولون أو يتغوطون على أنفسهم كلما سمعوا ضجيج طائرة أو زعيق صافرة إنذار"(١٣٢) .

إن تكرار الحروب وتواليها واحدة تلو الأخرى كان لها اثر بليغ على نفسية الفرد العراقي فهذه الصراعات جعلت من العراق نقطة سوداء في نظر معظم السكان فالذي يغادر البلد يخشى الرجوع خوفا من نشوب حرب جديدة كـ (يوسف كارملي) في رواية (صورة يوسف) " في اليوم التالي مخرت السفينة باتجاه البصرة . لم لا ؟ إلى البصرة ، نعم ، من الطبيعي أن يخاف المرء بالتوجه إلى هناك ، صحيح أن الحرب توقفت ، لكن هناك علامات تشير إلى نشوب حرب جديدة ، كان القلق ينتشر في الجو ، ويثير الرعب في النفوس أكثر من الرعب الذي تثيره الحرب ذاتها"(١٣٣) .

فـ (يوسف) هذا كان يحلم في السفر وقد زور أوراقه الثبوتية كي يهاجر خارج الوطن فرواية صورة يوسف تسجل التباس الهوية بسبب العنف في العراق بحيث يمسي الإنسان مضطراً إلى نكران هويته واسمه الحقيقي حين يقرر هجر مكانه ووطنه .

ثانياً - العقد النفسية :

إن العقد النفسية تبدأ في التكوين داخل الأفراد منذ نعومة اظفارهم دون أن يدرك الوالدان أنهما وراء عقدة الابن أو الابنة(١٣٤) ، وتكون العقد على شكل تصرفات لاواعية تصدر عن الأشخاص ويعرف فرويد العقد النفسية على أنها " مجموعة عناصر ذهنية ذات

(١٣١) واقع الحرب وانعكاساتها على الطفل (حالة خاصة : الطفل اللبناني) ، د. كريستين نجار ، جرس برس ، طرابلس -

لبنان ، ط١ ، ١٩٩١ م : ٨٥ .

(١٣٢) بغداد مالبورو : ٥٩ .

(١٣٣) صورة يوسف : ١٨٤ .

(١٣٤) ينظر: الصحة النفسية للأطفال والمراهقين ، إيمان دويدار ، مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر ، ط١ ، القاهرة ،

٢٠١٨ م : ١٣١ .

قوة انفعالية ، أو هي رغبات ومشاعر مكبوتة تنكشف عادةً في حالات تداعي الأفكار وفي فلتات اللسان " (١٣٥) ، إذن فالعقد النفسية ليست أصيلة في فطرة الإنسان بل هي وليدة الحضارة ، فالعلاقات الأسرية غير السوية تُنشئ أفراداً غير أسوياء ، فللحروب أثرٌ عظيمٌ في تشتت الأسر لما أصابها من تعنيف وتهجير وفقر ، ويمكن رصد مجموعة من العقد النفسية التي أصابت شخصيات روايات نجم والي وأثرت على تصرفاتها وردات أفعالهم وانفعالاتهم وهي مجملها وليدة الحروب ومن هذه العقد النفسية :

عقدة (أنتيجون) وهي عقدة الأخت المحبة لأخيها حتى الموت والواصلة لأرحامها حتى لو كان في ذلك ضررها فتنصارع فيها العاطفة والعقل فتنتصر العاطفة ، وأنتيجون في الأسطورة اليونانية ابنة الملك أوديب و (أنتيجون الأخت) ضحت بحياتها من أجل أخيها حينما قتله أعداؤه وتركوا جثته في العراء عبرة للآخرين ، فلم تحتمل هذا وانسلت ليلاً لتواربها التراب فأمسكوا بها وحكموا بدفنها حية ، وكانت مثلاً يضرب بتفاني الأخت في حب أخيها . (١٣٦) وقد عرض نجم والي لهذه العقدة في أكثر من رواية ففي رواية (مكان اسمه كميت) يشير إلى علاقة غير طبيعية تمثل تعلقاً مفرطاً من (سامية) بأخيها (عصام ماهدود) ، إذ أنها لم تتزوج ؛ لأنها وجدت أن مسؤوليتها هي رعاية أخيها (عصام) فبعد اختفاء أمها أثر الحرب تقمصت شخصيتها فيصف السارد هذا التعلق " حاولت أخذ دور الأم بعد اختفائها ، ربما يمكن لهذا تفسير عدم تحمسها للبحث الجدي عنها : أولاً تعلقها بأخيها الذي عبرت عنه بأكثر من مناسبة ، والذي لا تريد أن تغيره أمها ثانياً أن تكون هي المسيطرة على البيت ، إذ من الصعب عليها التنازل عن سلطة اكتسبتها بحكم اختفاء أمها ، بالرغم من أنها لم تكن السيدة الفعلية الأولى في البيت إلا بعد هروب زوجة أبيها مع أحد المهربين . كل تلك الأسباب وربما لغيرها لم تبح بها لمامجة ، لم تتزوج سامية . كان يكفيها أخوها . وفي صميمها كانت تبحث له عن المرأة التي تسعده ولكن التي لا تتنافسها على تلك السلطة" (١٣٧) ، أما عقدة الأخ فهي حين تتحول مشاعر الأخ نحو أخته حتى ليغار عليها بشدة

(١٣٥) تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ، دار المكشوف ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١ م : ٦١ .

(١٣٦) ينظر: موسوعة الجنس والحب من الطفولة إلى الكهولة ، مهجة الزايد ، دار الملتقى للنشر والتوزيع ، ط ١ ، دمشق -

سوريا ٢٠٠٦ م : ٥٦٩ .

(١٣٧) مكان اسمه كميت : ١١٤ .

مع رغبات جنسية لا شعورية تجاهها ، وقد يرفض الأخ من يتقدمون بالزواج لأخته معللاً بمختلف الأعذار^(١٣٨) ، وترد عادةً هذه العقدة بالأدب الياباني بشكل خاص في المانغا والأنميات و أسطورة بيبس^(١٣٩) ، ففي الجانب الآخر نجد (عصام ماهود) في رواية (مكان اسمه كميت) نجد شكلاً آخر للتعلق فهو متعلق بأخته سامية بصورة غير طبيعية يدفعه هذا التعلق المرضي فيما بعد إلى تسفير حبيبها^(١٤٠) وترد هذه العقدة أيضاً في رواية (إثم سارة) ففي حوار بين (مشاعل) وابنتها (سارة) تقص لها قصة عمته التي هربت ليلة زفافها مع حبيبها بعد أن رفض والدها تزويجها له ، و كان أخوها - والد سارة - هو السبب في تدمير علاقتها مع (حبيبها) فهد المنقور و منع هذا الزواج ، مما أدى إلى إجبارها على الزواج من شخص ثانٍ^(١٤١) ، وكان أخوها كثيراً ما يقارن نفسه بحبيبها بدافع إثبات أنه أفضل منه وهذا ما تؤكد الرواية في أكثر من موضع "الغيرة التي جعلته يبسط كفيه أمامها ويعرض عليها يوماً أن ترى أصابعه الناعمة ألا ترين ، سألها ، يداي أكثر نعومة من يدي المنقور"^(١٤٢) فكان شعور الغيرة هو الدافع وراء هذه المقارنات "وهو لم يقم بتلك الحركة لو لم يكن سمع أخته تتحدث مع إحدى فتيات الجيران ، تخبرها عن نعومة أصابع فهد ، وكيف أنها لم ترَ صانع حلي فنان مثله من قبل ، أصابعه أصابع ساحر ، أقلام ياقوت ؟"^(١٤٣) ، تلك النصوص إشارات إلى عقدة الأخ التي نحن بصدد الإشارة إليها وبعد سنوات من حادثة هروبها مع حبيبها بعد أن رفضت الزواج من آخر عثر أخوها عليها في الصحراء وقتل (فهد المنقور) بدافع الانتقام والغيرة ، في إشارة إلى أنها حادثة شرف ولكن من يتبع الأحداث ويربط خيوط الرواية يجدها تنبع من هذه العقدة النفسية - عقدة الأخ - وفي رواية (عمتي الرومانتيكية) أيضاً نجد الراوي وبطل الرواية (صبري) كما تناديه عمته يجد

^(١٣٨) ينظر : موسوعة الجنس والحب من الطفولة إلى الكهولة: ٥٦٩ .

^(١٣٩) ينظر: ويبيكيديا موسوعة حرة ، عقدة الأخ ، الموقع الإلكتروني ، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

^(١٤٠) ينظر : مكان اسمه كميت : ١١٥ .

^(١٤١) ينظر : إثم سارة : ١٤٢ - ١٤٣ .

^(١٤٢) المصدر نفسه : ١٤٣ .

^(١٤٣) المصدر نفسه : ١٤٣ - ١٤٤ .

صعوبةً في التعرف على النساء ؛ لأنه يقارنهن بعمته - اللحم - ويجد أن كل فتاة يتعرف عليها لا تستطيع أن تصل إلى هذا المثال المتكامل بنظره^(١٤٤).

وهناك عقدة أخرى قريبة من هذه العقدة السابقة وهي عقدة (فايدرا) و التي أطلق عليها هذه التسمية نسبة إلى الأسطورة اليونانية فيدرا زوجة ثيسبيوس التي وقعت بحب ابن زوجها الشاب هيبوليتوس الذي كان غارقاً في فنون الصيد بالغابات عازفاً عن النساء وشباك الهوى . فلما صدّ عروض الغرام من قبل فايدرا انتحرت وتركت رسالة اتهمت فيها هيبوليتوس بأنه تحرش بها فأمر أبوه بإعدامه^(١٤٥). و تطالعنا هذه العقدة أيضاً في رواية (الحرب في حي الطرب) والتي تظهر فيها (سنية) زوجة الأب التي تتودد إلى أولاد زوجها فربطتها علاقة بكل من (نديم وعدنان).^(١٤٦)

ومن العقد النفسية الواردة عقدة (بيتربان) وهي تمثل النكوص والعودة إلى السلوك الذي كان مناسباً لمرحلة مبكرة من النمو ، أو هو تقهقر النشاط النفسي إلى مرحلة سابقة ويحدث النكوص إن واجه الفرد موقفاً عصبياً فإذا به يستبدل هذا الأسلوب بالأساليب الواقعية لحل الموقف .^(١٤٧) فهو يمثل عدم رغبة جيل الشباب بالنضج وهذا ما نجده في رواية (عمتي الرومانتيكية) وفي شخصية (صبري) الذي كان يمثل نموذجاً للنكوص " كم تمنيت أن أكون طفلاً ، لكي أستلقي إلى جانبه كما كنت افعل في الطفولة "^(١٤٨)، ومن العقد النفسية (عقدة انيموس) يطلق يونغ اسم الأنيموس على البعد الذكري اللاواعي عند المرأة^(١٤٩)، فهي تحمل كل الصفات المقرونة بالذكورة و يتم تشكل الانيموس بفعالات وتأثير من الأب وافكار ابوية راسخة^(١٥٠). وتطالعنا هذه العقدة في رواية (عمتي الرومانتيكية) إذ نجد (رجاء) وهي إحدى شخصيات الرواية قد اتخذت مظهراً مشابهاً لمظهر الرجال " رجاء

^(١٤٤) ينظر : عمتي الرومانتيكية : ٢٢٣ .

^(١٤٥) ينظر : المسرح الإغريقي ، محمد الخطيب ، دار مؤسسة رسلان ، ط١ ، ٢٠١٤ م : ٢٠٢ .

^(١٤٦) ينظر : الحرب في حي الطرب : ٧٧ .

^(١٤٧) ينظر: قضايا في الصحة النفسية ، د. نازك عبد الحليم ، د. أمل يوسف التل ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر

والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٩ م : ٩٢ .

^(١٤٨) عمتي الرومانتيكية : ٢١٦ .

^(١٤٩) ينظر : صحة النساء النفسية بين أهل العلم وأهل الدين (دراسة ميدانية) ، عزة شرارة بيضون ، دار الجديد ، ط١ ،

١٩٩٨ م : ٥٩ .

^(١٥٠) ينظر: مدخل إلى علم اجتماع المخيال (نحو فهم الحياة اليومية)، فالنتينا غراسي ، تر . محمد عبد النور ، المركز

العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط١ ، قطر ، ٢٠١٨ م : ٣١ .

حرصت على لبس ملابس شبيهة بملابس الرجال بنظون ، وأحيانا بدلة عمال زرقاء ، حتى أنها قصت شعرها قصة كقصة الرجال حتى المهنة التي عملت بها هي من المهن التي يمتنها الرجال عادة ، وقد نمت والدها هذا الميل عندما أدخلها معهد التكنولوجيا تعمل في مهنة التصليح فيما بعد"^(١٥١).

ومن العقد النفسية عقدة (قابيل) وهي حالة نفسية تتسم بالحق من أخ على أخيه والميل لمنافسته والقضاء عليه ، كما فعل (قابيل) بأخيه (هابيل) ^(١٥٢) ففي رواية (ملائكة الجنوب) نجد (ليث) يكن مشاعر كره لأخيه (نور الملاك) ، ما كان يشعر به ليث من مشاعر غيرة من أخيه تولدت منذ الصغر بفعل التفرقة بين الاثنين في معاملة الأب فكان (نور) الملقب بـ (الملاك) متفوقاً بكل صفاته بينما كان (ليث) ضعيف في المستوى الدراسي تعرض للعقاب القاسي من والده أكثر من مرة وكان دميم الوجه يتعرض للتنمر يتلثم في الكلام وعند تركه للدراسة وتوجهه للالتحاق بـ (فتوة اتحاد سحق اليهود)^(١٥٣) ، وقد انتمى إلى فرقة الكشافة في طفولته ليس بسبب حبه للسفر والتجوال وتعلم الاعتماد على نفسه بل بسبب الملابس الكاكية فكان يراقب الجنود وكان يقول أنه عندما يكبر سيلبس ملابسهم"^(١٥٤)، ومن ثم عمله في المخبرات صار يعتمد مضايقة أخيه بسبب زواجه من امرأة يهودية زاعماً أنه الحق العار بأسرته ، لأنهم صائبة مندائيون و أبيهم زعيم هذه الطائفة في منطقة عماريا.^(١٥٥)

أما عن (عقدة فاييتون) وهي حالة نفسية و مزيج مؤلم من عواطف ناتجة عن أفعال أحد الأبوين في الطفولة وهي مستمدة من الأسطورة اليونانية فاييتون^(١٥٦) ونلمح هذه العقدة في شخصية (ناصر) في رواية (إثم سارة) ، وهو ابن داعية إسلامي تعرض للتعنيف من قبل والده^(١٥٧) الذي وكان لديه أولادٌ أكثر لا يعرف عددهم هذا الأمر اثر على ابنه ناصر^(١٥٨)،

^(١٥١) عملي الرومانتيكية : ١٩ .

^(١٥٢) ينظر: معجم مصطلحات علم النفس (عربي ، إنكليزي ، فرنسي) ، مدحت عبد الرزاق الحجازي ، دار الكتب العلمية

، ط١ ، ٢٠١١ م : ٢٧٠ .

^(١٥٣) ينظر :ملائكة الجنوب : ٤٠ .

^(١٥٤) المصدر نفسه : ٥٥٣ .

^(١٥٥) ينظر :المصدر نفسه : ٤٣ - ٤٤ .

^(١٥٦) ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، عقدة فاييتون، الموقع الالكتروني ، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

^(١٥٧) ينظر: إثم سارة : ٩٠

^(١٥٨) ينظر: المصدر نفسه : ٩٢

وولد لديه الرغبة في الاكتشاف لأنه يجد في الاكتشافات هروباً من الواقع المؤلم فصنع دراجة هوائية وراديو وآخر اكتشافاته تمثلت بصناعة رجل آلي سعودي في مختبره في لندن عندما هرب من والده وقد كانت هذه الاكتشافات سبباً في تعرضه للاعتقال واتهامه بأنه إرهابي ؛ وذلك لتزامن هذا الاكتشاف مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فأصبح هذا الاكتشاف رمزا للإرهاب^(١٥٩). "خمس سنوات وناصر يحلم بتحقيق الاختراع الذي يسعى إليه ، لم يثنه عن ذلك فشله أو شكاوى الجيران ، خاصة في تلك المرات التي قاربت فيها أصوات الانفجارات في المختبر أصوات انفجار قنابل أو ديناميت"^(١٦٠)

من العقد النفسية ما تظهر على شكل أضرار الآخرين ومن ذلك اغتصاب القاصرات (بيدوفيليا) أو مشتهي الأطفال والقاصرين^(١٦١) ، ونلمحها في رواية (عمتي الرومانتيكية) إذ نجدها في شخصية (فاروق) ، وهو ضابط مضطرب نفسياً وكان فاشلاً في تحقيق نجاحات عسكرية ؛ و لأنه فاشل في المعارك فُصل من وظيفته العسكرية ، ولم يكن يجد متنفساً لعقده النفسية إلا بتعذيب ابن أخته اليتيم (إبراهيم) مكتشفاً وسائل تعذيب عدة فيدر به مثل الجنود كل صباح ليثبت لنفسه تمكنه وسيطرته من ثم قام بإخصائه^(١٦٢) معللاً بأن تلك هي الطريقة المثالية لجعله يتفرغ للعمل في السلك العسكري وقام (فاروق) بإعمال إجرامية منها اغتصاب (العمة الرومانتيكية)، وارتكاب عددٍ من الجرائم من ضمنها اغتصاب (منار) وكانت كلا الفتاتين قاصرتين ، ولم يحاسب على جرائمه فلم يكن لهذه الضحايا التي خلفها من ذنب إلا الجمال الذي تحوّل نقمة تطارد هذه الضحية " في بلاد يصبح فيها الجمال خطيراً على الفتيات مثل بلادنا ، أو في بلاد أخرى يمكن أن تعيش فيها الفتاة الشابة حياة سوية ، حرباً حلى تعبير منار ذاتها ، لا يهمّ إن تغير الاسم من شعاع إلى منار أم العكس ، ولا يهم إن كان الاسم غجريباً (منحطاً) أم اسماً (راقياً) كما يتوهم البعض ، فما هي إلا مسألة وقت حتى تأتي من يطالب بدفع الحساب ، حساب الجمال ، ليس لأن الجميلة صاحبة الاسم بعضهم يسمح له بفعل ما يشاء ، تسلسله في هرم السلطة أو في شجرة إحدى

^(١٥٩) ينظر : إثم سارة : ٢٠٩

^(١٦٠) المصدر نفسه : ١٩٩ .

^(١٦١) ينظر: دين المؤتفكات ، عمر عبد العزيز ، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٧م : ٢٩٢ .

^(١٦٢) ينظر: عمتي الرومانتيكية : ٢١٥ .

العائلات الحاكمة يسمح له بعرض نمط الحياة التي يريد ، والنظر إلى كل فتاة جميلة كشيء مستباح له ، فيهجم عليها وعلى كل جميلة تريد عيش حياة سوية " (١٦٣) فالوحشية التي سيطرت عليه جعلته ينظر إليها على أنها امرأة متكاملة بالرغم من كونها فتاة قاصر تحتفظ بجانب من طفولتها إلى جانب ما يبدو عليها من تكامل انثوي من ناحية الهيئة " منار دخلت للتو سن الرابعة عشرة ، لكن مسؤول الحماية الذي هو من أصول بدوية ، لا يعرف كلمة قاصر أو تحت سن الرشد ، فقد بهره جمال الفتاة وكفى ، الباقي هو مسألة روتينية" (١٦٤) ، ويروي (صبري) ابن أخ العمة الرومانتيكية وبطل الرواية الحالة النفسية التي خلفها هذا الاعتداء على عمته فيقول : " كنت منشغلاً بالعابي عند عودة عمّي بعد ساعة أو اثنين ، أو ربما أكثر ؟ لا ادري ، وجدتها منكّسة الرأس ، منفوشة الشعر ، تنورتها مجمدة وقد فقدت بلوزتها بعض أزرارها . عرفت بوصولها قبل أن تلامس يدها كتفي ، ثم تأخذني في حضنها ، وراحت دموعها تبّل وجهي . لم أفهم ما كان يجري ، كنت أردّد (مسكينة عمّي) ، وكانت كلّما ضيّقت حضنها عليّ شعرتُ بدموعها أكثر غزارة ، و ازداد نحيبها ، كان أقرب إلى عويل الهادئ منه للبكاء " (١٦٥) .

كذلك من العقد النفسية ما يرتبط بالسادية وهو مصطلح يشير إلى انحراف جنسي فيه الإشباع الجنسي يتوقف على إلحاق الأذى بالآخرين (١٦٦) ، وهذا ما نجده في شخصية (معالي) في رواية (تل اللحم) التي كانت تعذب رواد دار الدعارة وتتلذذ بضربهم ضرباً قاسياً (١٦٧) ، و في الرواية نفسها نجد (وجيهة) و(أسيد لوتي) يمارسون طقوس غريبة قائمة على التعذيب الجسدي . (١٦٨)

فالعقد النفسية هي حصيلة للاضطرابات النفسية التي عانت منها الشخصيات و كل الأحداث من اعتداءات وانتهاكات جراء الحرب وجدت صداها لتتحول فيما بعد إلى سلوك

(١٦٣) عمّي الرومانتيكية: ١٤٤ .

(١٦٤) المصدر نفسه : ١٤٤ .

(١٦٥) المصدر نفسه: ٣٢

(١٦٦) قاموس لاكان التمهيدي في التحليل النفسي ، ديLAN ايفانز ، تر. محمد احمد خطاب ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١ ،

١٨٧: م٢٠

(١٦٧) ينظر :تل اللحم : ١٣٣ .

(١٦٨) ينظر : المصدر نفسه : ١٤٢ .

عدواني أو غير سوي بعيد عن الإنسانية فكل فعل ردة فعل أو نتيجة وهذه الاضطرابات هي النتيجة الحتمية للعنف السائد في البلاد .

المبحث الثاني : التمثلات العدوانية

تمثل ظاهرة العدوان والهمجية مكاناً مركزياً في فعاليات الحياة المعاصرة، وتشكل في الوقت نفسه واحدة من أهم التحديات التي تواجه طموحات الإنسانية في حياة مسالمة تخلو من العنف والتدمير والقهر، وقد اعتقد الإنسان ردحا من الدهر أن العنف الدموي ينبع من تراجع الحضارة الإنسانية، ويرتبط مفهومه بصورة المجتمعات البدائية لكن الواقع يضعنا في مشهد مدهل لأن التدمير والحرب والقتل أمورٌ تتبع اليوم من صلب الحضارة المعاصرة فتوظف عناصر الحضارة المتمثلة بالأسلحة المتطورة لتفتك بالإنسان وهذه العدوانية لم تعرف الإنسانية لها مثيل في تاريخها (١٦٩).

أولاً - العدوان بأشكاله المتعددة :

١- العنف اللفظي :

إذا كانت اللغة هي وسيلة التواصل بين البشر وطريقة لبث المشاعر والأحاسيس؛ فإنها تتحول إلى مصدر ألم حين تتحول إلى عنف لما توقعه تلك الأصوات في النفوس، فإن عنف المشاعر والغضب والذنب حالما نفسرها بالمعنى الحرفي للغة تصبح عنفاً مؤلماً ذا طبيعة جسدية.

وتتعدد صور العنف اللفظي منها الشتم والسب والقذف وهي بالتأكيد من مخلفات الحروب.. وان كانت إسقاطات قديمة قدم الحضارة الإغريقية والعربية القديمة فلا تخلو من الكلمات البذيئة (١٧٠). فقد هيمن العنف اللفظي على أسلوب الحوار في كثير من الأحيان في روايات نجم والي؛ ولعل تصوير الحرب وما يكتنفها من حالات نفسية تجعل من التوتر الذي يجتاح الشخصيات فيعبروا عنه بشكل صراخ وإهانة، فنجد تمثلات العنف اللفظي في رواية (الحرب في حي الطرب) عندما عرض لمشهد ثلة من الجنود وكانوا بقيادة احد الضباط الذي استخف بأحدهم قائلاً :

(١٦٩) ينظر : العنف والعدوانية في التحليل النفسي (مكاشفات بنيوية في سيكولوجية العدوانية عند فرويد) ، علي اسعد وطفة ، وزارة الثقافة الهيئة السورية للكتاب ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٨ م : ١٣ - ١٤ .
(١٧٠) ينظر : كتاب الحيوان : ج ١ / ٣

" - والآن سأنتهي منك أيها الشيوعي الحقيير ، ازحف أمامي فوراً ، وقل سيدي. ازحف قشمر ... دفعه بفوهة البندقية .تراجع عدنان خطوات وظل الرفش في يده .

- ها . قل سيدي و إلا أفرغت الطلقات في رأسك "(١٧١). وكان هذا الفعل المتعطرس كفيلا بأن يخسر هذا الضابط حياته فيما بعد فالجندي لم يتقبل العنف واختار الانتقام في النهاية .

إن احد أهم أسباب العنف اللفظي أو العنف اللغوي هو الانتماء العرقي أو الديني المذهبي قد اتسمت بها روايات نجم والي ومن هذه الألفاظ التي استخدمت في إهانة الآخرين مثل (شروكي، شيعي ، شيوعي شين تكعيب) ، ولعلها تحولت إلى انتقاص سواء أكان مذهبياً أم سياسياً وهي لعلها عند أمم أخرى قد تكون مثار اعتزاز الفرد والمجتمع ؛ لأنها تعكس التنوع المجتمعي ولكن في العراق تحولت إلى انتقاص من الآخرين و من ذلك هيمنة العنف اللفظي في النصوص ففي رواية (بغداد مالبورو) يروي (ماجد) لـ (راوي بغداد) أحداث جريمة لغسل العار حصلت في مدينة العمارة جنوب العراق وكان سبب الجريمة أن الفتاة قد أحببت شاباً شيعياً وأرادت الزواج منه ، فاتهمها ابن عمها بأنها تتردد على بيوت الدعارة ؛ من أجل الانتقام منها " من أين لها أن تعرف أن الإنذار الأخير الذي رده الشاب عليها في تعرضه الأخير لهما كان جاداً . بل من أين كان لها أن تعرف أنه و لأنها لم تدعن لطلبه المتكرر بالزواج منها كذب وأخبر أباه وبعد ذلك عميه الآخرين وقال لهما بأن لها علاقة مع شاب من العمارة ، شروكي وشيعي وشيوعي ، أي شين تكعيب (كما كان يحلو لتسمية المعارضين من أهالي الجنوب علناً)"(١٧٢). هكذا أصبح الانتماء إلى محافظات الجنوب بمثابة عار . وهي لذا كانت السلطة تسعى جاهدة لإثارة العداوة والتباغض بين أبناء الشعب لغرض إضعاف القوى المعارضة والانتقاص إلى التخاصم وهي وسائل العنف الذي كان أسلوباً من أساليب السلطة .

و قد يكون التعنيف اللفظي له أسباب عنصرية يتخذ المعنف أسلوب التهميش ، وهذا الأمر يعد تعنيفاً له تأثير على قرارات المعنف ومنعه من اتخاذ القرار، فالانتماء المذهبي والديني له علاقة بالعنف حسب مفهوم جارفر Garvar إن تهميش قدرات الأفراد للأسباب

(١٧١) الحرب في حي الطرب : ١٠٥

(١٧٢) بغداد مالبورو : ٢٧١.

العنصرية يُعد سلوكاً عنيفاً لما له من تأثير على حياته فيتخذ التعدي على قراراته ومنعه من اتخاذ القرار يعد نوعاً من أنواع العنف^(١٧٣). لذا فإن للانتماء المذهبي والديني علاقة بالعنف^(١٧٤).

فنلاحظ اعتداء الضابط الأمريكي على احد مُنتسبي المارينز التي كانت وظيفته جرد المستودعات فهي بعيدة عن الخوض في مضمار الحرب إلا أن الضابط ذو البشرة البيضاء كان ناقماً على (سمائلي مان) الرجل المسالم لأنه من ذوي البشرة السوداء فأجبره على المشاركة في مجزرة جماعية قتل مجموعة من الجيش العراقي في معركة حفر الباطن وطمرهم بالرمال وهم أحياء مما سبب له صدمة لاحقه إلى آخر يوم في حياته^(١٧٥). " (احفر يو باستارد) قال له الرائد وكأنه تعلم كلمة (احفر) لكي ينطقها باللغة العربية خصيصاً له (دونت هيزيتيت) صرخ به بصوت أشبه بالزئير (دو يو نو ، واي أي جويز يو؟) سأله وهو يقهقه بصوت عال (نوت بيكوز يو آر سمائلي مان) ولكن هل هناك حاجة لأن يقول له لماذا اختاره هو بالذات ؟ لماذا يكرر عليه ما يعرفه منه ومن الآخرين . الجميع سيقول له نفس الكلام وسينعته بنفس النعوت ، سيعيبون عليه ضحكته ، طبيته ، سلوكه المسالم ، تواضعه ، بل سيعيبون عليه أيضاً عدم دخوله بتنافس مع الجنود الآخرين "^(١٧٦).

فيركز نجم والي في رواياته على مماهة الإنسان بالحيوان وليمايز بين نوعين من الحيوانات الآهله الداجنة غالباً والحيوانات الضارية ومماهة الإنسان بالحيوان أن تظهر الكلبنة ففي رواية (الحرب في حي الطرب) نجد احد الضباط ينعت احد الجنود بـ (الكلب والحمار) في حوار دار بينهما " حمار . لماذا تنزع بيريتك؟

فأجابه الجندي متسائلاً .

- وما دخلك .

(١٧٣) ينظر: العنف (مختارات فلسفية) ، فيتوريو بوفتش ، تر. ياسر قنصوه ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٧ م :

٤٥٥-٤٥٦ .

(١٧٤) ينظر: فلسفة العنف ، إلزا دورلين ، تر . جلال بدلة ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٢١ م : ١٤ .

(١٧٥) ينظر :بغداد مالبورو : ١٧٩ .

(١٧٦) المصدر نفسه: ١٧٩ .

فيصرخ به النقيب

- استعد يا كلب" (١٧٧).

ففي خضم الصراع السياسي أثناء الحروب نجد الشخصيات تستخدم مخزونها الثقافي المشترك متمثلاً هنا بالرمزية الأخلاقية الدونية للكلب سلاحاً يوجهه كل فريق إلى الفريق الذي يواجهه. إن توظيف اللغة وتعنيفها للإنسان يختلف من أمة إلى أخرى ، فالمجتمعات الغربية لا تعنف الإنسان بوصفه حماراً أو كلباً وذلك لاختلاف معايير توظيف اللغة بينما في العالم الشرقي ومنها العراق أن تعنيف الشخص عن طريق اللغة يكون بنعته بالحيوان ومنها الكلب أو الحمار ويبدو أن الذاكرة وما تختزنه من ألفاظ نابغة من مجتمعه وازدراءه لهذه الحيوانات على الرغم من أن رواياته كُتبت في مجتمع غير مجتمعه لا ينظر لهذه الحيوانات نظرة دونية، فبراعة الروائي في توظيف اللغة في مخيلته الروائية لإظهار واقعية الحدث وإيهام المتلقي به .

٢. الاغتصاب :

صورت روايات نجم والي الانحطاط القيمي وتفشي العنف في الممارسات الاجتماعية و أنواع التعذيب من ممارسة انتهاكات لحقوق الإنسان ومنها الاغتصاب، وهو اشد أنواع التعذيب لأن ألمه جسدياً و نفسياً فمع انتشار الحروب كان المجتمع مستقرباً للانحرافات الأخلاقية ويعُدُّ " الاغتصاب أو أي فعل آخر من أفعال العنف الجنسي جريمة ضد الإنسانية، مثل القتل والإبادة والاستعباد وحجز الحريات والتعذيب ولاضطهاد، سواء اقترفت هذه الجرائم على خلفية سياسية أو عرقية أو دينية " (١٧٨) ويعد الاغتصاب من اخطر أنواع العنف ضد المرأة لما يخلفه من أضرار نفسية عميقة .

ويشتمل العنف الجنسي على الاغتصاب أو استئصال الأعضاء الجنسية ولقد صور نجم والي العديد من المشاهد التي تعد انتهاكاً جسيماً لحقوق المرأة ؛ فكان الاغتصاب نتيجة

(١٧٧) الحرب في حي الطرب : ١٠٧ .

(١٧٨) مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي ، وليم نجيب نصار ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٢ ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٤م : ١٤٥ .

عوامل كالفوضى الأمنية ، والاضطراب السياسي، والمواجهات الحربية التي ترتب عليه تبعات متعددة من الناحية البدنية والجنسية والعقلية ؛ إذ كان الاضطراب النفسي و العوق الذهني الذي عانت منه (احلام) في رواية (بغداد مالبورو) ، نتيجة لتعرضها لصدمة نفسية أدت إلى تخلف عقلي بسبب هجر حبيبها لها ؛ لأنها فقدت الأمان والثقة وقررت الانتقام منه وقتله في نهاية القصة لتكون ضحية استغلال متلاحقة من قبل رجال الأمن والشرطة بسبب حالتها النفسية التي تمر بها وعدم إدراكها فيروي (راوي بغداد) ما جرى لها "وجد الآخرون فيها غنيمة سهلة وصيداً ثميناً خاصة رجال الأمن والشرطة . كانت الشرطة في آخر الليل ، الحرس ورجال الأمن يقضون وطهرهم معها في غرفتها على السطح بينما هي كانت لا تشعر بهم . قالت له : لا تدري إذا كانوا بشراً أم جماداً ، إنهم حتى ليسوا حيوانات" (١٧٩)، و بعد جريمتهم اتجهوا للالتحاق بالواجب الوطني فردد احدهم " نحن سندافع عن شرف الوطن" (١٨٠). فقد تناسوا أن الوطن هو ضحية للمغتصبين على طول التاريخ ورفيقاً للمرأة في المعاناة ذاتها والعنف ذاته في كل عصر ؛ وقد مثلت روايات نجم والي المأساة وانسحاقها في دوامة العنف الذكوري المسؤول عن الحرب والقتل والتهديد والاعتصاب والدمار، فروايات نجم والي تستعرض العنف والطالع السيئ والحب الفاشل ، فإذا ما انتقلنا إلى رواية (مكان اسمه كميت) فأنا نجد المرأة ضحية العنف الذكوري فيستعرض الراوي صورة الضحية " لم تستطع الدفاع عن نفسها ، فقد كانت ضعيفة خائفة القوى ، حتى عندما حاولت رفضه لم تساعدها قدمها اللتان شعرت بثقلهما . لقد ركبتها المفاجئة مثل موجة " (١٨١). فهذه ماجدة التي اغتصبها خطيبها قد يكون انتقاما بدافع الحب لأنها قررت تركه وعدم الزواج منه فهذا يقوى يقين المتنفذ بأن الأنا لديه أعلى من الآخر؛ فبيداً بممارسة دائرة من الضغوط عليها التي تؤكد سلطته الذكورية وتجعل من الآخر – المرأة – تخضع له ، فيقوم بعدها بممارسة العنف اتجاهها من خلال سلب اختياراتها وتقليص حريتها بدرجة كبيرة لمجرد أنها حاولت إنهاء ما بينهما ، مارس سلطته عليها ولم تستطع الآفلات من هذه السلطة ، إن العنف الجنسي يتميز بالقسوة والضميم الذي لحق بماجدة لأنه اندمج كل من

(١٧٩) بغداد مالبورو : ٥٠ .

(١٨٠) المصدر نفسه: ٦١ .

(١٨١) مكان اسمه كميت : ٨٥ .

الاغتصاب والعنف الجسدي فضلاً عن شدة أعمال العنف التي يرتكبها الجاني على جسم المجني عليها ،وتستهدف إحباط المقاومة التي تقوم بها المرأة على فعل الجاني^(١٨٢) ، ويتحول الاغتصاب إلى سلاح يتخذه الجاني للتأثير على المجني عليه لإرغام الضحية للامتثال لأوامره أو لتحقيق غاية شخصية يطمح لها الجاني ، ومن ذلك ما فعله المسؤول الأمني في الجامعة في رواية (تل اللحم) الذي اغتصبها فـ (معالي) " لم تتم في تلك الليلة . فقد كانت ما إن تغفو حتى تصحو على رجل برتبة وقيافة عسكرية جديدة : مرة بملابس ضابط المشاة ، وأخرى بملابس ضابط البحرية ، وبعدها بملابس ضابط الجوية ،حتى اختلط عليها المشهد ، ولا تدري فيما إذا كان منعم ذاته أم هم بالفعل ضباط آخرون يسلمها منعم إليهم ، واحداً بعد الآخر"^(١٨٣) ، على الرغم من أن الراوي صور (معالي) بأنها شخصية مغلوبة على أمرها إلا أنه في مواضع أخرى يجعلها بشعة ببشاعة العالم حولها فما كان لمثل هذه الحادثة أن تؤثر بها أو تلقي بآثارها النفسية عليها ؛ بل أنها فتحت أمامها الأبواب للعمل في الدعارة فلم يصور الشخصية النسائية بأنها ضعيفة دائماً كما تعرب أحداث روايته التي تشير إلى الفرق الشاسع في الشخصية على اختلاف المواقف وقد يتحول الاغتصاب إلى أداة للانتقام والإذلال والإهانة ومن ذلك ما فعله (المحافظ العراقي)، الذي ولته السلطة (كويت ستي) ومعه مجموعة من الضباط انتقاماً من السلطة لإصدارها قرار الانسحاب من الكويت فقد أقدموا على اغتصاب (سهاد) هي مذيعة إخبارية كانت على علاقة بالقائد وقد وعدوا أن ينصبها محافظاً على الكويت ستي قبل قرار الانسحاب الذي هدّ أملها كما هدّ آمال (محافظ الكويت ستي) في وقتها لعدم رضاهم بقرار الانسحاب فقال (محافظ الكويت ستي) موجهاً كلامه لمن معه من الضباط " أن ليس من العدالة أن الحاكم ، هو الشخص الوحيد الذي كان يفعل معها ما يريد ، ولتعتبر ذلك ما تشاء ، وجزءاً من خراب المدينة التي يتركونها خلفهم ، هكذا اخرج المحافظ صفارة من جيبه ،وصفر ، ليعلن بداية الهجوم : تسع وثلاثون ضابطاً ،بعمرها اصطفوا عليها بالدور ،... حتى خرت مغمية عليها ، وهي منذ ذلك اليوم نصف مشلولة طريحة الفراش ، تبلع الحبوب المسكنة ، وتكتب قصائد

^(١٨٢) ينظر : جريمة اغتصاب الإناث والآثار المترتبة عليها ، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، عبد الفتاح بهيج عبد الدايم الواري ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٠ م : ١٢٧ .
^(١٨٣) تل اللحم : ٥٥ .

مدح بلادها و (فلسطين)"^(١٨٤) . فصورة المتسلط (محافظة كويت ستي) الذي يستمتع بالتعذيب عبر الجنس هي جزء من عملية تحويلية أي التعبير عن العنف والرغبة في تدمير الآخر عبر الجنس وممارسته .

٣. التعذيب :

لطالما ارتبطت الحرب بالعنف والقتل والدمار بوصف العنف احد أركان الحرب و لكن أساليب التعذيب متنوعة وهناك جديد فيها على الدوام^(١٨٥) .

وبوصفنا ندرس متناً سردياً عن الحرب و تمثالتها نجد الروايات موضوع الدراسة تجعل من العنف ظاهرة واسعة فيعرض السارد على لسان (راوي بغداد) في رواية (بغداد مالبورو) الذي صور أساليب التعذيب وجعل المخطوف كأنه فريسة والخاطف يرمي له الطعم " لم يبخلوا بجلب الماء لي ، بل سألني أحدهم إذا كنت جوعاناً، صحيح أنني رفضت حتى استكان الشاي الذي وضعوه على الطاولة أمامي ، تركته لحاله يبرد . لم أشأ تناول الماء أو الشاي ولا حتى الأكل "^(١٨٦)، ولحسن حظ هذه الشخصية الذي استرجع بذاكرته لحظاته العائلية في بيت والده عندما كان يستمع لبطولات أخيه ضابط المخابرات السابق الذي كان يروي قصصه بفخر واعتزاز عن أساليب التعذيب وكيفية استدراج الضحية للاعتراف عن طريق تقديم المأكّل والمشرب " اعرف قصص التحقيقات القديمة التي جرت في أقبية أجهزة الأمن والاستخبارات . في أقبية الأمن الخاص والمخابرات ، كل تلك القصص التي سمعتها أو تلك التي رواها أخي ، ضابط المخابرات السابق بافتخار، كلما جلسنا في صالون البيت"^(١٨٧) .

ويستمر بوصف المواد المستعملة " يلينون حالما تناولوا المواد المخدرة التي كانوا يضعونها لهم في الأكل أو في الشاي هذه التكنولوجيا ، كان يقول العالم يتقدم في عالم

^(١٨٤) تل اللحم : ١٦١ .

^(١٨٥) ينظر : الإنسان المهدور : ١٣١

^(١٨٦) بغداد مالبورو : ٢٣٨ - ٢٣٩

^(١٨٧) المصدر نفسه : ٢٣٩ .

التعذيب ونحن مازلنا متأخرين" (١٨٨) حيث تستعمل المواد المخدرة التي تجعل المعذب يسرد كل الخفايا و الأسرار التي تدعم مجريات التحقيق حتى و أن كان على حساب موت المسجون " وحتى عندما ييأسون من احدهم تماماً يُطلقون صراحة ويدعونه لشرب الشاي معهم في المكتب ، يعاملونه بلطف دون أن يدري أنهم خلطوا له في شايه مادة الثاليوم ... بعد أربعة أيام أو خمسة يموت السجين السابق في بيته" (١٨٩) .

ومن ابرز مظاهر العنف التي تم رصدها بشاعة القتل على الهوية (في رواية بغداد) حين تحدث (راوي بغداد) ، عما قرأه في إحدى الجرائد عن حادثة باص نقل الركاب " ما إن وصل إلى مثلث أو الهلال ذلك الذي أطلقوا عليه مثلث أو هلال الموت شمال بابل والذي تشكله مدن جبلة و مويلحة و الحصوة والبحيرات والجرف والإسكندرية حتى تعرض لهجوم مسلحين أخرجوا الركاب جميعا وقتلوهم لم يستثنوا أحداً لا شيخاً ولا رجلاً أو امرأة قطعوا رؤوسهم كلهم ورموهم في مجرى النهر المجاور" (١٩٠) .

يصف الراوي أيضا مظاهر بشاعة العنف حين صور البطل القتل عندهم مثل رياضة يومية أي أصبح القتل لأجل القتل غاية يومية لهم أنهم متعطشون . " لا تسمع غير أخبار القتل وبأنواعه ، كأن الناس كتموا ساديتهم .من أين جاء كل العنف هذا ؟ العديد من القصص لا تزال ماثلة تلتصق بي ،تلك التي قرأتها أو التي سمعتها أو عشتها شخصياً ، العديد من القصص المرعبة المليئة بالدم والغدر والندالة ، بالاغتصاب والوحشية والسفالة حاصرتني من كل مكان" (١٩١) .

صور فيها ثيمة الحرب الأهلية وانعدام الإنسانية وإبادة كل من بالضد حتى وان لم يجاهر باختلافه كما نلمس ضعف الجانب الأمني من السلطة التي وقفت عاجزة عن إيقاف هذه المجازر.

(١٨٨) المصدر نفسه: ٢٣٩ .

(١٨٩) المصدر نفسه: ٢٣٩ .

(١٩٠) بغداد مالبورو : ٢٥٦ .

(١٩١) المصدر نفسه : ٢٥٦ .

كما رحى الطواحين هي الحرب تطحن كل البشر بكل أصنافه وأعمارهم وهذا ما مثله السارد في رواية (صورة يوسف) فبطل الرواية (يوسف) لم يكن يتوقع أن يقوموا بتعذيب الأطفال فكان يظن أنه يهذي " من غير الممكن ، أن يلقوا القبض أو يعذبوا أطفالاً ، فإنه بطلّ عن تأنيب نفسه ، عندما رآهم يرمون خمسة أطفال صغار في ليله باردة ، عبر بوابة السجن الصغيرة. و كأنه رأى نفسه عندما كان طفلاً . قال يوسف لنفسه ، كل الحيوانات متشابهة ، وذلك ما يراه مكتوباً على وجوه الأطفال. وعندما سأله الطفل بصوت متهدج : (راح يبدأ التعذيب عمو ؟) . أشاح يوسف وجهه . لم يشأ أن يراه الطفل يبكي " (١٩٢) . حتى أنهم كانوا يجعلوهم ينامون من دون أغطية " هكذا تحمل يوسف كل واجبات التعذيب : يرمونه للأرض ، ويدوسون عليه بأحذيتهم المدببة ، ثم يضربونه بالهراوات . لم يكن مسموحاً له البقاء على الأرض. وغالباً، وقبل أن يقع على الأرض ، يتلقاه أحدهم بضربة ترفعه عن الأرض " (١٩٣) .

فبذلك سجلت ثيمة العنف بأنواعه حضوراً فاعلاً في روايات نجم والي وأصبحت نسقاً مهيمناً في التعبير عن أزمة الإنسان العراقي المنسحق وسجلاً لكشوفات الواقع الفاسد ورسمت رؤية تشاؤمية لما وصلت إليه الأمور بفضاء دلالي للشروخ النفسية والسياسية داخل بنية المجتمع .

ثانياً - الإقصاء :

١- التفسير :

كان للتفسير القسري مأسٍ ومحن ومصائب جمّة حيث اشتدت كراهية حزب البعث للأقليات العراقية فقد صارت ضحية للنزاعات العراقية الإيرانية فعند اندلاع الحرب سنة ١٩٨٠م، إذ كانت الأقليات تشكل الحلقة الأضعف التي صب حزب البعث غضبه عليها ويعد التفسير من أهم مظاهر عدم التوازن التي مر بها العراق ، فكان لهذه الظاهرة العديد من الأزمات النفسية والاجتماعية لما ولدته من عنف وإساءة استخدام السلطة والإكراه البدني

(١٩٢) صورة يوسف : ٩٤ .

(١٩٣) صورة يوسف : ٩٧ .

والنفسى^(١٩٤). ففي سنة ١٩٨١م أصدرت الحكومة بياناً في جريدة الثورة أعلنت فيه عن بدأ عمليات التسفير جاء فيه : " اجتثوا من أرض العراق لكي لا يدينسوا تربة العراق ولا يدينسوا هواء العراق ولا يدينسوا الدم العراقي عندما تمتزج دماؤهم بدماء العراقيين بالتزاوج ... وهكذا اجتثتهم الثورة من الجذور لكي تنهيمهم ويبقى العراق الصافي الأبى الوطني الشريف الذي لا يقبل الذل مرفوع الجبين يبقى دائماً وابدأ اطفالاً ونساءً وشيوخاً ورجالا زمن أعمار أخرى ..."^(١٩٥). أن معظم المسفرين من المدنيين وصفوا بدون ذنب بـ (أعداء الدولة) و(التبعية الإيرانية) فتمت مصادرة أموالهم وأراضيهم ومستمسكاتهم وتهديد استقرارهم و أمنهم المدني والسياسي^(١٩٦). وطردوهم إلى العراق خارج الحدود العراقية الإيرانية . ، فأصبح التهجير يمثل سياسة يتبعها الحاكم على كل من يختلف معه في التوجه والتفكير أو حتى الدين كما خاضها المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية عندما قاطعهم المشركون في شعب أبي طالب .

وبهذا لا يكون للأشخاص أي سلطة في اتخاذ القرار في الرحيل أو البقاء .لقد استغل هذا القرار رجال السلطة فأخذوا بتهديد وتعنيف كل من يقف أمامهم أو ضد مصالحهم أما بوساطة تليفق تهمة ،وبالنتيجة تكون عقوبته التسفير أو الامتثال للأوامر فأصبح مرتبطاً بمصالح شخصية ، فنرى (عصام ماهود) أخذته الغطرسية واخذ يلفق التهم على المدنيين للتخلص منهم وهذا ما نقله السارد في رواية (مكان اسمه كميت) " لقد ندمت ماجدة لأنها لم تسألها تلك الأيام عما سمعته من سكان الناحية ، عن علاقتها بالرجل الخمسيني عبد الحسين الدلال ،الذي يُقال إن عصام لم يسفره بسبب أصله الفيلي و رغبته بالسيطرة على علوة الخضرة ، إنما بسبب علاقته بسامية"^(١٩٧).

كانت فكرة الحرب شيئاً مرعباً بالنسبة للشعب العراقي فكانوا يخافون على أبنائهم من التجنيد الإلزامي والمشاركة الإجبارية في الحرب مما اضطرهم عدم تسجيل الأطفال في

^(١٩٤) ينظر :الحياة الاجتماعية للعراقيين في المهجر ، طالب جبار الأحمد ، المركز العراقي للمعلومات ، ط ٢ ، بغداد ،

٢٠٠٩ م :١٢ .

^(١٩٥) جريدة الثورة حزب البعث الاشتراكي ، قانون جديد ، سعد قاسم حمودي ، عدد ٣٩١٧ ، ١٦ شباط عام ١٩٨١م

٣:

^(١٩٦) ينظر : مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي :٣٦٤.

^(١٩٧) مكان اسمه كميت : ١١٥ .

سجلات النفوس إلا أن حزب السلطة أصدر قراراً مفاده أن غير المقيدين في السجلات هم من اصل إيراني فتم تفسيرهم (١٩٨). لأن الشعب العراقي كان يعاني عبر سنوات طوال منذ الاحتلال العثماني وحتى مدة متأخرة من القرن العشرين من ويلات الحروب وسوق أبنائهم إلى الخدمة العسكرية وزجهم في أتون الحرب سواء من قبل العثمانيين أو غيرهم فكان العراقيون يلجؤون إلى طريقتين للتخلص من محرقة الحروب إما من خلال تسمية أبنائهم اسماء إناث أو الانتساب إلى قومية أخرى لغرض إعفائهم من التجنيد الإلزامي أو سوقهم بوصفهم عراقيين فاستغل النظام الحاكم هذه الذريعة لاستهدافهم وتفسيرهم كونهم ليسوا عراقيين .

أصبحت قصص التهجير تملأ العراق ، تسمع القاصي والداني وترعب كل من يحاول أن يقف من الحكومة أو رجال السلطة موقفاً معارضاً فأصبح السلاح يشهر في وجه كل شخص فيروي (احد الشيوخ في رواية (الحرب في حي الطرب) كيف التفسير طال أناساً لم يكن لهم أي انتماء سياسي أو حزبي " لقد سمعت بآلاف القصص التي حصلت في الكوت وبغداد والعمارة .ولكن ماذا ينفع الحديث عنها . لقد سَفَرُوا الكثيرين .حتى خطيبة ابني مجيد .سَفَرُوا وهو في الجبهة.

ثم اخرج الشيخ مطروفاً من جيبه وقال :

- هذه رسالة كتبتها ليلة تسفيرها . أحملها لمجيد المسكين الذي لا أعرف ماذا سيحصل له إذا عرف

- تصوروا الرجل يقاتل وخطيبته تسفّر ."(١٩٩)

فقد أصبح الإنسان لا قيمة له في أجواء من الاختناق الطائفي و المناطق والقتل بالمجان والتهجير فقد كانت روايات نجم والي شاهداً على مسيرة العراق السياسية والاجتماعية تحت الألم والمعاناة ووثيقة للذات الجريحة والمنكوبة للعنف المنتشر كالوباء في المجتمع العراقي حتى أضحت روايات نجم والي مدونة لشتى أنواع التعذيب

(١٩٨) ينظر : الحرب في حي الطرب : ٢٠٩ .

(١٩٩) الحرب في حي الطرب : ٢١٠ .

ومرثية للأسى العراقي وسجلا للزمن السياسي والاجتماعي والنفسي السيئ والآثار الواضحة المترتبة على نمو الطائفية و المناطقية للشخصيات الروائية وانعكاسها الواعي وغير الواعي في مجمل آثار نجم والي من خلال نزييف الأنا التي تعيش مصائرهما التراجيدية .

٢- الإبادة الجماعية :

إن خوض الحروب والصراعات الدولية التي كانت تزج بها الشعوب من خلال التجنيد الإلزامي كان له اثر في مجازر جماعية راح ضحيتها الأبرياء " فلم تعد الحروب تُشن باسم سيادة يجب الدفاع عنها ؛ بل نيابة عن وجود الجميع ؛ وتحشد تجمعات سكانية بأكملها من أجل الذبح بالجملة تحت ذريعة ضرورة الحياة ، إذ أصبحت المجازر ناشطة ، والمبدأ الذي يسلب الضوء على خطط المعركة – أي أن يكون المرء قادراً على القتل ، ليتمكن من الاستمرار في العيش – وهو المبدأ الذي يُعرف إستراتيجية الدول " (٢٠٠) فروى (سلمان) في رواية (بغداد مالبور) كيف أرسل الضابط مجموعة من الجنود إلى الخطوط الأمامية للجبهة فكانوا يزجون كل من يخالفهم بالانتماء الديني أو السياسي في اخطر خطوط المعركة للتخلص منهم " لنرى من سيكون أفضل منكم في الجبهة الأمامية ؛ أولهم شروكي قضى الأفندي خدمته العسكرية مع البغال وقراءة الكتب الوجودية وسماع أغاني فيروز ، ثانيهم مسيحي رقيق قضى خدمته العسكرية بائعاً في الحانوت يسمع الأغاني الغربية ، جون ترافولتا وموسيقى حمى يوم السبت ، وثالثهم كردي أعمامه وأهله يقتلون جنودنا في الجبال ، ورابعهم صابئي يداه ناعمتان لم تعرفا غير صياغة الذهب ونقشه ... أي هراء و استخفاف بتاريخ البلاد المناضلة هذه ؟ منذ اليوم ستعرفون ما هي العسكرية ، ستكونون في الخطوط الأمامية." (٢٠١) فهم يعتقدون أن بعض الأقليات قد تسبب لهم خطراً ، يتم معاقبة ضحية بريئة بدون سبب وجيه (٢٠٢) ، ويروي (راوي بغداد) في الرواية ذاتها أن الإبادة قد تكون

(٢٠٠) الإبادة الجماعية مفهومها ، وجذورها ، وتطورها ، وأين حدثت ..؟، مارتن شو ، تر. محيي الدين حميدي ، العكيان ، ط ١ ، الرياض - السعودية ، ٢٠١٧ م : ٢٨٦-٢٨٧.

(٢٠١) بغداد مالبور : ٥٥.

(٢٠٢) ينظر : العنف والمقدس ، رينيه جيرار ، تر . سميرة ريشا ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م : ١١ .

من داخل الفئة ذاتها ، فيتخلى المتنفس عن طائفته ويكون بها اشد فتكاً من غيره .. من ذلك (النقيب حيدر ملا كريدي) أو المسمى أيضا بـ (صالح التكريتي) الذي قام بعمليات إبادة مجموعة من أطلق عليهم الغوغاء في كربلاء المقدسة والحلة وبقية مدن الجنوب و (التكريتي او كريدي) إنما هي القاب أطلقها على نفسه ليتملص من طائفته فينسب نفسه إلى طوائف أخرى فيقول الراوي: " لم يكتب لي سلمان اسمه لكنني عرفته بعد خمسة شهور أو ستة من وصول رسالته ، عندما رأيت الضابط هذا في التلفزيون يتسلم وسام أو نوط الشجاعة من سيده حاكم البلاد وجلاّدها ، اسمه النقيب حيدر ملا كريدي ، اسم غريب حقيقة حتى أن الحاكم لم يتردد أن يضحك عندما علّق النوط على صدره ، لم يسأله بل خاطب وزير دفاعه (منين أهلو هذا)، ربما ظن الحاكم أنه كردي بسبب اسم العائلة (كريدي) أو ما شابه لكنه فوجئ حقيقة عنها عرف أنه من الحلة أو كربلاء ، لا أتذكر بالضبط لكنني أتذكر أنني أنا الآخر فوجئت و أنا أرى الضابط هذا ، ليس لأنني لم أتوقعه وحسب ، فكلما أعرف من أيام خدمتي في الكتيبة نفسها في دوكان ، كان اسم ضابط أمن الكتيبة صالح ، صالح حاجم التكريتي ، بل أكثر عندما قرأت في اليوم الثاني أن شجاعة أو بطولة الضابط الكريه هذا تركزت بإشرافه ومعه ضباط آخرين على قتل المئات ممن أطلق عليهم الغوغاء في انتفاضة آذار ١٩٩١ ، لقتله لهم في مناطق الحلة وكربلاء والباقون من زملائه لقتلهم الآخرين في بقية مدن الجنوب" (٢٠٣).

ومن أساليب العنف هو قمع الحرية وتضييق الخناق على الشعراء بسبب القصائد السياسية وقد تعتمد السلطة السياسية تكميم الأفواه عن طريق زرع الخوف بين صفوف الفئة المثقفة إلى إبادة بإعدام مجموعة كبيرة منهم لزرع الخوف والرغبة لمن تبقى منهم ، فقد أُبديت مجموعة غير قليلة من الشعراء لزرع الخوف والرغبة فنرى هذا في رواية (مكان اسمه كميت) عندما تساءل (كاظم) عن الأسباب وراء عدم نشر الوزارة لدواوين (صالح) " - أنت الوحيد ، مع عدد قليل ، اللي ما نشر ديوان في وزارتهم ، الآخرين نشرت

الدولة دواوينهم ، هل أعدمهم؟ كل الذين نشروا في الوزارة دفعوا الثمن . زائداً ، أنت انقطعت عن كتابة الشعر بعد مارس ١٩٧٨ ، بعد إعدام الواحد والثلاثين." (٢٠٤).

وصف أحد الباحثين ما حصل في العراق بسبب الجماعات المتشددة بأن هذا البلد قد تحول إلى ميدان قتل بدائي غير مسبوق في تاريخ هذا الوطن (٢٠٥) . وهذا ما أكده راوي بغداد في رواية (بغداد مالبورو) وهو يسرد رحلة هروبه : " من يخرج مثلي من عاصمة المزابل والقتل والاغتيالات ، من يغادر بغداد ، إن توجه ناحية الجنوب أم ناحية الشمال ، ناحية الشرق أم ناحية الغرب ، سيرى مزابل تراكتت على جانبي الطريق ، جبال قمامة عالية فاضت بها الأحياء السكنية فلفظتها إلى الأطراف ، مزابل لا ينافسها من فوضاها غير شوارع وجسور محفورة بالإسفلت ... لكن ما لا يستطيع تحمُّله هو القتل على الهوية الذي انتشر في البلاد فجأة مثل الطاعون بسنتين ونصف أو أكثر كان علي الهروب من حقيقة ما أراه أمامي من خراب ... لأن المزابل والتلوث والخراب تظل أقل وطأة من القتل على الهوية والتطهير العرقي الذي طال قرى وقصبات ومدن البلاد " (٢٠٦) .

ومن تداعيات الحرب الطائفية التي عصفت في البلاد منذ عام ٢٠٠٣م صور فيها مشهد مرعب صور مسلحين اخرجوا الركاب جميعا وقتلوهم دون وجه حق أو سبب واضح أو معرفة شخصية ولم يستثنوا احد من نساء أو أطفال أو شيوخ وقطعوا رؤوسهم كلهم ورموهم في مجرى النهر المجاور .

وبذلك صور نجم والي الحرب بتفاصيلها على الرغم من أنه رحل عن العراق إلا أنه عاشها بمخيلته بكل تفاصيلها وجعل من رواياته سجلاً تاريخياً للحرب بنقل بشاعتها ومشاهد العنف والإرهاب النفسي بكل مخلفاته ، فالرواية أمضى سلاح أيديولوجي يمكن أن يشهر أمام مشوهي الحقائق وابتعد عن المباشرة والتقريرية وذهب إلى تأويل نفسية الإرهابي وتحليل مجتمع الإرهاب وسيكولوجيته ولم تقتصر على الوصف الحسي الإخباري ولم يكن همه إيصال المعلومة إنما كان همه تعميق المعلومة في الوجدان الإنساني وخلقها من جديد

(٢٠٤) مكان اسمه كميت : ١٠١ .

(٢٠٥) ينظر : فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب ، د. سمير الخليل ، تموز للطباعة والنشر ، ط٣ ، دمشق ،

٢٠١٤ م : ٢٨٤ .

(٢٠٦) بغداد مالبورو : ٢٥٠ - ٢٥١ .

وإعادة بنائها وبذلك تميز خطاب الإرهاب والإبادة في مدونته بكونه يتأسس على الاحتفاء بالفجيعة و الأفول و تتحول المعاناة إلى حكاية ومصير لأغلب الشخصيات وهم يرزحون تحت ثنائية الحياة والموت عبر حقبة التاريخ التي مرت على العراق سواء ما قبل ٢٠٠٣ أو ما بعدها.

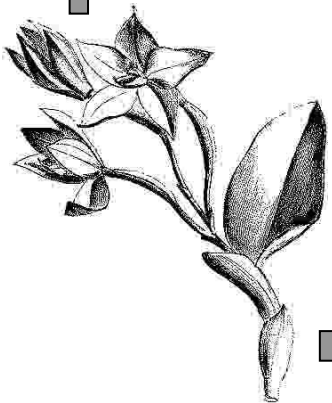
الفصل الثاني

التمثلات الاجتماعية للحرب في

روايات نجم والي

المبحث الأول : السياسات التدميرية

المبحث الثاني : الانتهاكات الأخلاقية



الفصل الثاني : التمثلات الاجتماعية للحرب

مدخل :

شغلت موضوعة الحرب مساحة واسعة من تفكير الروائيين فانعكست هذه الموضوعة على نتاجاتهم الإبداعية ولم تقتصر على جانب واحد من جوانب الحرب، بل تعددت بحسب نظرة الروائي لها ومدى تأثيره بها وما أفضت إليه من نتائج سلبية على المجتمع؛ فكانت للحرب تبعات على المجتمع بصورة عامة يمكن تأطيرها من خلال تمثلات هي :

المبحث الأول : السياسات التدميرية :

ترافق الحروب سياسات تدميرية ونقصد بها كل عمل تخريبي ينشأ في وقت الحرب سواء كان مسببه : الدولة ، أو الشعب ، أو العدو تؤدي هذه السياسات إلى عواقب وخيمة من دمار مادي واجتماعي وبيئي وركود اقتصادي ومشاكل اجتماعية أخرى^(٢٠٧)، وسيقف البحث لاستعراض أشكال هذه السياسات في روايات نجم والي .

أولاً - الإرهاب السلطوي والسياسي :

يعد الإرهاب السلطوي والسياسي تمثلاً من التمثلات السياسية و التدميرية و جزءاً من السياسات الداخلية التي تتبعها السلطة لغرض إحكام قبضتها على الشعب ، ولتكبيله وشل محاولة الإقدام على أي شكل من أشكال المقاومة ، وقد تمحورت روايات نجم والي حول الإرهاب السلطوي والسياسي الذي تظهر أول علاماته في التهديد ، و هو سلاح يشهره أتباع السلطة بوجه أي احد يناهضهم سياسياً أو حتى يقف ضد مصالحهم الشخصية ، ففي رواية (مكان اسمه كميت) يفشل عصام ماهود بإقناع (ماجدة) خطيبته بالعودة إليه بعد انفصالها عنه ؛ فيعمد إلى تهديد ذويها بإلحاق الأذى بهم عن طريق الإبلاغ عن ابنهم الذي ينتمي إلى حزب مخالف للسلطة :

" ليش أخفيت ابنك الشيوعي علي ؟ ... "

^(٢٠٧) ينظر : الآثار الاجتماعية والاقتصادية والبيئية الناتجة عن الحروب على العراق للفترة (١٩٨٠ - ٢٠١٥) ، جنان شاكر الراوي وآخرون ، مجلة العلوم البيئية ، معهد الدراسات والبحوث عين زشمس ، مج / ٤٥ ، ج / ٢ ، مارس ٢٠١٩ : ٣٧٧ - ٣٨٤ .

- القانون يحتم تبعية العائلة بسبب أي فرع خايس بيها .

- اعرف أنت غير موافق على سلوك ابنك. لكن أعتقد أنت غير موافق على سلوك بنتك أيضاً .

- سيد عبد الحميد تعرفني اكره الاستطالات . ماكو أي خطر عليك ، إذا أقنعت بنتك . اعرف دائماً ، أنا السلطة ، ماكو واحد يوكف بوجهي^(٢٠٨) .

نلاحظ أن أسلوب التهديد جاء بشكلين الأول لغة مبطن (أعتقد أنت غير موافق أنت على سلوك بنتك أيضا) ، ثم يتحول إلى الشكل الثاني لغة مباشرة وإفصاح : (أنا السلطة ، ماكو واحد يوكف بوجهي) . فالنص الروائي يكشف عن عمق الإرهاب وتفشيته داخل الأجهزة المتنفذة للسلطة وتوظيفه لمصالحها الشخصية ، فضلا عن استكانة الناس وهذا الخوف الذي أصبح سلوكا من سلوكياتها واعتادت عليه فتحوّلت إلى مجتمعات مطيعة لا تعرف الرفض والوقوف بوجهها ، فنسق الإرهاب الذي تمارسه السلطة يقابله نسق الخوف المسيطر على المجتمع وهذه سمة المجتمعات التي تحكمها الأنظمة الشمولية .

أما الشكل الثاني للتهديد وهو التهديد من قبل عناصر مجهولة والذي وجد فضائه في ظل الصراعات الطائفية بعد ٢٠٠٣م ، ففي رواية (بغداد مالبورو) يقول الراوي "بدأ الحديث واضحا في الشارع عن الجهات التي تختفي وراء التهديدات تلك . صحيح أن بعضها حمل بصمات الإرهاب لكن أغلبها كان من صنع أيادي المضاربين الطامعين بالعقارات السكنية هناك. حتى وليم نفسه لم يتلقَ رسائل تهديد دُست له مرات عديدة تحت باب الحانة وحسب ، بل وتلقَى التهديدات مباشرة . كان آخرها قبل ثلاثة أيام ... عندما زاره بعض رجال المليشيات يحذرونه من إقامة القدّاس ، رجال لم يلتئموا وجوههم ، والذين إذا سألتهم عن مذاهبهم ودياناتهم ، إذا كانوا شيعة أم سنة لأجاب بتهمك : لا أدري ، لهجتهم غريبة علي ومن الممكن أن يكونوا أتباع مذهب جاء من بلاد الواق واق"^(٢٠٩) .

(٢٠٨) مكان اسمه كميت : ١٦٢

(٢٠٩) بغداد مابورو : ٢٩٨ .

والنص يفصح بأن ثقافة التهديد التي اعتاد عليها الشعب في ظل السلطة البائدة أَلقت بظلالها على الساحة العراقية بعد ٢٠٠٣ ؛ لأن الروائي يشير إلى أن الإرهاب لم يكن بسبب طائفي محض ؛ بل كان غطاءً يتستر خلفه أشخاص وتتقنع به أياد خفية ، إن عبارة (لم يلبثوا وجوههم) ، و (لهجتهم غريبة عليّ) علامة على أن لا علاقة للصراع الطائفي بهذه الأعمال الإرهابية ؛ بل وأن فيها إشارة واضحة إلى أن هناك متنفذين في الدولة يديرونها من وراء الستار والدليل عدم وضعهم اللثام .

فالتهديد يكون إستراتيجية إقناع يلوح بها المسؤول ليحبر الآخرين على تنفيذ أوامره. ففي رواية (تل اللحم) يهدد المسؤول الأمني بالجامعة بظلة الرواية (معالي) ؛ ليجعلها تمتثل لطلبه فتصبح عيناً للسلطة الأمنية بين الطلاب ، ولتنقل معلومات عن تحركات معارضي النظام فوجه المسؤول خطابه لها قائلاً " - تشوفين كل هذه الأجهزة . كلها نستخدمها مع البنت اللي ما تتعاون ويانا . طبعاً أنت رفيقة، ونعرف تفانيك للحزب ... راح أزودك بقائمة تحتوي على أسماء الأعداء، ومن اليوم تتحركن باتجاههم!"^(٢١٠). إن اختيار عنصر المرأة والفتاة الجامعية بالتحديد؛ لأنها اقل شبهةً ؛ ولأنها تستطيع التوغل بين الطلاب مستخدمة ما لديها من ملامح أنثوية بريئة فاستعمال المخبر السري في التجسس على التحركات الطلابية ؛ لأن الطلاب يشكلون روح شبابية ثورية فياضة وفي اغلب الأحيان هم المحرك والدافع لأغلب الثورات العربية^(٢١١).

أما الشكل الثاني للإرهاب السلطوي فهو المطاردة ويمكن أن تكون هذه المطاردة متخيلة في ذهن الشخصية ؛ لإحساسها بأنها قامت بفعل ترفضه السلطة الحاكمة ومن ذلك (صالح) في رواية (مكان اسمه كميت) ، حين التقى بشخصيتين ينتميان إلى الحزب الشيوعي وهما (عفيف، وكاظم) فمجرد لقاء عابر جعله يعيش برعب وينتابه إحساس بأنه مراقب فبدا كل ما حوله مثيراً للربح " فقد كان يرتاب من كل حركة ، وحتى أنه جفل مرة ، بل مرتين أثناء سيره ، بسبب حركة القطن التي كانت تمارس عملها اليومي في البحث عن

^(٢١٠) تل اللحم : ٦١ .

^(٢١١) ينظر : مقدمات ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، د. مجدي حمّاد ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٩٤م : ٩٢ ، وينظر : انتفاضة تشرين الثاني عام ١٩٥٢ م / انقلاب الوصي في العراق (دراسة تاريخية تحليلية وثائقية) محمد حمدي الجعفري ، مكتبة مدبولي ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠٠٠م : ٦٧ - ٨٩ .

قوتها في صفائح النفايات ، عند حيطان البيوت . لم يشأ سماع حفيفها فقط ، إنما كان بوده سماع ضجيج موائها . كلا ، هناك ما يثير الريبة في كل شأن حتى بدت له المسافة من بيت كاظم حتى بيت جدته مثيرة للخوف . هل يخاف مطاردهم له؟^(٢١٢) . فالخوف السلطوي أصبح غائرا في نفسه ومسيطرا عليه ، بحيث أنه يعتقد أن كل حركة هي مُطاردة له من أجهزة النظام القمعية ، فالحركة من دون صوت يميزها أصبحت معادلا للخوف والموت لديه ، فهو يحس بالموت النفسي نتيجة الإرهاب السلطوي التدميري الذي تمارسه السلطة تجاه شعبها حينما تعتقد أنهم ضدها أو موافقهم لا تتوافق معها فتعمق السلطة نسق الخوف النفسي في معارضيتها .

اللغة تتحول من معناها اللغوي إلى دلالات أخرى فاللغة تأخذ دلالتها من المجتمع أحيانا ولعل هذا يفسر تحول دلالة كثير من المفردات والجمل زمن النظام السابق فكما تحولت دلالة لفظة (رفيق) من معناها اللغوي الشائع إلى معنى اجتماعي وهو رمز مرعب لأعوان السلطة تحولت كثير من الجمل في دلالتها ، ومن ذلك ما نجده في رواية (عمتي الرومانتيكية) فعبارة (دقائق تأتي معنا ثم تعود) أصبحت رمزاً كنائياً للاعتقال و ربما الذهاب بلا عودة فحين تعرض أخ العمة للاعتقال قالوا له هذه الجملة التي فهم قصديتها بسهولة وتعرف بوساطتها على مصيره المحتوم وهذا ما يفصح عنه النص الآتي في الرواية : " كان يمكن أن يطول صمته ويطول لو لم يطلب منه الرجلان ارتداء ملابسهم والقعود معهما ، (دقائق قليلة نحتاجك ، لا بد وأن تأتي معنا ، الأمر له علاقة بأختك) ، الجملة ذاتها سمعها عدد كبير من الناس في تلك السنوات رجال الشرطة السرية والأمن ، (دقائق تأتي معنا، ثم تعود) ، فالناس كلهم يعرفون أن البضعة دقائق تلك ممكن أن تتحول في حالته إلى دهور ، فيموت متعفناً في زنانات التعذيب والسجون ، كان الناس يقولون (تعفن فلان) ، يعني انعدام الأمل في إطلاق سراحه ، أو أن تنتهي به تلك الدقائق المزعومة إلى أن يتحول جثة تحت التراب "^(٢١٣)

^(٢١٢) مكان اسمه كميته : ١٠٨ .

^(٢١٣) عمتي الرومانتيكية ، ٨٤ .

أما الشكل الثالثة للسياسات التدميرية هو الاعتقال حين تفشل السلطة في أدواتها السابقة تتخذ الأداة الثالثة باعتبارها حلاً جذرياً ففي رواية (مكان اسمه كميته) ، نجد أن شخصية (عصام ماهود) متنفذ يقوم باعتقالات ولا يتوارى عن استخدام سلطته لتجريد الآخرين من ممتلكاتهم ؛ لرغبته في الاستيلاء عليها مثل نزاعه على السينما مع (عبد الله) ، فيلجأ إلى تليفيق التهم لعدوه هذا فلفق اتهاماً لإدانته بتورطه مع أحزاب معادية لحزب السلطة الحاكم "منذ زمن طويل يحاول عصام الاستيلاء على السينما . حاول في البداية وبطرق ديبلوماسية إقناع عبد الله ببيع السينما ، لكنه اصطدم برفضه، ... لذلك لجأ إلى وسيلته التقليدية : القوة . هكذا اتفق مع مدير الأمن الجديد مزهر على تدبير خطة جديدة . لم تعز مزهر رجل الأمن الخبير الحجج لتليفيق تهمة علاقة عبد الله بالشيوعيين ، وجعل السينما كملجأ للذين ينزلون منهم من الشمال باتجاه الجنوب . هكذا اعتقل عبد الله وأخضعه للتعذيب" (٢١٤).

ومثلما وجدنا في إستراتيجية التهديد أن السلطة تختار شخصيات ذات ملامح بريئة أو لا تبدو عليها ملامح الإجرام لتخفي وراءها مكائدهم للشعب وليكونوا من أتباعها مثلما حصل مع (معالي) (٢١٥) ، نجد ذلك أيضاً في الاعتقال فـ (عصام ماهود) في رواية (مكان اسمه كميته) هو أيضاً يمتلك ملامح براءة تخفي وراءها شرارته " كان عصام ماهود يغطي بتلك البشاشة والمسحة الأنثوية التي احتفظت ملامحه بها ، على الاعتقالات التي كانت تحدث في الناحية بتحريضه ، فهو الذي يحرك مدير الأمن ومدير الشرطة ومدير الاستخبارات ومدير المدرسة مثل بيداق شطرنج" (٢١٦).

وقد طال الاعتقال السياسي شرائح مختلفة من الشعب متخذين من تدبير التهم جزافاً كما أسلفنا ذريعة لذلك ، ومن هذه التهم الادعاء أن المشتبه به مجنون وهذا ما نجده في رواية (مكان اسمه كميته) ، إذ تعرض إحدى شخصياتها وهي زوجة كاظم - الشخص الذي كان يشتبه بانتمائه الشيوعي - للاعتقال لأسباب بعيدة عن الواقع وبطريقة درامية ففي

(٢١٤) مكان اسمه كميته : ١٧٩ .

(٢١٥) ينظر: تل اللحم : ٦١ .

(٢١٦) تل اللحم : ٩٤ .

حوار بين (كاظم) و (صالح) - الشخصية الرئيسية - في الرواية يقول (صالح) : " - أعتقد زوجتك معتقلة ، صحيح؟

فهز كاظم رأسه بالإيجاب :

- ممكن أن تقول مسجونة . جاؤوا قبل أربعة أشهر، هذه المرة بملابس المرضى ، ادعوا بأن عندهم ورقة وتقريراً طبياً يقول أنها مجنونة ويجب أخذها إلى الشماعية ، مبررين قولهم إنها تشتم الدولة علانية بمناسبة وغير مناسبة "(٢١٧). فهنا يستمر نجم والي بجمع التناقض بين البراءة والخبث ، فالمرضى ملاك للرحمة يتحول في النص إلى شيطان للاعتقال كما أن اختيار (المريض) بوصفه من أتباع السلطة علامة على التوغل و قوة جهاز المخابرات فعلى الشخص أن لا يحترس من الناس الذين تظهر عليهم ملامح الانتماء فقط كاتخاذهم زيّ أو مظهر معين ولون خاص للزي ، كما أن النص لا يخلو من التمويه المكاني حين جعل الشماعية رمزا للمعتقل ، وبذلك استخدم الحزب الحاكم وسلطته الاحتياطي والدهاء للتخلص من أتباع الشيوعية في العراق لاعتقادهم بأنه حزب يشكل تهديدا للسلطة حتى وأن لم يكن هذا التهديد مؤثراً كما حصل مع هذه السيدة - زوجة كاظم - فأعظم ما قامت به هو شتم النظام لكي يجسدوا نزعتهم الانفرادية للسلطة (٢١٨). فالنص يكشف عن مقارنة في توظيف السلطة التدميرية والعنف الممنهج تجاه المعارضين أو يتهمون بالمعارضة لهم عبر نسق مخالف وهو أن أجهزة النظام تتخذ ممن وضعوا أنفسهم لخدمة الإنسانية - الملاكات الصحية - عبر استخدام ملابسهم التي تمثل علامة بارزة ودالة عليهم إلى أجهزة قمعية تعتقل الابرياء في أماكن هي مخصصة لشفاء الناس ولا بأس أن يشعر الإنسان تجاهها بالود لما تحمله من رحمة وإنسانية . وهذا النسق من اخطر أنساق السلطة التدميرية التي يمارسها النظام حينما يعمل على تغيير المفاهيم وقلبها .

ثانيا - التخريب الممنهج :

(٢١٧) المصدر نفسه : ١٠١ .

(٢١٨) ينظر : بدايات حزب البعث العربي العراقي (٩٤٤ - ٩٥٠ ، ٩٥٠ - ٩٥٣) ، فائز إسماعيل ، مركز الشعلان ، ط ١ ، دمشق ، د.ت : ٧٩ - ٨٠ .

ارتبط التخريب الممنهج في القرن الخامس الميلادي بـ (الواندليون) أو (الفاندليون) وهي قبيلة جرمانية (الفاندال) يقال إنها في نزاعها مع القبائل الأخرى ارتكبت الكثير من أعمال النهب والتخريب ، مستهدفة بشكل خاص الأعمال الفنية على الرغم من أن المصطلح كان مرتبطاً بتخريب أو تدمير القطع الأثرية والممتلكات الثقافية في القرن التاسع عشر، إلا أنه يشير أيضا إلى أعمال التخريب العامة ففي فرنسا استعمل سنة ١٩١٠م، عندما قام عمال السكك الحديدية أثناء إضراب لهم بتخريب العوارض الخشبية المقامة عليها السكك الحديدية (٢١٩). فمصطلح (التخريب) يشير اليوم إلى أي فعل تخريبي للممتلكات أياً كانت أهميتها وطبيعتها وبشكل أساسي ممتلكات الطاقة (٢٢٠) ، ولم يستعمل الفقهاء المسلمون لفظة التخريب بل استعملوا بدلاً عنها لفظ الإتلاف وما هو إلا صورة من صور التخريب (٢٢١) .

وقد ذكر الله التخريب في القرآن : ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٢٢). ويمكن القول إن "التخريب هو كلمة السر لانهايار المجتمعات" (٢٢٣). واصدق بيئة لانهايار المجتمعات هي بيئة الحروب ، فقد يلجأ الجيش أثناء الحروب إلى التخريب كرد اعتبار إذا ما أُجبروا على الانسحاب من ارض كانت تحت سيطرتهم ، فيصور نجم والي انسحاب القوات العراقية من الكويت مستعملين أسلوب تخريبي "بدأ الجيش العراقي بالانسحاب بعد أن أشعل النار في حقول النفط الكويتية . خط طويل من الدبابات والمدرّعات وناقلات الجنود تشكّل على طول المعبر الحدودي الرئيس بين العراق والكويت والذي تحول إلى صيد سهل لقصف قوات التحالف" (٢٢٤) . فالراوي يصور لنا التخريب الممنهج الذي قام به الجيش العراقي في الكويت جاء نتيجة أوامر السلطة إليه عبر تحديد الأمكنة والمنشآت التي طالها التخريب الممنهج ، وهو ليس صادرا من أفراد بل من نظام يعي وهذا التخريب وصل

(٢١٩) ينظر : الجرائم الماسة بأمن الدولة الداخلي ، دراسة مقارنة ، سعد إبراهيم الاعظمي ، دار الثقافة العامة، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٩ م : ١٢٨ .

(٢٢٠) ينظر : مملكة الوندال في شمال أفريقيا ، محمود سعيد عمران ، دار المعارف ، ط١ ، مصر ، ١٩٨٥ م : ١٠ .

(٢٢١) ينظر : جرائم تخريب الأموال العامة في قانون العقوبات في العراق ، نبراس جبار خلف محمد الحلفي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الحقوق / قسم القانون الجنائي ، ٢٠٠٨ م : ٢٣ .

(٢٢٢) سورة الحشر ، الآية : ٢ .

(٢٢٣) عملية التخريب كيف تقوم بالتخريب بأحكام وتدمر أمة ؟ ، بكر أبو بكر ، مركز الانطلاقة للدراسات (الدراسة الثامنة) فلسطين ، ٢٠١٧ م : ٦ .

(٢٢٤) بغداد مالبورو : ٦٥ .

إلى الجيش العراقي وتدميره عبر جعله صيداً سهلاً نتيجة القصف الذي طال دباباته وعجلاته وأفراده .

و يصور الراوي في رواية (الحرب في حي الطرب) تخريب وقطع الإمداد، ومعروف أن خطوط الإمداد والتموين تساعد الجيش على الاستمرار بالحروب وعدم الاستسلام، و إن طالها الدمار سيؤدي ذلك إلى ضعف الجيش أو انسحابه فالمؤن والعتاد والذخائر والآليات والوقود و الإمداد والتموين جزء من منظومة اشمل تدعى اللوجستيك ، وتعود أصول الإمداد العسكري إلى ما قبل الميلاد ،فقد أثار القائد الصيني الشهير سون تزو (الذي عاش بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد) فكرة إحداث عربات تحمل المؤن و تصاحب القوات خلال المعارك لتلبية احتياجاتها المختلفة خاصة من الأطعمة ، وكان التموين بالمأكل أحد أهم التحديات التي تواجهها جيوش تلك الحقبة سيما خلال حملاتها العسكرية بالبلاد البعيدة ، وكان التقليد السائد هو الاعتماد على الغنائم ومخازن المناطق التي تم إخضاعها في الحصول على المؤن^(٢٢٥) ، فخطوط الإمداد تشكل أهمية للجيش عرفها الإيرانيون كما يروي السارد " لذلك اعتادوا أيام الحروب الأولى ضرب خطوط التموين والإمدادات الخلفية"^(٢٢٦) .

إن تضعف المشهد السياسي والأمني لا بد من أن يلقي بظلاله على مؤسسات الدولة ويؤدي إلى انهيارها ، ومعروف أن الدولة كانت تحت ظل حكم دكتاتوري تنفذ عقاباً شديداً في كل من يقف بوجهها أو يخالف تعاليمها ، الهدف من شراسة العقاب هو تطويع الأجساد ، وتذويب العقول ، وغرس الرعب في النفوس بهدف قبر كل نزوع إلى العصيان والتمرد ، والقضاء بصفة نهائية على كل روح نقدية^(٢٢٧) . ولذلك يلجأ الأفراد إلى إخفاء كل دليل يثبت ارتكابهم بأعمال تدينهم عند الدولة كإنتحال الشخصية أو أمور تؤكد فرارهم من التجنيد الإلزامي أو غير ذلك عن طريق تخريب مؤسسات عامة وإتلاف سجلات الدولة ومن ذلك

^(٢٢٥) ينظر :خطوط الإمداد .. شرايين حياة الجيوش ، ٢٠١٥ /١٢/٢٧ ، الجزيرة وكالات ، الموقع الإلكتروني ،

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/>

^(٢٢٦) الحرب في حي الطرب : ٣٠٢ .

^(٢٢٧) ينظر : سوسولوجيا العنف والإرهاب لماذا يفجر الإرهابي نفسه وهو منتشٍ فرحاً : ٩٠

ما حدث في رواية صورة يوسف إذ " حرق الجنود والغوغاء والمتمردون سجلات دوائر النفوس والتجنيد والدوائر الرسمية" (٢٢٨) .

وأعمال حرق الوزارات تعد من تمظهرات الحرب أيضا ، وفي الرواية (بغداد مالبورو) يصف (راوي بغداد) أحداث هذه الأزمة قال "اندلعت الحرب احترقت الوزارة ومعها احترقت البلاد ، لكن شكراً لذاكرة لا تحترق ولا تشيخ" (٢٢٩) .الدمار عمّ البلاد بوسعها لا شيء يمكن أن يمحو ما في السجلات و إن كان هناك تخريب وحرائق فالأمور التي لا تطولها الحرائق هي ذاكرة الشعوب وهي الشاهد على كل ما مرّ به العراقيون .

وقد يطال التخريب أي رمز للبلاد فالعراق معروف بزراعة النخيل لا بل أنه من أهم الدول إنتاجاً للتمور وهي لا تمثل ثمرة للشعب بل أنها رمز للشموخ ، ففي حوار بين (نجم) و(نخيل) عن مجازر النخيل "ربما لأنهم أرادوا أن نعتاد على مجازر أخرى ، أقصد مجازر النخيل ، هل رأيت مشهد النخيل المحروق أو المقطوع الرأس في كل مكان ؟ ... ٧ ملايين نخلة التي راحت ضحية الحرب العراقية الإيرانية وحرب الكويت ، سواء بسبب شق الطرق للمدركات والدبابات العراقية ... أو نتيجة للقصف الإيراني الكثيف أولاً ، وبعدها لنيران مدفعية الحرس الجمهوري العراقي وهي تقصف المنتفضين بعد انتهاء حرب الكويت الذين احتموا في كل غابات النخيل التي امتدت يوماً على طول الحدود العراقية الإيرانية من الجنوب حتى وسط البلاد" (٢٣٠) . فمجازر النخيل والنخلة مقطوعة الرأس وان كانت الصورة تخيلية إلا أن الدلالة النفسية والتعبير التخيلي قد زاد من مأساوية المشهد لأنه يحمل دلالات عميقة على تمثلات الحرب ربما وجد العراق فيه الشيء الذي يتمناه ومن ذلك تسمية الشخصيات بهذه الاسماء ومن ذلك (نخيل) في رواية (بغداد مالبورو) وهي زوجة سلمان وقد طالت الحرب هذا الرمز العراقي فتعرض حاله حال البشر للإبادة فسقط بإيادته

(٢٢٨) صورة يوسف : ١٢٣ .

(٢٢٩) بغداد مالبورو: ٥٣ .

(٢٣٠) بغداد مالبورو: ٧٦ .

مجموعة من الركائز الاجتماعية بوصفه رمزاً اجتماعياً يحمل دلالاته عند العراقي من الناحية والثقافية والاقتصادية لما له من اثر على الدخل والمردود الاقتصادي للدولة^(٢٣١) .

أما الوجه الآخر لمصادرة الأفكار فهو القضاء على مراكز الثقافة محاربة العلم سلاح باردٌ وفاعلٌ وخفي تشهره السلطة الدكتاتورية ؛ لأنه سر ديمومة بقائها، فسيادة الجهل يديماً تمكنها وهذا ما أشار إليه نجم والي في رواية (عمتي الرومانتيكية) التي تصور أحداث الحروب المتتالية التي مرت على العراق في حقبة حكم الدكتاتور إذ منع تداول الكتب إلا وفق شروط ؛ عدم تعارضها مع فكر الحزب الحاكم وعدم احتوائها على أفكار ثورية أو تدعو للحرية الإنسانية فصادروا حتى الكتب الدينية التي وجدت فيها أفكاراً تدعو إلى إنسانية الإنسان واحترامه ، فأصبح دخول الكتب للعراق بطرق التهريب أو برشوة حرس الحدود بمقايضتهم ففي حوار بين شخصيتين من شخصيات رواية (عمتي الرومانتيكية) وهما (عدنان وصبري) ركز عدنان على أثر الحصار في الشعب بقوله : " تخيل ماذا يقول أصدقائي؟ يقول لي وهو يضحك ، (يقولون من السهل تمرير هذه الكتب الممنوعة مقابل علبة من شوكولاتة لرجل التفتيش عند نقطة الحدود) "^(٢٣٢)، وهنا إشارة إلى تمكن الحصار من الشعب فأصبح شراء ذمم الحرس ممكناً بقطعة شوكولاتة وهذا جزءٌ من منظومة كاملة أساسها المقايضة فهي قريبة من شعار الأمم المتحدة الذي رفعته آنذاك " النفط مقابل الغذاء"^(٢٣٣) .

فمن أكثر الأعمال همجية وتتم عن جهل مرتكبيها تخريب دور العلم والمكتبات ومؤسسات الثقافة ، وهي من تداعيات انهيار الدول اثر الحروب فشارع المتنبي ملتقى المثقفين وأحد ابرز معالم العاصمة وأقدم شارع للمكتبات والكتب الثقافية وملتقى الأدباء والكادحين ، فيصف (الدكتور غالب) ،وهو احد شخصيات رواية بغداد مالبورو الخراب الذي حل بهذا الشارع بعد ٢٠٠٣م " جلستنا تلك عندما اختلطت أوراق الكتب المتناثرة مع

^(٢٣١) ينظر : النخيل والتمور في العراق (تحليل جغرافي لزراعة النخيل و إنتاج التمور وصناعاتها وتجارتها)، عبد الوهاب الدباغ، مطبعة الأمة، ط١، بغداد، ١٩٥٦م : ٨٨-٩٠ .

^(٢٣٢) عمتي الرومانتيكية : ٢٦٢ .

^(٢٣٣) العرب والأمم المتحدة مجلس الأمن فقط (المكسب والخسارة) ، أسامة عبد الرحمن ،هبة النيل للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠١٥م : ١٠٧ .

الدماء والجثث المتفحمة على جانبي شارع المتنبي العريق في قلب بغداد؟ كيف سمح ادهم لنفسه بتفجير سيارة مفخخة فيه؟ أكثر من ثلاثين قتيلاً واثنين و أربعين جريحاً ، ناهيك عن المكتبات التاريخية التي اشتهر بها الشارع بعد أن التهمت النيران ؟ "(٢٣٤) ولعل هذا المشهد يعيدنا لمشهد سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ وما فعلوه في دار الحكمة وغيرها من معالم بغداد الثقافية عند دخول المغول لها (٢٣٥).

وقد طال الخراب جميع المحافظات فتحوّلت من رمز للحياة والاستقرار إلى رمز للحرب والدمار فيصِف بطل رواية صورة يوسف " بغداد الحرائق والبصرة الرماد ، رأى مقابر تمتد وتمتد "(٢٣٦). فلفظ (الحرائق ورماد) مشيرة إلى (بغداد والبصرة) هي علامات على إضرار الحرب التي تنشب نيرانها في كل أنحاء العراق.

وأصبح الموت في كل مكان "رأى أطفالاً تجمد البكاء على وجوههم ، يُدفنون بدون ألعابهم ؛ رأى حقول الغام وحيوانات مقبورة وخيولاً تعدو مذعورة ؛ رأى نساءً تحاول أن تهرب لكن يخنقها مغتصبوها ؛ رأى أمه تصيح وتولول ، تلوح بمنديل أبيض ؛ رأى مدناً تندثر وممالك تتهاك على سكانها "(٢٣٧).

يصف حال العراق بعد ٢٠٠٣ وهو يعيش حالة من عدم الاستقرار و الصراع ومحاولة كل فريق النجاة بنفسه عن طريق إبادة الطرف الثاني المخالف له "كل واحد منهم يعتقد أنه سيجد خلاصه بقتل الآخر مئات القتلى وكأن المأزق لا يجد حلاً إلا بهذا الشكل المقابر تكبر والدم يسيل حتى في الإنهار يمتزج مع ماء الشرب تمر سنوات وسنوات والحال لا تتغير إلا نحو الأسوء "(٢٣٨).

و يصور البشاعة بشكل اكبر ففقدت المدينة معالمها أصبح الناس لا يعرفون المدينة التي سكنوها منذ سنين ، "سار ببساطة عبر الشارع حتى مدخل صالة السينما الذي يعرفه منذ زمن طويل ، من غير المهم إن كانت السينما ما تزال هناك أم تحوّلت إلى خرائب

(٢٣٤) بغداد مالبورو : ٢٦٦ .

(٢٣٥) ينظر : تاريخ المغول وسقوط بغداد ، رجب محمد إبراهيم بخيت ، مكتبة الإيمان ، ط١ ، ٢٠١٠م : ٥٦ .

(٢٣٦) بغداد مالبورو : ٦٥ .

(٢٣٧) صورة يوسف : ٢٢١ .

(٢٣٨) المصدر نفسه : ٣٠٢ .

كراهية ، من غير المهم أن يكون الشارع كما كان في عصر ما قبل الحرب ، أو تحول إلى مجرد شرخ محفور في جسد المدينة " (٢٣٩) يبدو أن نسق التخريب يتحول إلى بؤرة أساسية في تتبع الروائي نجم والي لمشاهد الخراب الذي طال المجتمع العراقي ولم يسلم منه شيء سوى كان رمزاً اقتصادياً أو بشرياً بل أصبحت منظومة الخراب والتدمير سياسة ممنهجة للنظام البائد للعراق وأصبح كل شيء فيه معادياً له .

ثالثاً - إباحة المحظورات :

يقصد بإباحة المحظورات بأنه كل شيء مخالف للقانون وجد له تأييدٌ بحيث تحول في ظل الحرب إلى أمر طبيعي مباح ، ومن الأمور التي تندرج ضمن إباحة المحظورات التجارة بالأعضاء إذ إن اقتطاع أي عضو دون إذن المتبرع هو جريمة ضد الإنسانية ؛ ولعل من أبشع الجرائم حين يرى الإنسان أخاه الإنسان الذي يناظره في الخلق ومصدر رزق له ؛ لينتزع بعضاً من أحشائه ويبيعها ، فهي جريمة صارخة ضد الإنسانية ؛ وبسبب زيادة الطلب على الأعضاء البشرية وقلة عدد المتبرعين أصبحت تجارة الأعضاء البشرية تجارة رائدة للجريمة المنظمة ؛ وذلك لأن لها مردوداً مالياً طائلاً^(٢٤٠). وقد تتخذ سرقة الأعضاء أشكالاً عدة منها ادعاء علاج الأشخاص الضعفاء والفقراء ومساعدتهم في إيجاد متبرعين ومن ذلك ما ورد في رواية (تل اللحم) ، إذ تم إيهام (ربيع) من قبل عصابة سرقة الأعضاء بإجراء عملية زراعة كلى ، في حين كانت تحاك مؤامرة لسرقة أعضائه ، بل أن (محمد طالب حمودي) أحد الشخصيات التابعة إلى عصابة تجارة الأعضاء لم يكتفِ بخداع الضحية (ربيع) إنما قام بقتل أخته (ملك) لتكون ضحية أخرى لجرائم سرقة الأعضاء " إفطيمٌ بيّ ديّ هي التي عرفت عن طريق معارفها بأن ملك هربت إلى تل اللحم وان محمد طالب حمودي لم يتركها لحقها إلى هناك بعد الأحداث التي جرت وأنا سمعت بالأمس فقط

(٢٣٩) المصدر نفسه: ٢٠٤.

(٢٤٠) ينظر : المسؤولية الجزائية عن الاتجار بالأعضاء البشرية ، فاطمة صالح الشمالي ، رسالة ماجستير - قسم القانون ، ٢٠١٣ م : ٥٦.

من عسلة اليهودية عن موت ملك مقتولة بعد تشويه جسمها وسرقة بعض أعضائها الداخلية
" (٢٤١) .

ويتضح من خلال تقنية التسريع السردية من خلال التمهيد إلى أحداث جديدة تتوضح
معالم هذا التسريع وهو الإخبار عن علاقته بقوات التحالف من خلال متاجرته بالأعضاء
البشرية وقبلها ذهابه إلى (تل اللحم) لغرض اللحاق بأخت ربيع (ملك) وقتلها وبيع
أعضائها البشرية و يتبين فيما بعد أن (محمد طالب) يتاجر بالأعضاء البشرية لصالح قوات
التحالف وليتم تهريبها إلى الدول الأخرى .^(٢٤٢) حتى أنه كان يستدرج النساء من اجل بيع
أعضائهن" هو دراسة شي واحد بس " (٢٤٣) .

"كان عن طريق علاقته مع الجيش يحصل على عيون المحكومين بالإعدام أو أعضائهم
وبيعها للمحتاجين من المسؤولين أو يصدرها عن طريق الحكومة للخارج" (٢٤٤) . فالأجنبي
وجد العراق لقمة سائغة ليس لما لديه من موارد ولموقعه الجغرافي وإلى غير ذلك ؛ بل إنه
استفاد حتى من البشر فالعراقي أما ضحية لقوات التحالف أو لأبناء المسؤولين ولا بد من
التضحية بحياته في سبيل حياة آخرين يجدون أنفسهم أكثر قيمة وأهمية لمواصلة الحياة .

ومن المفارقة المأساوية انه بعد أحداث الحرب العراقية الأمريكية سنة ٢٠٠٣ م ، اتخذ
هذا الجرم منحى العلنية فقد أصبح هناك مزاد خاص ببيع المختطفين تقوم العصابات ببيع
الضحايا فيه كأنهم دابة أو سلعة للحصول على أكثر ربح ممكن "لا يخافون وشاية احد بهم
أو تجرؤه على بيع المختطف إلى عصابة أخرى من حي آخر أو في حي آخر كما شاع في
السنوات تلك . وليس لأنهم يعرفون أن محمد باريس لا ينتمي إلى طبقة التي مارست مهنة
العلاس الشخص الذي يوشي بالمرشح للاختطاف" (٢٤٥) .

وقد لا يكون قتل الضحية بأيدي المجرم مباشرة ، فالوجه الآخر لإباحة المحظورات
والقتل هو الاتجار بالمخدرات التي تعد من أكثر الآفات أضراراً بالمجتمع لأنها قاتلة

(٢٤١) تل اللحم : ٢٥١ .

(٢٤٢) ينظر : تل اللحم : ٢٥٤ .

(٢٤٣) المصدر نفسه: ٢٥٤ .

(٢٤٤) المصدر نفسه : ٢٥٥ .

(٢٤٥) بغداد مالبورو : ٦٥ .

لمتعاطيها ، فضلاً عما للإدمان من أضرار اجتماعية فهي تؤدي للانحراف السلوكي والجنوح والميل نحو القتل والسرقة والاعتصاب وتكوين العصابات و تتعدى هذه الجريمة البالغين كما في روايات نجم والي إذ يكون ضحيتها الفُصّر والأطفال ، فتحدث الراوي عن قلق سلمان وهو احد شخصيات رواية (بغداد مالبورو) من خطر هذه الجريمة على الأطفال ؛ وهو كلما يرى الأطفال المدمنين يخاف على ابنه الذي كان بعيداً عنه ؛ لأنه قد هجر عائلته بسبب تعرضه لصدمة سببتها الحرب وما شاهده في جبهة القتال ، يسأل الراوي كيف استطاع البقاء بعيداً عن ابنه وهو يرى الأطفال قد تحولوا بسبب الحروب إلى مجرمين " أتذكر أيضا أنه حدثني عن ابنه آدم، قال لي ،كلما رأى الأطفال يتجولون هنا نهاراً في الحي بثيابهم القذرة كلما تذكر آدم ، هل رأيت المادة التي يشمها الأطفال وهم يتجولون ؟ إنها مادة كيميائية اسمها الثنر ،هل رأيت كيف تتلف المادة المخدرة هذه خلايا الجسد وأنسجة الجسم ؟ يا إلهي كم أشعر بالخوف على آدم "(٢٤٦). إلا أن هاجس الخوف كان يراود سلمان فهو لم ينسَ ابنه بالعكس فيسأل الراوي " كيف يتحمل رؤية الأطفال المشردين الذين يمكن أن يجردوا الزائر من كل شيء بقوة السلاح ؟"(٢٤٧). حتى إن (سلمان) يطلق على هؤلاء الأطفال تسمية " أبناء الحروب"(٢٤٨). فهو يدرك أنهم من تبعات الحروب وضحاياها فكونهم أبناء الحروب يلزم أن يشبهوها في بشاعتها وفي انعدام الرحمة وفي تجردهم من الإنسانية لما تركته فيهم من آثار وسلوكيات غير إنسانية نتيجة بشاعة ما خلفته الحرب من دمار وقتل على مختلف الأصعدة المادية والاقتصادية والثقافية وفقدان الحياة بكل صورها.

ومن الأمور المحظورة هي استغلال الحيوان ، ففي الدول المتقدمة هناك منظمات لحقوق الحيوان (٢٤٩). أما في العراق وفي زمن الحرب فلم يسلم الحيوان بعيش حياته ومن ذلك الحمير فقد استعملت لغرض استكشاف حقول الألغام ليكون الطريق سالكاً للجيش أما الجانب الإيراني فكان يستعمل الأطفال جاعلين السير على الألغام طريقاً للفوز بالجنة كما ادعى نجم والي في روايته (بغداد مابورو) " أرسل الإيرانيون مجاميع كبيرة من الأطفال

(٢٤٦) بغداد مالبورو : ٩٣ .

(٢٤٧) المصدر نفسه : ٩٠ .

(٢٤٨) المصدر نفسه : ٩٠ .

(٢٤٩) ينظر: حقوق الحيوان (مقدمة قصيرة جداً) ، ديفيد ديجرايستا ، تر . محمد سعد طنطاوي ، مؤسسة الهداوي للتعليم

والثقافة ، ط١ ، ٢٠١٤م : ١٥ - ٢٢ .

الصبيان الصغار يحمل كل منهم مفتاح الجنة للسير عليها" (٢٥٠). يبدو أن الروائي وعلى الرغم من اختلافه السياسي مع النظام البائد إلا أنه وقع تحت تأثير الدعاية الإعلامية التي كان النظام البائد يصرف عليها أموالاً طائلة لغرض فرض رأي عام تجاه النظام الحاكم في إيران وكانت إحدى وسائله الدعائية تجاه القوات الإيرانية أنها توزع مفتاح للجنة لإغراء الجنود ومنهم الأطفال للقتال في الحرب و إدامة زخمها وهي دعاية تكشف فيما بعد أنهم كانوا يوزعون إليهم كتاب مفاتيح الجنان وهو كتاب يضم مجموعة من الأدعية الصادرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام .

إن استغلال الأطفال والحيوانات قد يتخذ شكلاً آخر بعيداً عن المؤلف ففي رواية تل اللحم نجد الراوي (نجم) يصف الصفقات التجارية التي كانت تجريها الدولة لشراء السلاح الكيماوي ؛ وهي من الأمور المحظورة دولياً وذلك في مشهد يوثق حوار جرى بين السلطة العراقية ورئيس الوفد الألماني " قللو لخطرنا نقبل نشترى الغاز الكيماوي القديم ، كان التفاوض يجري بصدد شراء مخزونات الغازات السامة المتبقية عند ألمانيا من الحرب العالمية الأولى" (٢٥١).

ولم يقتصر الأمر على شراء الأسلحة المحرمة دولياً بل تعداه في جعل السجناء والحيوانات مجالاً لاختبار هذه الأسلحة ؛ وذلك يعد شكلاً آخر من أشكال الانتهاكات "إنما المرأة التي تعرف أن الديكة للذبح فقط ، و واحدة في مثل سنّها من أين لها أن تعرف أن الديكة يمكن أن تُستخدم لأغراض أخرى ؟ للرهان مثلاً ؟ للطيران مثلاً - كل شيء ممكن في هذه البلاد - ؟ للتجارب الكيماوية التي كانوا يجرونها وبحماس في أيام الحرب ، حتى إنهم لم يتركوا لا أرنب ولا دجاجة ولا فأرة ولا قطة على قيد الحياة ، وإذا تعذر أو تعقد عليهم الأمر استخدموا السجناء - لم تبح لي وجيهة ذلك إنما أنا الذي عرف ذلك" (٢٥٢)

إذ كان الإنسان المدني قد عانى من مخلفات الحرب وآثارها السلبية فإن الأكثر تماساً مع الحرب كانوا أكثر تعرضاً للمعاناة ؛ فإن أي اشتباك قد يتحول إلى جريمة للتكبير وإباحة

(٢٥٠) بغداد مالبورو : ٩٨ .

(٢٥١) تل اللحم : ١٩٨ .

(٢٥٢) تل اللحم : ١٩٩ .

تصرفات عدوانية لا تمت للإنسانية بشيء ومن ذلك وصف الراوي لحادثة إسقاط طائرة كانت تتجول في الجو العراقي "أصاب الطائرة وانفجرت في الجو ثم ليسقط حطامها في السهوب القريبة . المهاجم ورفاقه صَوَّروا الحادث كاملاً بالكاميرا حتى عندما ركضوا إلى مكان سقوط الطائرة وبصقوا وركلوا الجثث المتفحمة التي انتشرت على الأرض قبل أن يقتلوا طيارها البلغاري الذي كان ما يزال على قيد الحياة وقد عثروا عليه راقداً في دغل كثيف ، سألوه إذا كان يحمل سلاحاً وعندما أجاب بالنفي طلبوا منه أن ينهض ، قال لهم إنه لا يستطيع لأن ساقه مكسورة (هيلب مي بليز) رفعوه بقوة وسحلوه ثم أطلقوا عليه النار، ١٨ طلقة ثقبت كل جسمه"^(٢٥٣). كان بالإمكان قتل هذا الطيار المعادي من غير عمليات التصوير والتعذيب فما الذي يعلل أن يصيبوه بثمان عشرة طلقة مع أنه اعزل إلا أن الروح العدوانية سيطرت عليهم مما جعلهم يتلذذون بالقتل والإجرام .

المبحث الثاني : الانتهاكات الأخلاقية :

(٢٥٣) بغداد مالبيورو : ٢٢٢ .

أفعال تنتهك معايير السلوك السوي ممكن أن تحدث في الحياة نتيجة للحروب وتؤدي إلى فقدان الثقة بين الناس لأن الأخلاق هي التي تؤدي إلى ارتقاء الشعوب وأي اختلال في عالم القيم والمثل يؤدي إلى انهيار ودمار شامل (٢٥٤).

أولا - انحراف المعايير الدينية :

ظاهرة تحدث عندما يتصرف الأفراد أو الجماعات بطريقة تتعارض مع الممارسات والمعتقدات الدينية المقبولة ، ومن هذه السلوكيات عدم إتباع القواعد الدينية المتعلقة بالعبادة أو الممارسات الدينية بل التعبير عن معتقدات دينية مخالفة للمعتقدات السائدة والمشاركة بأنشطة محظورة من قبل الدين (٢٥٥).

إن الحروب المتوالية خلفت إنسانا مهزوزاً اهتزت عنده القيم الدينية والمعتقدات، فالشخصيات بدأت بالتشكيك في أمور عدة تعد مسلمات في المنظومات الدينية ومنها وجود الخالق ؛ لأن الإنسان في الحروب المتوالية قد يتعرض لهزة عنيفة تفقده إيمانه بما حوله وهذا ما نلمسه جليا في رواية (الحرب في حب الطرب) ففي حديث يدور في عقل (عدنان) الباطن تذكر فيه أحداث موت جاره (كاظم بنيه) يتخيله قد تحول إلى ملك الموت ، وكل ما حوله قد تحول إلى جحيم بسبب بشاعة الحرب فتنتاثر الجثث هنا وهناك (٢٥٦)، ويهزأ (عدنان) باعتقاد الأديان السماوية بوجود الجنة ومن ثم يسمع صوتاً داخلياً يستنكر وجود الله تعالى في أسئلة ميتافيزيقية وجودية " (أين الله؟) هل تسأل الجثث السؤال ذاته ؟ ويسخر من هذا السؤال في داخله ليقول: (حتى لو كان الله موجوداً فلن احترامه) " (٢٥٧). فالتطاول على الذات الإلهية سببه اعتراضه على إرادة الله و أنه يجعل الله مسؤولاً عن الظلم والدمار الذي خلفته الحرب ، وهذا الأمر ينسحب على شخصيات أخرى في الرواية ومنهم والد علي

(٢٥٤) ينظر: الآثار الاجتماعية والاقتصادية والبيئية الناتجة عن الحروب على العراق للفترة (١٩٨٠م - ٢٠١٥ م) :

٣٧٧-٣٨٤.

(٢٥٥) ينظر : المعجم الفلسفي ، مراد وهبة ، دار قباء الحديثة ، ط١ ، القاهرة - مصر ، ٢٠٠٧م : ٨٣ ، وينظر : ظاهرة الإلحاد (أسبابها آثارها سبل الوقاية منها) ، محمد عبد المنعم عبد السلام ، مج / ١ ، العدد ٣٥ / ٣ ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية : ٣٥٦

(٢٥٦) ينظر : الحرب في حب الطرب : ٤٤

(٢٥٧) المصدر نفسه : ٤٩ .

فيقول الراوي "لو قال تلك الجملة قبل الحرب لضحك الجميع منه" (٢٥٨) . فما ضحك الجميع واستهزأوهم إلا علامة على توسع أفق الأفكار الإلحادية في المجتمع، فموقف والده وهو موقف مؤيد بل إنه حين سمع ذلك قال " - انظر سأفعل ما يرضيك. ثم نهض من مكانه وسار باتجاه أمه التي كانت تصلي في تلك اللحظة . كانت قد وقفت باتجاه القبلة ، فعندما كانت تردد دعاءً معيناً وكفّاهاً مضمومتان إلى الأمام . تحرك أبوه ببطء تناول في يديه زوجاً من النعل . لم يتصور أنّ أباه من الجرأة بحيث يضعهما في كفيّ أمه المفتوحتين للدعاء وليقول لها :

- هذا رزق من ربك .

فصرخت على الفور منذهلة :

- الله اكبر ، الله اكبر " (٢٥٩) .

فأم علي هي الوحيدة التي صوّرها بهيأة الشخصية الملتزمة دينياً ، إذ لم تؤثر الحرب على إيمانها سلباً في المشهد السابق ؛ لأنها ملتزمة بتأدية الصلاة إلا أن الراوي يعودُ فينفي هذا التصور حين جعل ابنها علي تراوده الشكوك حول حقيقة إيمان أمه فيقول الراوي "حينها فكر علي بجديّة في قول أمه . وتساءل فيما إذا كانت الرغبة في الصلاة قد انتهت عند أمه ، فراحت تبحث عن عذر لكي تقنع نفسها أنها ليست مذنبه وأنها ما تزال تؤمن بالله . هل غزاها الشك أيضاً ؟ لقد كفّت فعلاً عن الصلاة" (٢٦٠) . كما أنها تقول موجهة الكلام لزوجها " في هذا البيت لا يمكن لأحد أن يصلي . من يتحمل الذنب غيرك يا أبو علي" (٢٦١) . فالاستفهام في قولها (فمن يتحمل الذنب غيرك يا أبو علي) استفهام خرج لغرض النفي فالمتدين الحقيقي لا يتأثر برأي الآخر إذا تمكن فيه الدين وسيطر على جوارحه فهي بقرارة نفسها مشاركة لهم في أفكارهم الإلحادية ومقتنعة أيضاً أنه لا جدوى من صلاتها إلا أنها تخشى أن تفصح مثلما أفصح غيرها وتريد أن تعلق إعراضها عن الصلاة بأسباب وهمية

(٢٥٨) الحرب في حي الطرب : ٤٩ .

(٢٥٩) المصدر نفسه : ٤٩ .

(٢٦٠) المصدر نفسه : ٥٠ .

(٢٦١) المصدر نفسه : ٥٠ .

وغير منطقية . فالروائي يريد أن يشير إلى الإيمان لدى فئات من المجتمع ليس عن دراية وإقناع ، وإنما هو ممارسة سلوكية اعتاد عليها بالتوارث أو بفعل تأثره بالمجتمع ، وهو بذلك يحاول أن يبيث أفكاره الإلحادية الماركسية القائمة على عدم الإيمان بوجود الخالق وإنما الحياة هي صنع الطبيعة ، وإن الدين هو ممارسة سلوكية اعتاد عليها الناس لطردهم الخوف داخل أنفسهم .

وفي الرواية ذاتها يعرض لشخصية (جلال) الذي ينظر للدين من منظور مشابه لمنظور (علي) فهو يعترض على القدر الإلهي والموت وبالتحديد موت سلام بشكل مأساوي ، فيقول موجهاً الخطاب للخالق " - هكذا هو الموت . يأتي دون أن يوقفه احد . وبعد ذلك صرخ جلال وقد اتجه وجهه إلى السماء وقال :

" - حتى لو كنت موجوداً فأنا لا احترمك " (٢٦٢)

فهو يريد من الله إيقاف الحرب و إذا لم يجد ما يتوقعه يحتج بعدم وجود الله .

و للأفكار الإلحادية صداها في رواية (مكان اسمه كميث) ففي حوار بين (صالح) ، - بطل الرواية - و(كاظم) - أحد الجنود الناقمين على أوضاع الحرب - و كان قد التقاه صدفة في أحد الحانات ، وقد يبدأ كاظم حديثه بقوله : " - راح تكون هذه الحرب أكثر من الجحيم " (٢٦٣) . فرد عليه صالح " لا تقلق ، من مستحيل أن تندلع الحرب " (٢٦٤) . فأجابه كاظم " حتى الله ما راح يمنع هذه الحرب " (٢٦٥) .

فكاظم كما يصفه الراوي أكثر يقيناً برأيه فهو مؤمن بالواقع المأساوي للحرب ، ومتيقن منه ؛ لأنه جندي قد خبر الحرب إلى درجة الاستبصار ، بينما (صالح) كان شاعر ويرى الأمور برومانسية لم تستطع الحروب ، والنكبات أن تعزز جانب التشاؤم لديه، فبقوله (حتى الله ما راح يمنع هذه الحرب) يرى أن السلطة السياسية هي أقوى السلطات ؛ فهي تمتلك القدرة على إضرار الحروب ، ومن المفارقة ان الأشخاص المؤيدين بالقوة السياسية في الروايات

(٢٦٢) الحرب في حي الطرب : ١٤٧ .

(٢٦٣) مكان اسمه كميث : ١٥٤ .

(٢٦٤) المصدر نفسه : ١٥٤ .

(٢٦٥) المصدر نفسه : ١٥٤ .

يجدون أن سلطتهم أوسع من سلطة الله ومن ذلك (عصام ماهود) الشخصية المتغترسة في رواية (مكان اسمه كميت)، فهو يجد سلطته أقوى من القانون ومن الله وهذه الفكرة قد رسخها جده في نفسه^(٢٦٦) اذ كان يردد " بيت ماهود هم كميت ، وأنت الوريث "^(٢٦٧) ، مما جعل ماهود يردد العبارة المستوحاة من كلام جده " أنا كميت ، أنا القانون "^(٢٦٨) كان يرد الذين يبدون اعتراضاً على بعض القرارات ، " (حتى الله) لا يستطيع التنافس معه على السلطة"^(٢٦٩) فهو يعيش في حالة من النرجسية^(٢٧٠). من حب الذات والتعظيم لها ويصر على تنزيه نفسه وتصديق وهمه مدفوعاً برغبته في فرض سلطته والاستئثار بها بغترسة لا يردعها شيء ويعيدنا بالذاكرة إلى شخصية (فرعون) الذي وجه نفسه إنه أعلى وأهم من الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢٧١). فالغترسة وتضخم الـ (أنا) لدى ماهود ناتجة بسبب العادات والتقاليد الاجتماعية والأعراف والهيمنة الإقطاعية المتوارثة هي التي جعلته فوق القانون والجميع ؛ وبسبب تضخم النرجسية لديه أصبح لا يرى أحداً ينازعه في كميت بل أصبحت كميت هي عصام ماهود والعكس كذلك .

التطرف هو وجّه من وجوه انحراف المعايير الدينية ؛ لأنه يسدل ستار التعصب على جوهر الدين السمح ، ليظهره بهيأة مخالفة لكيونته الربانية ، وأول أشكال هذا التطرف الفصل المبالغ فيه بين الجنسين فنظرتهم إن كل اختلاط حتى وأن كان في إطار طلب العلم أو أداء طقوس دينية قد يكون وراءه غاية جنسية ، وهذا ما نجده في رواية (إثم سارة) التي تدور أحداثها في دولة السعودية وتعرض لحرب الخليج وما صاحب هذه الأحداث من أفكار متطرفة ، فشاعت أفكاره المتطرفة وتجسد في آراء (الشيخ يوسف الأحمد) على سبيل المثال فيقول : " يجب فصل قبور النساء عن الرجال "^(٢٧٢) ، فهو بهذه الأفكار التي بتطرفها يمكن

^(٢٦٦) ينظر : مكان اسمه كميت : ١٥٩ .

^(٢٦٧) المصدر نفسه : ١٥٩ .

^(٢٦٨) المصدر نفسه : ١٥٩ .

^(٢٦٩) المصدر نفسه : ١٥٩ .

^(٢٧٠) ينظر : النرجسية دراسة نفسية ، د. بيلا غرانبر ، تر. وجيهة أسعد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق - سوريا ،

٢٠٠٠م : ٥١ .

^(٢٧١) سورة القصص ، الآية : ٣٨ .

^(٢٧٢) إثم سارة : ٨٥ .

أن توصف بأنها مظلمة ويقول في موضع آخر: " (يجب هدم المساجد التي تحوي على أماكن للاختلاط) ، كان صديقه غازي الجاسي ينصت له طوال الوقت أثناء جلوسهم إلى مائدة العشاء ، لم يشأ مقاطعته ، لكنه عندما وصل إلى موضوع الجوامع المختلطة ، لم يستطع السكوت ، فسأله عن أية مساجد يتحدث؟ فحسب علمه لا تملك المملكة هذا النوع من المساجد ؟ أمر جعل الداعية يكاد يغصّ بلقمته ... أليس هذا الجهل عينه، ألا يعرف مسلم مثلك ، أن الحرم المكي في مكة يطوف ويصلي فيه النساء والرجال سوية ؟ كان غازي الجاسي سمع الكثير عن غلو صديقه لكن أن يصل فيه التطرف إلى هذا المدى ، ذلك ما لم يتوقعه " (٢٧٣) . أما رأيه في طلب العلم فيرى أن " الشباب والبنات لا يذهبون إلى البحرين من أجل الدراسة وطلب العلم بل من أجل الرذيلة ، هناك يختلطون مع بعضهم ، أعوذ بالله من شر الاختلاط " (٢٧٤) . فشخص كهذا يحمل فكراً متطرفاً يرفض الاختلاط في أداء الطقوس الدينية ويدعو إلى فصل قبور الجنسين في المقابر كيف ستكون نظرتة إلى طلب العلم فلا بد أن تزحف أفكاره على كل نواحي الحياة الأخرى أي اختلاط مهما كانت دواعيه .

ومن التصرفات الإرهابية التي قامت بها الهيئات المتطرفة مضايقة الفتيات والشبان بالاعتداء عليهم بالضرب أو تمزيق الثياب والاعتقال ، فيقول على لسان السارد: " كل يوم يسمع المرء عن تعرضهم لمجموعة من الشباب و الشابات ، اعتقالهم أو ضربهم ، و إخضاعهم للأميرين معاً ، من غير المهم أن يقصوا شعر الشبان أو يمزقوا ثياب بعض الفتيات اللواتي رفضن الانصياع لأوامرهم " (٢٧٥) ، فمن المفارقة أن تمزيق ثياب الفتيات تصرف مقبول من هيئة تدعو إلى حجاب المرأة وتمنع الاختلاط .

فالرواية السابقة تركز على التصرفات العدائية التي قامت بها هذه الهيئة الإرهابية والتي تعدت نشاطها في السعودية إلى نشاطات خارج القطر بدعوى (الجهاد) فجعلت الدين أداة للإرهاب والدمار بل اعتقادهم ان هذه التصرفات هي إنقاذ للبشرية، فقال المسؤول عن هذه

(٢٧٣) المصدر نفسه : ٨٥ .

(٢٧٤) المصدر نفسه : ٨٣ .

(٢٧٥) إثم سارة : ١٠٩ .

الهيئة: " حان الوقت لكي ينطلق بإيقاظ الناس من غفوتهم ، الجهاد في أفغانستان ينتظر كل مسلم" (٢٧٦).

ثانيا - الانحرافات السلوكية و الشذوذ:

الانحراف في المفهوم الاجتماعي هو " خروج عن التوقعات والمعايير الاجتماعية ، والفعل المنحرف ليس أكثر من أنه حالة من التصرفات السيئة التي تعيق الحياة نفسها" (٢٧٧) أما مصطلح الشذوذ فلم يورد قديما بهذه اللفظة بل ورد بعبارات كثيرة منها : اللواط ، المساحقة ، إتيان البهائم ، جماع الأموات ، لكن بعد الانفتاح الفكري في الدول الغربية بتحليل الظواهر الاجتماعية وبيان أسبابها ونتائجها ومن هذه العلوم علم النفس فلم يكن مصطلح الشذوذ مرادفاً لمصطلح الانحراف ولكن بعد الانفتاح الفكري في الدول الغربية وتطور علم النفس وتحليل الظواهر الاجتماعية وبيان أسبابها ونتائجها اخذ المصطلحان معنى مترادفاً (٢٧٨) .

وتعد الانحرافات السلوكية والشذوذ صورة من صور تحلل المجتمع وهي ظاهرة ليست بجديدة فقد شاع الشذوذ الجنسي منذ القدم عند الشعوب المتحضرة والأقوام البدائية والمتوحشة (٢٧٩) . أما من الناحية الدينية فقد تم تحريم السلوكيات المثلية وعدت فاحشة فذكر في التوراة " لا تضاجع ذكر مضاجعة المرأة إنه رجس" (٢٨٠)

ونجد ذلك في الإنجيل " لأن إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكور تاركين استعمال الأنثى الطبيعي ، أشعلوا بشهوتهم" (٢٨١)

(٢٧٦) المصدر نفسه : ٧٠ .

(٢٧٧) الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم ، محمد سلامة غباري ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية - مصر ، ط ١ ، ١٩٨٩ م : ٥

(٢٧٨) ينظر : ظاهرة الشذوذ الجنسي وجرائم القتل ، عبد الواحد إمام مرسي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٥ م : ١٧ .

(٢٧٩) ينظر : ثلاث مباحث في نظرية الجنس ، سيجموند فرويد ، تر. جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٣ : ١٥ .

(٢٨٠) توراة موسى ، اللاويين (٨ : ٢٢)

(٢٨١) الكتاب المقدس ، رسالة بولس إلى رومية ، إصحاح (١ : ١٨٨)

وكذلك القرآن الكريم الذي انزل العقاب قوم لوط : ﴿إِنكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ
 بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(٢٨٢) . والانحرافات السلوكية والشذوذ تجد حيزاً في زمن الحروب
 بسبب الفوضى ، وعدم الاستقرار التي قد تولد حالات من التسبب الأخلاقي أو انفعالات
 جنسية في البيئات التي يلتقي فيها الأشخاص من جنس واحد مثل السجون والحروب
 ومعسكرات الجيش أو في حالات التسبب الأخلاقي والانفعالات الجنسية وهي نتيجة حتمية
 لانهيئات الأوضاع الاجتماعية وترديها في زمن الحروب^(٢٨٣) .

ومن ذلك ما جاء على لسان (مرايا السيد) احد أبطال رواية نجم والي (تل اللحم) مشيرةً إلى
 ظاهرة تعدد من ظواهر تحلل المجتمع برأيها وهي زواج الشخص من زوجة أخيه بعد موته
 أو فقدانه في الحروب بل أنها ترى أن قسماً منهم قد تورط فعلاً في قتل أخيه ، ووجد في
 الحرب فرصة للظفر بزوجة أخيه باعداً عن نفسه الشبهة في أن يكون متورطاً في قتل أخيه
 وتجد مناسبة أو حدثاً يؤازر كلامها في أن العراق قد شهد أول صراع بين اخوين على
 امرأة وهما قابيل وهايبل حين انتهى الصراع بقتل احدهما^(٢٨٤) فتقول (مرايا) : " كم هو
 كبير عدد الرجال الذين تزوجوا زوجات إخوانهم بعد موتهم ، يُريدون إقناعنا بأنهم يفعلون
 ذلك للمحافظة على العرض أو الشرف ، لكنهم لا ينطقون بالحقيقة ، بالسبب الحقيقي الذي
 جعلهم يفعلون ذلك ،إنهم لا يعترفون بأشبهائهم لزوجات إخوانهم ، وهم يُبعدون في كل
 أحاديثهم الشبهات عن احتمال تورطهم في قتل إخوانهم ، فمن يضمن بالتالي ميته طبيعية

^(٢٨٢) سورة الأعراف، الآية : ٨١ .

^(٢٨٣) ينظر: سيكولوجيا العلاقات الجنسية ، ثيودور رايك ، تر. ثائر ديب ، دار المدى للثقافة والنشر ، ط ١ ، دمشق -

سوريا ، ٢٠٠٥ م : ٦٨ - ٧٠ .

^(٢٨٤) بعد أن ولدت حواء قابيل ، وهايبل وأصبحتا قادرين على العمل بدأ بالعمل في الزراعة ، فكان هايبل يعمل في رعي
 الأغنام ، وقابيل يعمل في زراعة الأرض ، وبعدها قام كلا من قابيل ، وهايبل بالزواج من أختيهما في حادثة هي الأولى
 على الأرض وذلك من أجل الحفاظ على بقاء النوع الإنساني ، وكانت كلا من الفتاتين - توأم إحداهما توأم قابيل وكانت
 أجمل من توأم هايبل ، وبعد أن تمت الخطبة وأراد آدم - عليه السلام - أن يتم الزواج الفعلي رفض قابيل وذلك لأن الفتاة
 التي سوف يتزوج منها هي أقل جمالاً من التي سوف يتزوجها هايبل ، ورجب قابيل في أن يتزوج من أخته التوأم ، وليس
 توأم قابيل ، وعندها عرض نبي الله آدم - عليه السلام - عليهما أن يقدمتا قربان إلى الله - عز وجل- ومن يتقبل منه
 القربان هو الذي يختار من يتزوج ، فقدم هايبل جمالاً من أنعامه التي يملكها ، أما قابيل فقد قمماً من زرعه الذي يعمل به ،
 وعندها نزلت نار من عند الله - عز وجل - فأكلت القربان الذي قدمه هايبل ، وتركت قربان قابيل وهذا دليل على قبول
 الله - عز وجل - قربان هايبل عندها وقال قابيل لأخيه : لأقتلنك كي لا تنكح أختي ، فقال له هايبل : إنما يتقبل الله من
 المتقين ، وبعدها قام قابيل بقتل هايبل وقد كان السبب الظاهر للقتل هو تفوق هايبل على قابيل. ينظر: قصص الأنبياء ،
 أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ، تح . مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار الأليف ، ط ١ ، القاهرة ،
 ١٩٦٨ م : ج ١ / ٥٥

للأخ ، رغم أن ما يشفع للرجال في حالة بلادنا ، أنهم ولحسن حظهم يعيشون في بلاد
تصول وتجول في حروبها شمالاً وجنوباً منذ تأسيسها على أيدي السلطات الانكليزية ، وكأن
دستورها الدائم الوحيد هو الحرب "(٢٨٥)". ومن المفارقة اللغوية قوله حسن الحظ للتعبير عن
الحرب وكأنها قد حملت طابعاً ايجابياً بالنسبة للرجال ؛ لأنها ساعدتهم للحصول على
مبتغاهم "كم سمعنا عن تلك القصص التي يحدث أن يرجع فيها أحد الإخوان من الجنود بعد
طول أسر أو غياب طويل عند خطوط الجبهة ، يقاتل ثم يعود ليجد زوجته في حضن أخيه .
إنها بالفعل مشكلة كبيرة ، ولكن في هذه البلاد الفاسدة ، والمنخورة لا يوجد علماء اجتماع
باستثناء واحد أو اثنين ، وفي الوقت نفسه ، ليس فيها للدراسات الاجتماعية قيمة ما ، ناهيك
عن الدراسات السيكولوجية أو الجنسية"(٢٨٦). فالروائي من خلال نصه يشير إلى عدم اهتمام
نظام الحكم السابق على الرغم من حروبه المتعددة لم يهتم بعلم الاجتماع الذي تقع عليهم
دراسة الظواهر الاجتماعية التي تتركها الحروب على المجتمع وما يصابون به من أمراض
اجتماعية ونفسية بل إنها السلطة وقفت موقفاً معادياً لهؤلاء العلماء مما أدى إلى خلو
المجتمع منهم إلى نقشي هذه الأمراض النفسية لديهم دون معالجة وتقليل انعكاسات الحرب
عليهم. فقد يبين الروائي أهمية علماء الاجتماع فهم ناقوس يدق لتنبيه الأمة ومجابهة الآفات
الاجتماعية و أن السلطة السياسية آنذاك كانت تحارب علماء النفس والاجتماع حتى أن
علاقته بكثير من علماء الاجتماع كانت سيئة"(٢٨٧). " ثمة حقيقة هي أن الحاكم العراقي لا
يحب علماء النفس والاجتماع إلا أولئك الذين يقولون له ما يحب أن يسمعه "(٢٨٨) .
فالحكومة تمارس نوعاً من الإرهاب السلطوي والفكري "(٢٨٩).

إن الضغوطات النفسية والتجارب السيئة التي قد يتعرض لها الإنسان أدت إلى رد فعل
سلبي لديه ، وهروبه من واقعه وميله إلى سلوكيات شاذة ومنحرفة وهذا الانحلال ألقى

(٢٨٥) تل اللحم : ٤١٥ - ٤١٦ .

(٢٨٦) المصدر نفسه : ٤١٦ .

(٢٨٧) ومن ذلك علي الوردي لأنه صاحب كتاب وعاط السلاطين الذي لم يمجد ويعظم صدام ينظر : مقابلة د.قاسم حسين
صالح في مجلة سفيل الكردية. حاوره فيصل خليل وينظر : من شبكة الانترنت ، الطاغية والمفكر : كيف وعظ الوردي
"صدام حسين"؟ ، شبكة الهدف للتحليل السياسي والإعلامي .

(٢٨٨) مقابلة د.قاسم حسين صالح في مجلة سفيل الكردية. حاوره فيصل خليل

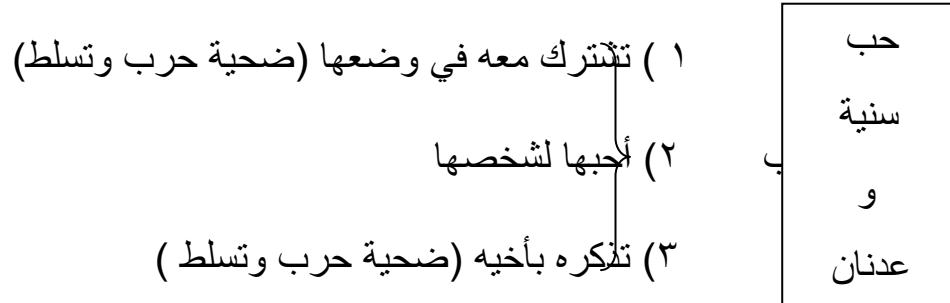
(٢٨٩) ينظر : الإرهاب الفكري هو الإرغام على تبني أطروحات ثقافية مخالفة . ينظر : معجم المصطلحات الأدبية
المعاصرة ، سعيد علوش ، منشورات المكتبة الجامعية ، ط ١ ، الدار البيضاء ، د.ت : ١٦٧

بظلاله على الأسرة لتكون المرأة أداة انتقام ففي رواية (الحرب في حي الطرب) يسرد الراوي قصة (قاسم جبر) الشخصية المتمزجة إذ وجد في الانتماء الحزبي أداة للتدرج الوظيفي من كاتب بسيط في الطابو إلى متنفذ ذي شخصية مستبدة يفرض آراءه على أولاده مما جعل مشاعر الكره تتنامى عند هؤلاء الأولاد وهم (سليم وعدنان ونديم) وكانت زوجة قاسم جبر الشابة الصغيرة تكفُّ مشاعر الكره له لأنها قد تزوجته قسراً مجبرة من أهلها وكان قاسم جبر يعتقد بوجود علاقة بينها وبين ابنه (عدنان)؛ لأنه كان يعاملها بلطف ويمازحها فيما كانت تبوح له بأسرارها ؛ ولكن خفي على قاسم جبر أنها كانت على علاقة بنديم الابن الأصغر لقاسم وكان عدنان على علم بهذه العلاقة ؛ وربما كانت مشاعر الكره التي يكنها لوالده هي ما جعلته يعلل هذه العلاقة اللاأخلاقية الشاذة بقوله : " لم يصدق أو بالأحرى لم يتحمل الأمر في البداية ، ولكنه فسر ذلك في ذهنه ، مستسلماً للفكرة ، إنها ما تزال في الثلاثين وأبوه في الخمسين .وكذلك فكر بشكل منطقي ،فمن الأفضل لأبيه ولعائلتهم أن تمارس سنّية الجنس مع نديم لا مع شخص آخر"^(٢٩٠). ووجد شبيهاً بين حياتهم ورواية (الأخوة كارمازوف)* التي قرأها وسخر حينها من ايفان لشعوره بالذنب بعد مقتله أخيه^(٢٩١). فهناك عدة تشابهات بين قصة (الإخوة كارمازوف) وقصة (أولاد قاسم جبر) فكما كان هناك صراع بين الأب والأبناء حول سنّية فهناك أيضاً صراع بين ديمتري و والده حول (جروشينكا) ، أن شكوك (قاسم جبر) التي عاودته كانت بمحلها فقد ارتدت سنّية الأسود على نديم ولم تخلعه إلا حين أقنعها عدنان بذلك ، فيصور الراوي عدنان وهو لا يعلم بالسبب الذي جعله يحب سنّية وتعلقه بها " لقد أحبّ سنّية مثلما أحبّ نديماً ... وفي المرات الأخرى يفكر أنه يحبها لأنها تشترك معه في وضعها ؛ فهما ضحيتا قاسم جبر. هل تراه أحبها لأنها سنّية ، لشخصها ، ولو ليوم واحد ؟ صحيح أنه واطب على النوم معها بلذّة كبيرة ، إلا أنه كان يضع وجهه بين يديه ويبيكي أحياناً. كان يبكي لأنه أحبّ نديماً كما أحبّ نفسه . يبكي سليماً الذي افتقده منذ سنين والذي ربما كان الوحيد المهياً لقتل قاسم جبر . كان يبكي

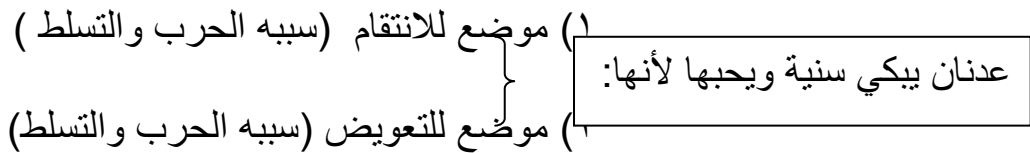
^(٢٩٠) الحرب في حي الطرب : ٧٧ .
* رواية للكاتب الروسي دوستويفسكي
^(٢٩١) ينظر : المصدر نفسه : ٧٧

سنية أيضاً التي لا يريد أن يصنع منها موضوعاً للانتقام من أبيه أو موضوعاً للتعويض عن حبه لنديم" (٢٩٢).

فإذا أردنا أن نبين العلاقة بين سنية وعدنان فأنها ستكون بالشكل الآتي :



إلا أنه يجد بعد ذلك عن تعليل علاقته بسنية قائمة على الحب الخالص فهو حين كان يبكي علل ذلك بالشكل الآتي :



فقد وجد (عدنان) تدنيس فراش أبيه قد تكون أداة للانتقام منه إلا أن الوقوع في علاقة محرمة مثل هذا النوع تندرج ضمن زنا المحارم ، فإذا كان ما دفع (عدنان) الانتقام من أبيه فما الدافع لسنية أن تقع في مثل هكذا علاقة محرمة أما الجهل الديني أو السعي إلى إشباع الغرائز الجنسية .

ومن المعروف عقائدياً تحريم وتجريم اللواط " نسبة إلى قوم لوط ، وهو من أفعال الشذوذ الجنسي ؛ لأنه ضد الفطرة السليمة لذلك نهى الله عنه في قرآنه نهياً صريحاً ولعن قوم لوط ؛ لأنهم يأتون الفاحشة ما سبقهم قوم قبل العالمين وتوعدهم الله بالعذاب " (٢٩٣).

وهي إشارة إلى غياب التربية السليمة على صحيح الدين حين تنتشر الشذوذ والرذائل والآثام

(٢٩٢) المصدر نفسه : ٨٣

(٢٩٣) التابوهات المحرمة (المسكوت عنه) كما تعكسها الرواية المصرية - شهاب الدين نموذجاً - ، د. اميمة منير جادو ، دنيا الوطن ، تاريخ النشر ٣/١٦ / ٢٠٢٠ م : ٢٨.

وتنتشر أفعال الفحش وتندنى الأخلاق والبشر بطبيعتهم يميلون لما توجههم أهواؤهم في غيبة التربية الصحيحة (٢٩٤).

والمثلية خروج عن نمط الفطرة البشرية السائد ، والمألوف ، وهناك حضارات اتخذت المثلية سلوكاً مجتمعياً قد يكون مقبولاً ومشروعاً أنه مشروع يدعو إلى تخريب الفطرة البشرية السليمة وجر المجتمع إلى الحضيض وبالتالي الانحلال (٢٩٥).

وقد أمعن نجم والي في نقل صورة انهيار المعايير الخلقية وطرح مسائل يرفضها المجتمع لتنافيها مع الطبيعة الإنسانية ، منها مسألة الشذوذ ففي رواية الحرب في حي الطرب نشأت علاقة شاذة بين سلام وجمال وهما جنديان قد لمحهما علي وحين أدرك بوجود هذه العلاقة الشاذة لم يستطع أن يستوعبها فهو يرفضها رفضاً تاماً " غادر مكانه بسرعة لأنه لم يرد أن يرياه . وإذ تحرك خطوات أسند يديه إلى نخلة قريبة . شعر أنه يدوخ ، وأن الأرض تدور به ، كل شيء يدور ، جنث ، مياه ، نخيل ، طائرات قنابل ... يتقل عليه هذا الدوران ، يضغط على معدته . ودون رغبة منه راح يتقيأ ، حتى أنه شعر بمعدته تنخلع من مكانها . استمر لوقت غير قصير ، ولو ترك لوحده لأخذ يتقيأ ويتقيأ " (٢٩٦) فالمشهد يربط بين أجواء الحرب وهذا الفعل الشاذ لتكون نتيجته القيء الذي لم يستطع مقاومته :

" - حاول أن تأكل شيئاً . معدتك خاوية .

كان علي قد ارتاح بعض الشيء ، كأن معدته لم تتقيأ إلا عذاباً سرياً قديماً فأجاب : - إن الأمر أبعد من الأكل . أنا كمن أفرغ برميلاً من البارود في جوفه . كنت أتقيا الموت . هل تفهمون " (٢٩٧) ، فالروائي يعمل جاهداً في التركيز على ما خلفته الحروب من أوضاع اجتماعية شاذة لم يألّفها المجتمع العراقي ، وهذه الحالة تمثل خروجاً عن الفطرة الإنسانية السليمة ، و أن آثار الحرب انعكست على الواقع وأنتجت وضعاً شاذاً في أماكن القتال كما

(٢٩٤) ينظر : المصدر نفسه : ٢٨ .

(٢٩٥) ينظر : المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية ، أحمد طه ، طبعة الكترونية ، مدونة أمّتي ، ٢٠٢١ م : ٤٣ - ٤٥ ، وينظر : الاغتراب النفسي وعلاقته بالاتزان النفسي لدى ممارسي المثلية بمدينة الخرطوم بحرى ، محمد أحمد علي ، قسم علم النفس ، كلية الآداب - العلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز وسهير محمد احمد محمود ، جامعة السودان ، مجلة البحوث كلية الآداب : ٤

(٢٩٦) الحرب في حي الطرب : ٥١-٥٢ .

(٢٩٧) المصدر نفسه : ٥٢ .

حصل للجنديين وتناثر الجثث القتلى جعلت هذه الأوضاع المأساوية والشعور بالخوف والموت عاملاً آخرًا لنشوء هذه العلاقات غير الطبيعية بين الجنود .

الانحرافات الجنسية عادةً ما تجد ما يغذيها من أحداث غير سوية في الطفولة، كالإهمال من قبل الآباء لأبنائهم والتعنيف وغيرها من الاعتداءات^(٢٩٨)، ففي رواية (إثم سارة) تنشأ علاقة غير سوية وميول جنسية من قبل (ناصر) لصديق طفولته (طارق) فكان ناصر يعاني من اضطراب بعلاقته مع والده ، لأن والده يعذبه وعندما كبر أصبح هذا الهاجس يلاحقه حتى بعد زواجه من (سارة) فعلاقته بها قد تحولت إلى علاقة شاذة بعد أن اعترف لها بميوله لـ (طارق) صديق الطفولة مما جعلها تتشبه بالرجال فارتدت ملابس الرجال، وقصت شعرها حتى يستطيع أن يتقبلها كزوجة وهذا الأمر جعلها تفكر في علاقتها بصديقتها وفيما إذا كانت قد أحبت (الهنوف) أيضاً ، وهي الأخرى قد عاشت طفولة غير سوية فقد عانت مثل (ناصر) من تعنيف خالها واتهمها بأنها ممسوسة بالجن ، مما جعلها ترتبط روحياً بالهنوف وتجد فيها مهرباً من واقعها إلا أنها لم تستطع أن تفسر هذه العلاقة إلا بعد اعتراف ناصر بميوله الجنسية لصديق طفولته " ليال عديدة ظلت سهرانة تفكر بصديقتها لا تنام ، ولا تدري إذا كانت هي الأخرى أحبت الهنوف بالطريقة التي أحب ناصر فيها طارقاً ، أم إن ميلها كان نوعاً من التضامن بين فتاتين شعرتا بنفسيهما متميزتين عن بقية البنات ؟ " (٢٩٩)

كذلك أشار إلى انتهاكات الطفولة فيجعل من الحرب أو لحظة الحرب وإحراق (كميت) في رواية (مكان اسمه كميت) لحظة انتهاك الطفولة ؛ فيشير إلى علاقات شاذة تجمع رجل بالغ مع طفل فصور مشغل الماكنة في السينما غازي الأعور وهو يعتدي على طفل وحين داهمته الحرب وتماهى إلى سمعه اضطراب الأجواء الذي عم السينما تتم قائلًا " ... هسة

^(٢٩٨) شفاء الحب (كشف الحقائق الجنسية المثلية: الأسباب ، العلاج ، الوقاية) ، أوسم وصفي ، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة - مصر ، ط ١ ، ٢٠٠٧م : ٤٩ - ٥٠ .
^(٢٩٩) إثم سارة : ١٩٣ .

وكتها "(٣٠٠). مستخدماً ألفاظ شتم الذات الإلهية ، فمع ما يعيشه الأطفال من أحداث مؤلمة تؤدي إلى نتائج جسيمة ، فهؤلاء الأطفال يمرون بظروف اقتصادية سيئة مع غياب الأمن يجعلهم عرضة للاستغلال من قبل الذئاب البشرية (٣٠١)، فالرواية تصور فساد المعايير وضياعها عبر هذه العلاقات الشاذة وانعدام الإنسانية من خلال استغلال القاصر وإقامة علاقة شاذة معه .

ثالثاً - الدعارة :

تعد الدعارة مظهراً من مظاهر الشذوذ الجنسي التي تجد رواجاً لها في المجتمعات غير المستقرة التي تعاني من حروب واضطرابات تؤدي إلى ازدهار الدعارة وتفشيها ، والفساد هو عامل محرك وراء الدعارة في العديد من المجتمعات ، وبما أن الفساد بضاعة رائجة في زمن الحرب فقد يكون المسؤول الفاسد هو من يساعد العاهرات ومنظمات تجارة في الجنس و الهروب من القوانين بل أن البعض ينخرط في تجارة الجنس بنفسه لما توفره من أرباح ضخمة .

أما البغايا فغالبا ما يتعرضن للاستغلال من قبل تجار البشر فهن الفئات المهمشة في المجتمع ، مثل النساء الفقيرات أو المهاجرات فتلجأ لبيع الجسد والبغاء فهو " حدوث عملية جنسية بين رجل وامرأة ، لتلبية حاجة الرجل الجنسية ، وتلبية حاجة المرأة الاقتصادية (٣٠٢) "

ومن الجدير بالذكر أن الكاتب يعرض مسألة الدعارة بوصفها لم تقتصر على بيئة معينة ، بل يمكن أن نجدها عند الموظفين و مترجمين في الوزارة ، فضلا عن أنهم كانوا يتفاخرون بذلك . " طبعاً سمعت عن عمل الكثير من المترجمين والمترجمات - الموظفين في العلاقات الخارجية في وزارة الإعلام - بالدعارة بشكل ما ، إلا أنهم حتى و إن عملوا في هذا المجال ، فقد كانوا يتفاخرون ، بأن تلك المرأة الشقراء أو غيرها التي أعجبت هذا الوزير أو ذاك ، هي ذات شأن في بلدها ، حتى إنني تساءلت ذات يوم بمزاح مع أحد المترجمين

(٣٠٠) مكان اسمه كميت : ١٨١ .

(٣٠١) ينظر: واقع الحرب وانعكاساتها على الطفل (حالة خاصة : الطفل اللبناني) : ٤٥ - ٥٠ .

(٣٠٢) الأنثى هي الأصل ، نوال السعداوي ، مؤسسة الهنداوي سي أي سي، ط ١ ، ٢٠١٧ م : ١٨٨ .

من أصدقائنا ، فيما إذا كانت (بنازير علي بوتو) قد نامت مع الحاكم أو أحد مساعديه في زيارتها الأخيرة للبلاد"^(٣٠٣). فالروائي يريد أن يؤكد على قضية معينة هو أن السلطة الحاكمة والأفراد المرتبطين بها من مختلف الأجهزة الأمنية ورجالها وبمختلف وظائفهم أنهم يدعمون إلى مهنة الدعارة ؛ بل أصبح همهم الشاغل هو ممارسة الجنس ولا سيما الدعارة حتى أصبح لدى الشعب قناعة تامة بأنهم لا يعرفون سوى ممارسة الجنس والاعتداء على المرأة حتى لو كانت تحمل صفة سياسية ومركزا مهما في الداخل أو الخارج دون احترام للأعراف السياسية والدولية ؛ بل حتى الأعراف العربية وتقاليدنا باحترام الضيف .

ومن الجدير بالذكر أن الروائي يعتمد إلى الربط بين الحدث السياسي وبين الأحداث الشخصية التي تمر في حياة الشخصيات ومن ذلك الحوار الذي جرى بين إفطيم بي دي ومعالي :

" ضحكت قائلة : إفطيم بي دي "

- كان الناس مشغولين بالنكبة ، وما يدرون بنكبتني ! سألتها معالي ببراءة :

- النكبة ؟ ماذا تقصدين ؟

فأجابت (إفطيم بي دي) دون أن تتوقف عن ضحكها :

- أكو غيرها ، نكبة فلسطين ، لكن ماكو واحد يعرف أن نكبتني كانت اكبر
" (٣٠٤)

فالنكبة السياسية هي الحرب المعروفة اما نكبة إفطيم فهي بداية عملها بالدعارة التي تروي أحداثها فيما بعد لمعالي "كوكة كانت وحدة من النسوان القاسيات، عرفت بي حامل شافت جمالي شرطت علي أن تنزل الطفل مقابل الشغل عندها"^(٣٠٥). وهذه الطريقة التي استخدمتها معها (كوكة) هي نفسها الطريقة التي استعملتها هي مع معالي عندما ساعدتها على أن تجهض جنينها مقابل أن تتزوج (أسيد) وتعمل معها في الدعارة .

(٣٠٣) تل اللحم : ٢٥ - ٢٦ .

(٣٠٤) تل اللحم : ٤٣ .

(٣٠٥) المصدر نفسه : ٤٣ .

هذا المشهد يركز على الحرب والألم الذي طال حياة المرأة العراقية في ظل الحرب ،
فالمشهد يتحدث عن فاجعتين الأولى فجيعة الحرب والتاريخ ، والثانية فجيعة المرأة لأن
فلسطين خسرها الوطن العربي دون رجعة كذلك (إفْطَيْمُ بَيِّ دَيِّ) خسرت شرفها من يوم
نكبتها فكثيرا " ما يحدث التشابه بين الإنسان والمكان "(٣٠٦) ؛ لأنهما يمسيان ضحية واحدة
يتعرضان إلى المعاناة نفسها والعنف نفسه في كل عصر .

(٣٠٦) الإنسان والمدينة في العالم المعاصر ، مجموعة من المفكرين الفرنسيين ، تر . كمال خوري ، منشورات وزارة
الثقافة ، دمشق ١٩٧٧م : ٥ .

الفصل الثالث

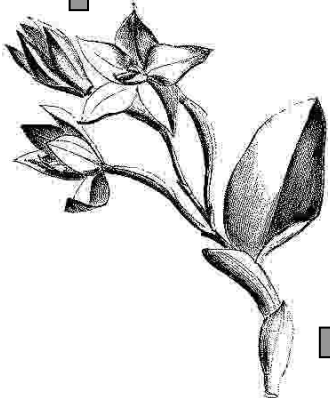
التمثيل الفني للغة الحرب في

روايات نجم والبي

المبحث الأول : لغة السرد

المبحث الثاني : المفارقة

المبحث الثالث : التناسل



الفصل الثالث : التمثيل الفني للحرب

مدخل :

لا ريب أن التقنيات الفنية هي جوهر العمل الروائي التي يلجأ إليها الكاتب ليؤسس عالمه المتخيل ويوضح هوية العمل الروائي .

وقد توقف البحث على دراسة هذه التقنيات الفنية في الأعمال الروائية للأديب نجم والي بوصفها مشروعاً فكرياً يوجز التحولات السياسية والاجتماعية، وحاول البحث الكشف عن القدرات السردية للأديب ، وهل وفق في توظيفه للعناصر و التقنيات الفنية، والوقوف على مكان اللغة عروجاً باللغة التقريرية ، واللغة الشعرية مروراً بالمفارقة باعتبار أن لها دوراً أساسياً في بناء الرواية فههدف البحث إلى كشف أشكال المفارقة وتجلياتها المرتبطة بالحرب في روايات الأديب ومحاولة الإجابة على أسئلة مرتبطة بذلك ومنها :هل شكلت المفارقة بنية أساسية في روايات الروائي ؟ وهل ساعدت على زيادة الترابط النصي وتماسكه وإبراز القيمة الجمالية للنص ؟ ومن ثم حاول البحث تسليط الضوء على التناص؛ لقدرته على إبراز مهارات الروائي والكشف على مدى حضور النصوص الأخرى أو غيابها في النص السردى و الدور الذي يلعبه في تشكل المعنى داخل الرواية ومدى إفادة الكاتب منها .

المبحث الأول : لغة السرد

اللغة وهي عبارة عن وسيلة تواصل بين المجتمعات فهي كما يعرفها دو سوسير اللغة على أنها عبارة عن منظومات مكوّنة من علامات وأنّ العلامات اللغوية تتألف من عنصرين الصورة الصوتية أو بديلها المكتوب ويطلق عليه دو سوسير مصطلح الدال ثم المفهوم ويطلق عليه المدلول^(٣٠٧) ، وهي الأداة الأساسية في التشكيل الفني للرواية والوجه المعبر عن أدبيتها وهويتها التي لا تتجسد إلا بوساطة اللغة ؛ فالرواية تنتمي إلى لغتها التي تكتب بها . إن البناء الروائي له صياغة مميزة تكون مختلفة عن كل الأجناس الأدبية الأخرى ، ف " الخطاب الروائي لا يمكن أن يتحدد بالحكاية فحسب ، بل بما يتضمن من (لغة) توحى بأكثر من الحكاية ، وأبعد من زمانها ومكانها ومن أحداثها وشخصياتها والرواية ليست لها لبنات أخرى تقيم منها عالمها غير الكلمات ، ونحن لا يمكن أن نقول شيئاً مفيداً حول رواية ما ، ما لم نهتم بالطريقة التي صنعت بها "^(٣٠٨).

و إنّ كل لغة تروض في نظام يجسّد مدى عبقريتها ، ومدى قدرتها على الأداء ، فاللغة الروائية هي أساس الجمال في العمل الأدبي ولا بد أن يستعمل الروائي مستويات لغوية تناسب أوضاع الشخصيات الثقافية والأدبية والفكرية ، وتوظيف اللغة بما يليق بها شريطة أن لا تفقد اللغة الروائية وظيفتها الجمالية^(٣٠٩)، ولتتبع استعمال نجم والي للغة قسمنا الدراسة على ما يأتي :

أولاً : اللغة الشعرية

اهتم الروائيون باللغة بوصفها أداة يعبرون بها عن أفكارهم ، فضلاً عن كونها وسيلة تميز الأدب عن غيره من الفنون الإبداعية ، لذا يلجأ الروائي إلى أعمال فكره في انتقاء الألفاظ اللغوية المناسبة والمعبرة عن الحدث بما يتناسب مع الفكرة والموضوع والهدف ، فجاءت اللغة الإيحائية التي تعد سمة خاصة بكل عمل أدبي ولا تخص بذلك لونا دون آخر،

^(٣٠٧) ينظر : النص و الأسلوبية بين النظرية والتطبيق ، عدنان بن ذريل ، دار اتحاد الكتاب العرب، ط١ ، دمشق - سوريا ،

٢٠٠٠م : ٣١

^(٣٠٨) أدب عبد الرحمن الشرقاوي ، د. ثريا العسيلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٥م : ٢٨٧ .

^(٣٠٩) ينظر : في نظرية الرواية : ١٤٤ ، ٩٦ .

فاللغة الشعرية يمكن تحديدها على أنها " ذلك الفرع من اللسانيات الذي يعالج الوظيفة الشعرية في علاقاتها مع الوظائف الأخرى للغة، وتهتم الشعرية بالمعنى الواسع للكلمة بالوظيفة الشعرية، لا في الشعر فحسب، إذ تهيمن هذه الوظيفة على الوظائف الأخرى للغة، وتهتم بها أيضاً خارج الشعر، حيث تُعطى الأولوية لهذه الوظيفة أو تلك على حساب الوظيفة الشعرية " (٣١٠). هذه اللغة التي تتنفس من الإيحاء والإيماء والمجاز المكثف والإيقاع الموسيقي .

" إن استخدام اللغة الشعرية في الخطاب الروائي يمثل قضية إشكالية، ذلك لأن طبيعة الخطاب الشعري متميزة من طبيعة الخطاب السردى تمايزا يجعل من الجمع بينهما أمرا محفوفاً بمخاطر الإفساد الفني" (٣١١).

وهناك خلافٌ حول المصطلح المناسب لكلمة شعرية لدى النقاد العرب لنجد منهم من يصرّ على استبدال مصطلح (الشعرية) بـ (شاعرية) ، كما يرى عبد الله الغدامي في قوله أنه "بدلاً من أن نقول (شعرية) مما قد يتوجّه بحركة زئبقية نافذة نحو (الشعر) ، ولا نستطيع كبح جماح هذه الحركة لصعوبة مطاردتها في مشارب الذهن، فبدلاً من هذه الملابس، نأخذ بكلمة (الشاعرية) ... في النثر وفي الشعر... ويشمل مصطلحي الأدبية أو الأسلوبية" (٣١٢). وعليه، تدرس الشعرية الأشكال الفنية والجمالية والأساليب الأدبية.

و تكمن الشعرية عند ياكبسون في اللغة المتوارية خلف الكلمات ، فاللغة الشعرية لغة تحتوي اللغة وما وراء اللغة من موحيات لا تظهر في الكلمات (٣١٣).

في رواية (صورة يوسف) نجد البطل ينتحل شخصيات عن طريق تزوير المستمسكات الثبوتية وكان بكل مرة يعيش حياة الشخصية المستعارة ويتقمصها إلى درجة الانصهار بها والتلاشي فيها فتولد من تجربته قصص كثيرة ما هي إلا وليدة لمخاضات الحرب التي

(٣١٠) قضايا الشعرية، رومان جاكوبسون ، تر. محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، ط١ ، المغرب ، ١٩٨٨م : ٣٥ .
(٣١١) لعبة النص (مقاربة نقدية في الشعر والسرد)، د. صالح هويدي ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ط١ ، ٢٠٠٧م : ٢٢٩ .
(٣١٢) الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشرحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر) ، عبد الله الغدامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ ، مصر ، ١٩٩٨م : ٢٢ .
(٣١٣) ينظر: قضايا الشعرية : ٣٥٠ - ٣٥٦ .

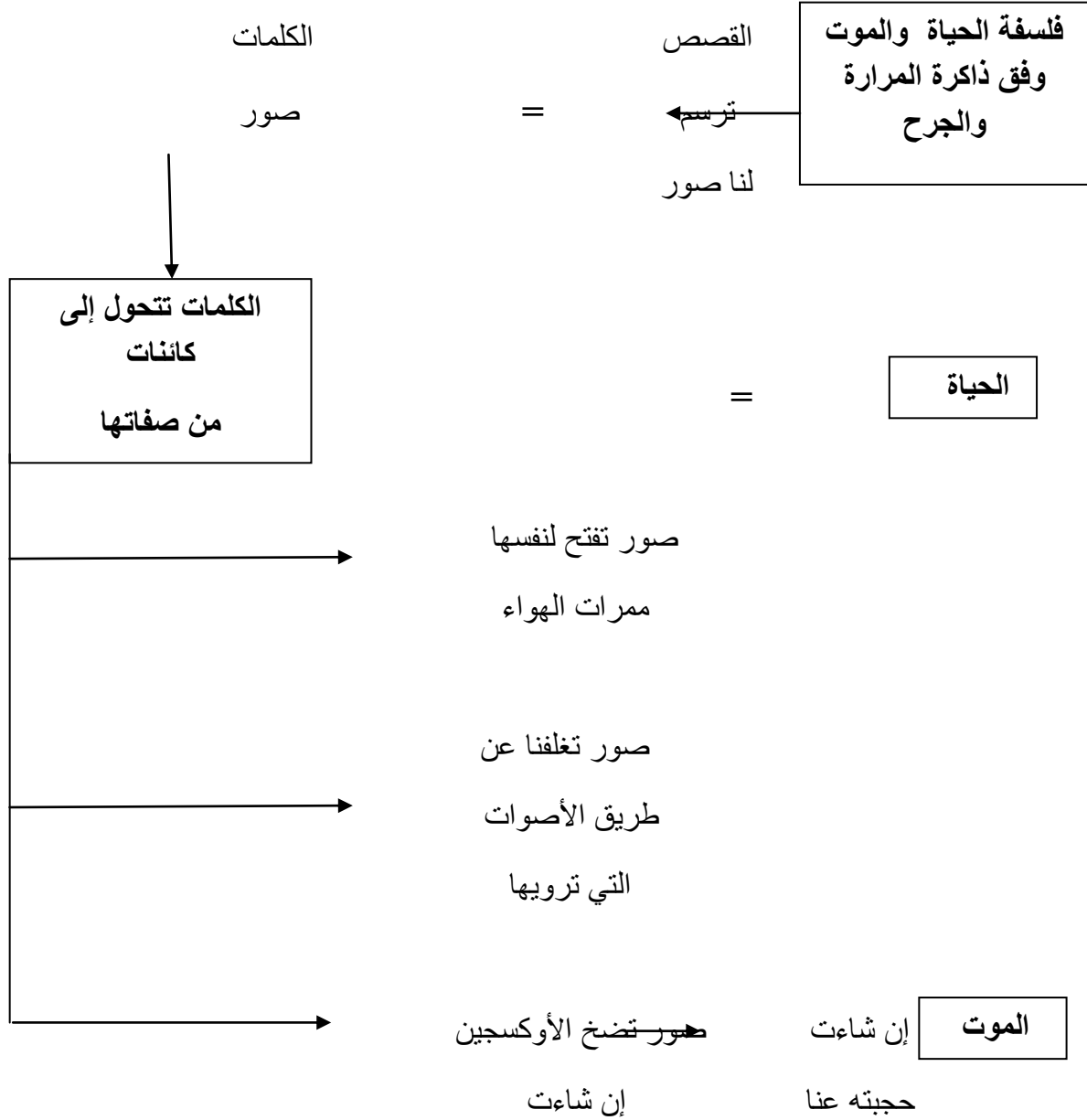
عاصرها " ويخطئ من يظن ، أن (ألف ليلة وليلة) انتهت عند الليلة الواحدة بعد الألف ، لأنه سيكتشف سريعاً أن الصور التي تنتجها القصص تتوالد . صورة تلد صورة . وقصة تلد قصة ، هوية تلد هوية ، وانتحال يلد انتحالاً، كذبة تلد كذبة ، وذاكرة تلد ذاكرة " (٣١٤).

يظهر التمازج الشعري بالنتري في الرواية فالحضور الشعري في الكتابات ضرورة حتمية وشكلا من أشكال التعبير الأدبي فقد تحكم الكاتب في لغته بحيث اظهر توازنا بين الجانب الإيحائي والجانب التقريري ، فقد استثمر الموروث الأدبي (قصص ألف ليلة وليلة) ، وهي القصص التي كانت تنسجها شهرزاد من وحي الخيال والتي تنتهي في الليلة الواحدة بعد الألف فهو يرى أن قصص الحرب تشبهها في استغراقها للوقت إلا أنها قصص سرمدية لا تنحصر بعدد معين ؛ فاللغة في النص منزاحة عن الأسلوب اللغوي المألوف فقد جعل القصص تتناسل (هوية ، انتحال ، كذبة ، ذاكرة) فتولد واحدة من رحم الأخرى وليولد وهماً جديداً يعايشه .

وفي مشهد آخر من الرواية ذاتها صور الحروب المتوالية التي تجعل جرح من يعايشها حياً غير ملتئماً فلا علاج لجراحه سوى مرهم التذكر ، فيعيش على ذكريات سعيدة تنجيه من واقع الحرب و يصف يوسف لجوءه إلى هذه الذكريات بلغة شعرية " المرارة أو الجرح ، هو ما يجعل المرء يصر على التذكر ، تذكر هذه الصورة قبل غيرها ، القصص ترسم لنا الصور ؛ الكلمات صور تتحول إلى كائنات عن طريقنا ، صور تفتح لنفسها ممرات في الهواء ، تتوزع هناك ، وتغلظنا عن طريق الأصوات التي ترويها . الكلمات صور تضخ الأوكسجين لنا إن شاءت ، و إن شاءت حجبته عنا فإنها ستفعل ذلك ، ستقتلنا ؛ ويوسف يعرف ذلك ، مثلما يعرف ، بأن كلما زادت خسارات الإنسان ، و كلما شعر بفقدان أكثر ، كلما شعر بحاجة لأوكسجين الصور " (٣١٥) فقد تمظهرت اللغة الشعرية في هذا النص السردى عبر انزياح اللغة عن طبيعتها وتشكيل عالم خيالي من الكلمات التي تنسجها ذاكرة البطل بلغة إيحائية

(٣١٤) صورة يوسف : ٤١- ٤٢ .
(٣١٥) المصدر نفسه : ٤٢ .

إن الصور التي ترسمها الذاكرة تتجسد بأمر عدة تشكيل دورة الحياة ، فالروائي
يثير ذهن المتلقي ليتتبع الذكريات وهي تتجسد بوساطة اللغة الشعرية كأنها مسار حياة حتى
تصل إلى نهايتها المحتومة والتي تتحقق بالشكل الآتي :



وتصبح الحرب ممارسة يومية تبدأ به صباحات الشعب بحيث لا يتخيل الإنسان إن
للحرب نهاية ، فيتغذون على صوت المذياع ، فيقول (نجم) الراوي في رواية (تل اللحم)
غير مصدقا بنهاية الحرب "ويُخبرني ببساطة ، بأن الحرب انتهت ، وماذا سيقول المذياع
الذي كنت أتغذى منه كل صباح ، بما يطلقه في الصباحيات ، حيث يُخاطب مثقفو بلادنا

سكان البلاد ، ويبدوون إنشاءاتهم دائماً ب (عمت صباحاً أيها الوطن) ^(٣١٦). فهو يتغذى على ما يقوله المذيع ، ويقول على لسان (نجم) متهكماً بأن الحرب امتزجت بكل شيء ؛ فاللغة مزاحة هو يريد أن يصور الصباحات بطريقة إنشائية ، فتمظهرت على لسان احد الشخصيات فالصور المتشكلة توحى بالواقع المأساوي الذي يعاينه الشعب ، وتغلل المآسي إلى أعماقه فلا مهرب منها فيقول : " عمت صباحاً أيها الأم ، الحرب هي جنة تحت قدميك ، ثم عمت صباحاً أيها الأب، الحرب تنتظر عطايا أولادك ، ثم عمت صباحاً أيها الطفل ، الحرب جزء من مصروفك اليومي ، صباح الخير أيها التلميذ ، الحرب هي مدرستك . صباح الخير، أيها البنت العذراء ، الحرب تحمي عذريتك . صباح الخير أيها العروس ، صباح الخير أيها العريس ، أصوات المدافع والدبابات هي موسيقى عرسك ، الحرب تزف لك أحلى العرسان . صباح الخير أيها المؤذن ، توضأ بدم الشهداء ، وتزود بصوت لعلعات الأسلحة لتمنح طاقة لصوتك . صباح الخير أيها البشر ، الحرب حق لا يُعلى عليه ^(٣١٧). فقد رمز ب (الأم ، الأب ، الطفل ، التلميذ ، العذراء ، العروس ، المؤذن) إلى مكونات الشعب و يصف الطريقة التي تستعمل من قبل السلطة في سيطرتها على الشعب عن طريق غسل الادمغة و بتعميق جذور الحرب وتأصيلها في النفوس .

إن ثمة مواضع في الرواية تتطلب لغة شعرية بطبيعتها كما في المواضع الأكثر حميمية لدى بعض التجليات الروحية للشخصيات أو بعض التأملات والتأزمات النفسية فنلتمس شعرية السرد في مقاطع أخرى تصف الذكريات وتأصلها في النفوس وعمق مآسي أصحابها ومن ذلك الراوي في رواية (صورة يوسف) :

"لكن جوزيف كرملي ينسى ، أن كل واحد منا يسحل معه ، ذكرياته الثقيلة ، التي لا شاهد لها غيره ، يجرها معه أينما ذهب ، بكل ما فيها من وجوه وأسماء ، وأقنعة ، تجره إليها أحياناً مثل المغناطيس ، مهما اعتقد أنه انتهى منها أو نساها ، لأنه لا يدري أحياناً أين بدأت ، لكنه يعرف عمقها في الزمن فقط ^(٣١٨) . فالنص مثال يوضح كيف تتسع مساحة الوصف

^(٣١٦) تل اللحم : ٢٦٥

^(٣١٧) المصدر نفسه : ٢٦٥ .

^(٣١٨) صورة يوسف : ١٠٩ .

في روايات نجم والي ، والوصف يعد من أحد العناصر المهمة في الرواية إلى جانب السرد والحوار ويمثل وقفة في مسار أحداث الرواية وزمنها ويفضي إلى بطء في إيقاع الروايات الزمني ففي تصويره للذكريات تجسدت بها اللغة الشعرية عن طريق الانزياح ، فحاولت اللغة الوصفية تجسيد الشعور النفسي لواقع الإنسان اثر سيطرة الذكريات وملازمتها .

ويطالعنا نص آخر يصف الذكريات يتحدث الراوي عن حال صالح التي انقضت عليه الذكريات وحاصرته بطريقة مقبلة أثارت فيه نفورا بالحاحها "إنما ذكريات يوم مليل مازالت تتردد في ذهنه ، تنقر على جدران مجمته ، مثلما تفعل تلك الذبابات ، التي ضلت طريقها ، وراحت ترتطم في زجاج النافذة ، تدق بهدوء ، يشبه صمت وقع أقدامه التي يسمع صوتها وحده" (٣١٩) .

فالمقطع حافل باستعارات وتشبيهات قادرة على كشف الصراع النفسي الذي راود صالح و الأثر النفسي الذي خلفه طنين الذكريات في مجمته ؛ فقام الكاتب بتصوير مشهد خيالي إيحائي .

ونجد نصاً آخر يصف الذاكرة وهي تعيد الشخصيات إلى مآسيهم - مأساة الحرب - والجبهة ففي مقطع يمثل أمام (سلمان) مشهد مجازر الحيوان التي يقوم بها بطل رواية (بغداد مالبورو) فيرتسم أمامه مشهداً آخر تستدعيه الذاكرة وهو مشهد مجازر الإنسان في الحرب ؛ فالمشاركة الوجدانية ارتسمت بين الإنسان والحيوان عن طريق لغة شعرية بقوله :

" أنني في لحظات الفجر تلك أتذكر كل فجر عشته في الجيش فأشعر بقلبي يثب خارج جسدي ويتحول إلى طير ؟ فهل ستذبحه يوماً ؟ دَوَّنت أنني أتخيله كله يتحول إلى طير في الساعة التي بدأ فيها إعدام الحيوانات ، أبحث عنه ولا أراه ، وعندما أخرج من المجزرة أراه جالساً عند النخلة الوحيدة في حديقة المجزرة ، اقترب منه، فيقول : ألا ترى معي كيف أن المجازر سيدة المكان ، حتى الحديقة التي كانت في منتصف الساحة الداخلية للمجزرة لم تكن في الحقيقة إلا أرضاً بوراً رغم نهر دجلة القريب . فيها نخلة وحيدة ، نعم ، نخلة وحيدة يربط إليها الحيوان الذي يستشعر الخطر مبكراً فيفر من حبال جلاديه قال لي وهو يشير

(٣١٩) مكان اسمه كميت : ٨.

إلى نفسه وهو والواقف يدخن سجارة هناك : أحب النخلة هذه التي تقف شاهداً على قجري وما ينتظرنى أو ينتظرنا من موت " (٣٢٠) . معروف أن النزعة الإنسانية الوجدانية من مميزات القصائد التي يوظفها الشاعر للكشف عن أبعاد عالمه النفسي ومن التقنيات التي وظيفها الكاتب للارتقاء بمستوى لغته التركيز على المشاعر العاطفية الوجدانية وضمير المتكلم حيث حضور الأنا فقد اختار لروايته رواة يسردون بضمير المتكلم لإضفاء نوعاً من الواقعية على نصوصه والارتقاء بها إلى مستوى لغة الشعر ففي احد مشاهد روايته ليرتقي بها إلى مستوى الشعرية النثرية .

ونستشهد على ذلك بـ (نجم) في رواية (تل اللحم) الذي كان يعمل في مجلة (حراس الوطن) وكان قد التقى هناك محرر الصفحات الثقافية، فقد جرى حوارٌ بينهما فيصف نجم هذا الحوار في مقطع لا يخلو من شعرية قائلاً : "هكذا عرفت منه ، بأن بندقية الكلاشينكوف هي أجمل البنادق ، لكن شرط أن يحملها رجل نحيف ، له قيافة رياضية . أما بندقية السيمينوف فهي جميلة ، شرط أن يحملها (مواطن عادي جداً) أما الصواريخ فهي تشبه قافية قصيدة غير مكتملة تنتظر إطلاقها ، أو في أجمل الحالات هي مثل قصيدة شعر حر ، ومثل موسيقى الجاز تنطبق متى تريد ، تصنع موسيقاها الخاصة " (٣٢١) ، إن الحديث الذي دار بينهما جعل نجم يتأمل بوصفه للأسلحة فهو يتحدث عنها بطريقة أدبية شعرية ، فالشعرية في وصف الصواريخ وتشبيهها بالقافية في القصيدة ؛ لأن كليهما ينتظر لحظة الإطلاق أو لتشبيهها بالشعر الحر ؛ لأن القافية فيه متحررة غير مقيدة بنهايات الأبيات كما الصواريخ ، كذلك وجد شبيها لها بموسقى الجاز؛ لأن موسيقى الجاز غير متوقعة ارتجالية كذلك الصواريخ في الحرب ، أما الأسلحة الثقيلة فقد عقد مشابهة بينها وبين بحور الشعر فايقاع ؛ القنابل تذكره ببحري الرمل والرجز أما مدافع الهاون فأنها تشبه ، بحر المتدارك ذا التفعيلة الواحدة (فاعلن) المتكررة الأقل حرية فهو مثل الهاون لا يقطع مسافات واسعة ، أما القنبلة فهي شبه القصيدة المدورة ؛ لذلك وجد لها صداها في زمن الحرب ففي هذا المقطع السردى جاء الوصف بصورة شعرية لأنه وصفٌ لكاتب أدبي أو

(٣٢٠) بغداد مالبورو : ٤٦ .
(٣٢١) تل اللحم : ٢١١ .

متقف أو شاعر يرى الأمور من وجهة رومانسية بعيدة عن وجهتها الحقيقية إذ وصف السلاح بصورة شعرية وصنع انسجاما بين الأسلحة والمصطلحات الأدبية ، فأخرج السلاح من إطاره التقليدي كونه أداة للدمار إلى عالم شفيف وهو العام الأدبي وهي إشارة واضحة وذات دلالة رمزية مكثفة للغة الشعرية التي وظفها الروائي في نصه ليشير إلى انقلاب المفاهيم لدى المثقفين الذين تعرضوا إلى غسل الأدمغة (البروباغندا) بتصوير أسلحة الحرب والقتل بمسميات إنسانية تلامس الوجدان والقلب بعيديو عن الموت ونشر الدمار .

ولتصوير تدني تقدير الذات لدى الجندي نجد عدنان في رواية (الحرب في حي الطرب) يخاطب جلال وسلام في مقطع من الرواية بقوله : " - هل تعلمون أننا مجرد بساطيل . نعم إننا مجرد بساطيل على الجبهة " (٣٢٢) . وهم مجرد اصفار لا قيمة لهم لا فرق بين المئة والألف منهم إشارة إلى قلة القيمة وهذا ما نلمسه في رواية (بغداد مالبورو) حين وصفهم أحد الضباط بذلك " وماذا يهم الضابط ، إذا كان الفارق بين مائة جندي و ألف هو صفر وحسب ، ولكن أليس الجنود على الجبهات هم مجرد أصفار ؟ الجندي في الحرب مثل أية قطعة غيار ؟ وماذا عن المؤونة والعتاد ؟ كم صندوق عتاد أو قنابل حسب الأصناف والأنواع ؟ كم عدد الصابون وكم عدد السندويجات ؟ الجندي في الحرب ، ممكن أن يكون قطعة غيار أو بسطال ، صابونة أو علبة أعواد ثقاب ؟ جلكان ماء ، علبة سردين ، قطعة خبز أو علبة سجائر . لو كان الأمر بغير هذا الشكل لما تكدس حشد الجنود ذاك ، جنود من الصعب معرفة عددهم " (٣٢٣) . فالضابط كان يتعامل مع الجنود كما يتعامل مع باقي متطلبات الحياة في الجبهة ويستزيد منها ما أن تنفذ فهم كـ (صابونة ، علبة أعواد ثقاب ، جلكان ماء) . فلا قيمة للإنسان في زمن الحرب بل يصبح سلعة يمكن تعويضها واستبدالها ، فالضابط يتعامل مع الجنود بمنطق التسليح أي حينما يتحول الإنسان في نظره أنه مجرد سلعة يمكن استبدالها وتعويضها بأية لحظة حين الاحتياج لها وان نفاذها لا يعني شيئاً .

(٣٢٢) الحرب في حي الطرب : ١٣٢ .

(٣٢٣) بغداد مالبورو : ١٧٠ .

إن الرواية قد تتداخل في الأجناس النثرية بل قد ترتفع الشعرية فيها أحيانا إلى ما يفوق النصوص المصنفة شعراً ؛ إلا أننا نجد عند نجم والي في منجزه الروائي قد توسط شعرية معتدلة لم تصل حد الإبهار .

ثانيا - اللغة التقريرية

تعد اللغة الوعاء الحاوي التي تحتضن الأحداث و بها يعبر الروائي عنها وتختلف من مبدع إلى آخر؛ وبواسطتها تتجلى قدرة المبدع وتمكنه من أدواته الإبداعية التي تظهر عبرها الوقائع والأحداث بما تكتنزه من إحياءات ودلالات مكثفة ورموز مختلفة ، ومن الذين وظفوا اللغة الروائي نجم والي الذي لجأ إلى اللغة الواضحة لإيصال أفكاره أو وصف واقع الحرب بعيداً عن لغة التجسيد الإيحائية ، فتحاول هذه اللغة إيصال المعنى بأوجز الطرق الممكنة دون الحاجة إلى المبالغة في الشاعرية فهي لغة " تصف الواقع الأليم والحياة اليومية للشخص ، وما يدور في أعماقها الداخلية ، أو تصف المكان وما فيه من ملامح ومعالم ، بلغة بسيطة وسهلة مباشرة ، وفي مثل هذه الحالة تؤدي اللغة دورا إخباريا ناقلا للحدث فقط " (٣٢٤) ، و الرواية مجال واسع يسمح بتنوع اللغة ولا تعرف حدوداً لطاقتها التعبيرية .

ومن اللافت أنّ لغة الرواية في مواضع عدة يمكن وصفها بالتقريرية ، لأن هذه الروايات تعتمد الواقعية و تهتم بتسجيل الأحداث وتتعد بذلك عن الإيحائية ، لتوصل المعنى بطرق موجزة دون إغراق في الشعرية ؛ فاستطاع الكاتب أن يعبر بهذه اللغة من دون أن يؤثر سلبا على لغة الروايات فاستعملها بطريقة توصيلية فيقول في رواية (بغداد مالبورو) على لسان الراوي واصفا أحداث تاريخية بحتة "كان أبوه يملك أراضٍ في ميناء الفاو بعد الاحتلال الإيراني لها عوّضت الدولة أصحاب الأملاك المتضررة في نهاية عام ١٩٨٩ بمبالغ مجزية رغم أنهم لم يتسلّموا المبلغ إلا في عام ١٩٩٠ وبفترة قصيرة قبل حرب الكويت" (٣٢٥) . فهو ينقل أحداثا تاريخية لا مجال للإحياء عنها إلا بأسلوب تقريرية ، وفي مقطع آخر يرسم صورة لأحداث الحرب العراقية الكويتية . وما لحقها من استنزاف طال

(٣٢٤) اللغة في رواية (تجليات الروح للكاتب محمد نصار ، عبد الرحيم حمدان ، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ، مج / ١٦ ، العدد/ ٢ ، غزة - فلسطين يونيو / ٢٠٠٨ م : ١١٦ .
(٣٢٥) بغداد مالبورو: ٦٨ .

حتى الحيوانات عن طريق استخدام الحمير في تفجير الألغام " هل تعلمون أنّ عدداً كبيراً من الحمير ذهب ضحية هذه الحرب . فأنتم تدرون أنّ أعداداً كبيرة منها تأتي من جهة الكويت . ذلك لأنّ الكويتيين يجمعونها نهاية كل شهر ويلقون بها عند مثلث الحدود العراقية الإيرانية الكويتية ، لقد أضرت الحرب بتجار الحمير أيضاً ، فقد اعتادوا قبل الحرب على تجميعها كل شهر وبيعها في أسواق البصرة "(٣٢٦) . ونلاحظ في هذا المقطع أن اللغة قد عبرت بوضوح متناه ولم تثقل بأي شكل من أشكال الانزياحات أو العبارات الرمزية والصور التجسيدية وقد تكرر هذا الأسلوب التقريري في الروايات الأخرى، مما ساعدت هذه اللغة على استرسال الكاتب في طرح أفكاره ورسم صورة حقيقية للحرب وعالمها " كم حقيرة ودجالة كتب التاريخ التي لم تذكر بتاتاً أولئك الذين بكوا أو انتحروا أو تمردوا . لم يسمعو سوى عن عظمة أولئك الجنود مثلما تتحدث الجرائد الآن عن معجزة الجندي العراقي الذي استطاع قتل مجموعة كبيرة من الإيرانيين عندما باغته وهو يغتسل فلوح لهم بالصابونة التي ظنّوها قنبلة يدوية"(٣٢٧) . فاللغة معيارية في النص غير محملة بالانزياحات لكنها غنية وجميلة وسلسة ، فالنص لا يخلو من عجائبية ومفارقة فكيف تمكن الجندي العراقي من قتل مجموعة كبيرة من الجنود الإيرانيين ؛ فهو يريد أن يقول بوضوح بأن تاريخ الحرب مزيف ولا يسجل إلا الأوهام او البطولات غير الحقيقة في سبيل إبقاء الحرب أطول مدة زمنية من جانب ومن جانب آخر توظف البطولات الزائفة لغسل الأدمغة وتصديق البطولات الزائفة بدلا من أصحاب البطولات الحقيقية من الجنود فهم طي النسيان

إن الواقع المأساوي في الحرب هو ما يولد نوعاً من الفانتازيا و العجائبية* وهذا ما يطالعنا في نص آخر صور حواراً بين شخصين يريد احدهما أن يبتدع طريقة لفقد الذكريات المؤلمة باختراع جهاز للنسيان فيقول " سأجعلك تنسى ، لا تقلق . إنس قصة تعذيبك ... الحل عندي . سأنقذك من الموت عن طريق هذا الجهاز الصغير ، الذي أعمل

(٣٢٦) الحرب في حي الطرب : ٦٣ .

(٣٢٧) الحرب في حي الطرب : ١٩١ .

* الفانتازيا هي تناول الواقع الحياتي من رؤية غير مألوفة ، وهي نوعاً أدبياً يعتمد على السحر وغيره من الأشياء الخارقة ، إما العجائبية فهو ما يكسر المألوف ويتجاوز الممكن ليخترق المستحيل.

عليه منذ سنوات طويلة ، وبشكل سري ، سأساعد الناس على حل المشكلة . هذا الجهاز سيقوم بمحو ذلك الجزء من الذاكرة الذي يحوي على كل الذكريات التعيسة ، يفرغ الكيس العصبي هناك ، الحرارة العصبية من محتوياتها ، ثم يرميها في الزباله ، في القمامة ، في الحياة فقاطعه الرجل الضخم الهيئة :

وماذا إذا حدث العكس ومحوت المحتويات الجيدة من الذكريات ، ذكرياتنا السعيدة ، كما فعلت القوات الغازية ، عندما استخدمت أجهزة الليزر وجعلت ليس جنودي فقط و أفراد جيشنا الباسل ، إنما عموم الشعب ، ينسون كل الذكريات السعيدة " (٣٢٨) . ومن المفارقة أن هذا الجهاز كان عبارة عن صندوق بقطعتي جلد وما هذه القطع الجلدية سوى إحياء بأنها اذني الرجل صاحب الاختراع فاللغة واضحة على الرغم من الأسلوب العجائبي فهي لا تحتاج إلى تأويل لكشف معانيها ودلالاتها ، اعتمدت على الأسلوب العادي والألفاظ العلمية ، لخلق واقعاً ممزوجاً بالخيال العلمي الذي يصب بالعجائبي ، لأن هناك صعوبة في تصوير الواقع بأساليب تقليدية بعيدة عن الغرائبي و الفانتازي في مواجهة حالة القهر الإنساني اللامعقول عن طريق توظيف الخيال واختراق سكون السطح الواقعي من جهة ومن جهة أخرى ربما أن هذين الأذنين الذي وصفها الروائي للجهاز الذي يمسح الذاكرة هي إشارة إلى ما قام النظام البائد بعد الحرب في قطع أذان كل من يهرب أو يتخلف عن أداء الخدمة العسكرية والاتحاق بالحروب المتعددة والمتكررة للنظام بعد حرب الكويت.

وقد اتخذت بعض الروايات طابع الوثائقية أو السرد التسجيلي الذي يقوم على الأخبار والتوثيق والبحث والتدقيق لإيصال المعلومة ، كما في رواية (بغداد مالبورو) ، والتي تعدُّ تسجيلاً لأحداث شخصية في إطار سياسي و اجتماعي ، أو ما يرتبط بالواقع الراهن ، فتمثل استنساخاً لمشاهد الحياة و وضعها في قالب روائي، يبتعد فيه الخطاب عن المجازية ، فتخلق وهماً عند المتلقي بأنه يستقبل الواقع معرئ من كل تخيل بواسطة هذا الانعكاس المباشر ، الذي يدفع الكاتب لرصد الواقع بكل صدق و أمانة ، ومن أمثلة الوثائقية التي انطلت عليها روايات " نجم " (نحن نحذر من السفور والتبرج ومن يخالف سوف يتعرض

(٣٢٨) صورة يوسف : ٧٥ - ٧٧ - ٧٩ .

للقصاص ، اللهم أشهد إننا بلغنا) التحذيرات تلك التي كتبتها المليشيات الدينية لم تكن مجرد كلمات بل جرائم كانت نتيجتها مقتل أكثر من ١٠٠ امرأة في المدينة أتذكر وأتذكر... أتذكر الكثير ، لكي لا أحدثك عن المخطوفين العراقيين الذين قُطعت رؤسهم أو حُرقوا وهم أحياء . أعرف أنني سأتعبك بهذه القصص . كما أتعبت نفسي بها في تلك الأيام. وحده في شهر نيسان / أبريل الذي غادرت بغداد في نهايته قُتل ٥٦٧ شخصاً وأصيب ٦٦٨ آخرين بجروح بعد أن كانت الحصيلة في الشهر من قبله في شهر مارس / آذار ٣٨٣ قتيلاً و ٤٩٤ جريحاً ، ولا أدري إذا كانت النساء المقتولات ضمن الإحصائية تلك "(٣٢٩).

ومن الجدير بالذكر أن الروائي عادةً ما يلجأ في لغة الحوار إلى حيونة الإنسان باستعمال ألفاظ تشبيه الإنسان بالحيوان وما هذا إلا تمثيل لفظي من تمثيلات الحرب لتكون بذلك عنف اللغة شريكة لعنف الموقف والشخصية ، والهدف من ذلك خلق معادل لغوي يحتمل كما شعورياً موازياً لكم العنف في الحرب وهذا كله يؤدي بالضرورة إلى اللجوء إلى لغة بعيدة عن الإيحاء والتجسيد لغة تقريرية بحتة ومن ذلك مشهد حوار بين الجندي واحد الضباط في رواية الحرب في حي الطرب

" (حمار. لماذا تنزع بيريتك)

فأجابه الجندي متسائلاً :
- وما دخلك .

فصرخ به النقيب :

- استعد يا الكلب "(٣٣٠).

فالمشهد يصور استصغار الجنود والعنف الممارس ضدهم وهذا يتكرر في روايات الكاتب ففي (رواية تُل اللحم)، تنهال معالي بأبشع ألفاظ الشتم قائلة على شخص قد تقدم لخطبتها " - اطلع من البيت ، و إلا أشبعك قنادر ، حقير "(٣٣١).

(٣٢٩) بغداد مالبورو : ٢٥٩ .
(٣٣٠) الحرب في حي الطرب : ١٠٧ .

" ومنذ ذلك الصباح عرفت هي المعروفة بأدبها ، للمرة الأولى كل النعوت السيئة التي يمكن أن تُطلقها على الرجال : (أناني ، يحب نفسه ، خائن ، كذاب ، مخادع ، أبو وجهين ، تافه ، حقير ، نذل ، سافل ، ابن الكلب ، مجرم ، مُستغل ، وسخ ، حيواني ، بلا ضمير ، لا يستحق الاحترام ، وصولي ، نسونجي ، قدر ، قبيح ، متملق ، ناقص ، ثرثار ، طماع ، جشع ، بشع ، ناكر للجميل ، فاحش ، قاسي ، سطحي ، ملخبط ، سارق ، مقلد ، ضعيف ، بخيل ، دعويّ، متظاهر ، غير أصيل ، مزيف ، غشاش ، جبان " (٣٣٢). فهذا هو رد فعل منها إزاء ابتزاز هذا الشخص لها فقد وضع لها شروطاً خاصة كي تتم الخطبة لأنه رآها رخيصة ؛ لأنها قد مارست الحب معه سابقا ، فبشاعة الموقف لا يمكن تجسيده إلا بلغة مباشرة فقد جردته من كل صفات البشر وجعلت منه إنسانا ازدواجياً غير حقيقي .

ويمكن أن نقول إن لغة نجم والي لغة وسطية تقع بين الشعرية الخالصة واللغة التقريرية المباشرة لغة خاصة به ، فهو يستعمل اللغة الفصحى التي تصلح للسرد دون المبالغة في الانزياح القادرة على التشخيص دون زكرشة ، لغة قادرة على التواصل مع القارئ سواء كان قارئاً نموذجياً أو قارئاً عادياً دون ائغالها بمجاز مكثف ، تمازج أكثر من مستوى لغوي للتواصل مع القراء على اختلاف ثقافتهم وانتماءاتهم ، فضلا عن تمكنه من التواصل مع القارئ في كل زمان ومكان ،ويمكن للقارئ العادي أن يتمتع به وللقارئ النموذجي أن يبحث في دلالاته وأبعاده .

إن الرواية وجدت لها بيئة اجتماعية وتاريخية هيأت لها أسباب التطور و الازدهار جاءت بعض المقاطع بلغة توصيلة تبليغية لأن الحدث الروائي يقتضي ذلك .

(٣٣١) تل اللحم : ٥٩ .
(٣٣٢) تل اللحم : ٦٣ .

المبحث الثاني :

المفارقة :

تعد المفارقة من الوسائل الفنية التي يلجأ إليها الروائي عبر التلاعب باللغة لغرض استثارة القارئ وتحفيزه وكسر أفق توقعه للحدث مما يحقق دهشة لدى المتلقي بتأويل الأحداث بعد الانتهاء منها .

المفارقة لغة "مصدر من (فَارَقَ) وجذرها الثلاثي (فَرَقَ) ومصدرها (فَرَقَّ) ، والفَرَقُ خِلافُ الجَمْعِ ، و فَرَقْتُ بين الشيئين أفرقتُ فرقا ، و يقال : فارَقَ الشيءَ مُفَارَقَةً ، و فَرَقًا : بآيْنُهُ . و فَارَقَ فُلَانٌ امرأته مُفَارَقَةً و فِرَاقًا : بآيْنِهَا و افترَقَ عنها " (٣٣٣).

و المفارقة هي تقنية فنية يستخدمها الكاتب في نصوصهم وتعني التباين أو التناقض بين ما هو متوقع وبين ما يحدث والقصد منها ليس الخداع ؛ بل تحقيق نتائج فنية وبلاغية تؤثر في المتلقي ويرى ميويك أن المفارقة " صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنى المضاد " (٣٣٤)

و تكمن العقبة الرئيسية في طريق تعريف بسيط للمفارقة في أن المفارقة ليست بظاهرة بسيطة (٣٣٥) . وهي " قول الشيء والإيحاء بنقيضه " (٣٣٦) و هي " لغة اتصال سرية بين الكاتب والقارئ . وهي قد تكون جملة ، وقد تشمل العمل الأدبي كله " (٣٣٧).

والمفارقة كما ترى نبيلة إبراهيم هي " لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين :صانع المفارقة و قارئها ، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه

(٣٣٣) لسان العرب ، مادة (فَرَقَ) : ج ١٠ / ٢٩٩ - ٣٠٠

(٣٣٤) موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها) ، د. سي ميويك ، تر . عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون ، ط١ ، ١٩٠٠ م : ج ٤ / ٢٥٨

(٣٣٥) ينظر : موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها) : ج ٤ / ١٩ .

(٣٣٦) المصدر نفسه : ج ٤ / ٣٤ .

(٣٣٧) المفارقة ، نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول ، عدد/٣ - ٤ ، مصر ، ١٩٨٧ : ١٣٢ .

إلى رفضه بمعناه الحرفي ، وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضد
" (٣٣٨) . وقد عدها يوسف حطيني عنصراً لازماً... وهي الأقدر على رفع إحساس المتلقي
بالحياة وتزيد من رصيد الوعي الفكري والجمالي لدى الناس (٣٣٩) .

ويمكن تلمس تمثلات عنصر مفارقة الحرب في روايات نجم والي بما يأتي :

أولاً: المفارقة الدرامية

تعد المفارقة الدرامية أحد أنواع المفارقة بوصفها من الآليات الفنية التي تكسب الحدث
اتجاهاً مغايراً لما هو مألوف لدى المتلقي وتعدده أساساً في المفارقة الدرامية، ف "يكون
المتلقي فيها على علم بالوضع الحقيقي للشخصية التي تجهل الحدث وكذلك تقوم على التضاد
بين ما تعلمه الشخصية وما يعلمه الجمهور" (٣٤٠) . وأن "تحقيق مفارقة الموقف يعتمد أساساً
على عنصر لا يرى الشفرة ولا يفهم التورية ويحس بالمفارقة ولا يدرك التناقض بين
المظهر والحقيقة . ومن ثم يصبح ضحية المفارقة ويخلق عن طريق براءته وسذاجته
مفارقة الموقف . تكون هذه الشخصية هي كبش الفداء الذي يُضحّي به الكاتب حتى لا يكون
هو نفسه ضحية المفارقة . وعلى الرغم من أن القارئ قد يكون في موقف موازٍ في قوته
لموقف الكاتب إلا أن هذه الضحية تُذكر الطرفين بأنهما في الحقيقة جزء لا يتجزأ من
المفارقات" (٣٤١) . وقد وردت هذه المفارقة في رواية (تل اللحم) إذ نجد إحدى الشخصيات
وهي (مرايا) فقد انتحلت شخصية أختها معالي وقد أقنعت (نجم) للذهاب معها في رحلة
للبحث عن (أسيد لوتي) و (وجيهة) ، وقبل بدأ الرحلة صبت قنينة عرق على حقيبة
السيارة التي تقلهم وزعمت أنها تبارك هذه الرحلة بالعرق، والمفارقة ما نجده في آخر
القصة حين يكتشف نجم أن تصرفها ما هو إلا تمويه لتخفي الرائحة التي تنبعث من جثة
أختها الميتة والتي كانت تبحث في رحلتها عن طريقة لدفنها . " تطلب مني مساعدتها لرفع
البطانية التي احتوت على كتلة ثقيلة ، شممت رائحة عرق حادة ، رائحة العرق العصري

(٣٣٨) المفارقة : ١٣٢ .

(٣٣٩) ينظر: القصة القصيرة جدا بين النظرية والتطبيق، يوسف حطيني، مطبعة اليازجي، ط ١، دمشق، ٢٠٠٤م : ٣٥ .

٣٦

(٣٤٠) تمثلات الواقع في الرواية النسوية العراقية داخل العراق وخارجه بعد عام ٢٠٠٣ م - دراسة موازنة - ، عطاء
الزامل، اطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء ، كلية التربية / قسم اللغة العربية ، ٢٠٢٠ م : ١٨٣ .

(٣٤١) المفارقة عند جيمز جويس واميل حبيبي ، مجلة عيون المقالات ، عدد/ ٢ ، ١ /ابريل ، ١٩٨٦م : ١٠٧ .

النادرة الذي لم ترشه على مؤخرة السيارة في لحظة بداية رحلتنا وسط (الغابة) ، لحظة انطلاقنا فحسب ، إنما نعتت به الكتلة الملفوفة بالبطانية ، والتي لم أعرف ما تحويه ، حتى لحظة حملنا لها قريبا من السيارة ، إلى حفرة صغيرة مفتوحة ، يشير كل شيء إلى كونها فُتحت قبل دقائق قليلة ، بينما وُضع بالقرب من كتلة التراب المجاورة لها شاهد قبراً لم أتبين ما كُتب عليه ، لكني تبينت أن أقرأ ما كُتب على شاهد القبر المجاور له : (الجنرال بلزاك) ، فعرفت بأنه المكان ذاته الذي اتفق محمود وعلي على اللقاء معي عنده ، صدفة أخرى ربما كانت ستحملني ساعات أخرى أو أياماً أخرى على التفكير بها ، لو لم أتعرف على الوجه ، أقصد وجه الجثة التي حفظتها البطانية الملقاة أمامي : إنه وجه معالي ، لا يهم حجم الرعب ، أو حجم الشك ، أو حجم الخوف الذي استحوذ عليّ " (٣٤٢).

ففي الرواية ذاتها يطلب الرجل (الأبرص) المساعدة من (إفطيم بي دي) في إجهاض ابنته التي كانت تحمل مولودا من ابن الحاكم فوافقت بشرط أن يقدم لها المساعدة وتسهل حضورها لحفل ديني كانت الحكومة قد أقامته ، ومن المفارقة ما نقرأه بعد ذلك من أن هذا الحفل الديني هو السبب في شهرة إفطيم بي دي ، ولم تركز الرواية على الربط بين الاثنين إنما جعلت مساحة فارغة للمتلقي يملأها كما يشاء ولعل الرابط أن هذه الحفلات الدينية ما هي إلا واجهة تنتستر خلفها الحكومة العراقية آنذاك، وما يتصل بالحملة الدينية كونها مظلة تخفي تحتها الفساد الأخلاقي الذي تشجعه الدولة وتدعمه .

أما في رواية (بغداد مالبورو) نرى أن (نهاد) شاب بمقتبل العمر رفض قتل الأسرى الأمريكيان على يد العقيد العراقي لامتلاك هذا الشاب المبادئ " لو كنت رأيت نهاد ، شاب مازال في بداية عمره ، تسعة عشر عاما وربما أقل من ذلك بكثير. كان أول من نهض ووقف بوجه العقيد ليقول له ، على جثتي سيدي ، الأسرى يجب أن يظلوا على قيد الحياة ، والعقيد يصرخ ، أيها الصابئي المندائي الجبان ، أيها الجبناء، هؤلاء الأمريكيان أعداؤكم ، هم الذين هجموا عليكم وقتلوكم ، وقتلوا عائلاتكم أبناءكم ، وانتم تتركونهم أحياء، انتظروا وسترون كيف سيقتلونكم حالما تسنح الفرصة لهم " (٣٤٣). والمفارقة بالموقف أن احد هؤلاء

(٣٤٢) تل اللحم : ٤٠٧ .
(٣٤٣) بغداد مالبورو : ٩٦ .

الأسرى غافل نهاد وقام بقتله على الرغم من أن نهاد أراد أن تكون الحرب نزيهة إلا أن واقع الحرب مشوها لا مجال لرومانسية نهاد فيه فأما أن تكون غالباً أو مغلوب قاتلاً أو مقتولاً وهذا ما اتضح في ردة فعل الجنود الأمريكيين حين استدرجوا نهاد وقتلوه^(٣٤٤).

وفي رواية (بغداد مالبورو) نتلمس المفارقة الدرامية حين ادعت منظمة عراقية تدعى (كتائب المجاهدين) ، أن لديها رهينة وستقوم بقتلها إذا لم يتم إطلاق السجناء العراقيين التابعين لهذه المنظمة المحتجزين لدى الأمريكيين ومن المفارقة أن احد شركات الألعاب الأجنبية صرحت أن المختطف المزعوم ما هو إلا لعبة أنتجتها هذه الشركة وما قامت به الكتائب هو تمثيلية لإعادة المحتجزين^(٣٤٥). فمن المفارقة أن المختطفين الحقيقيين لا تسلط عليهم الأضواء ومن ذلك (سمايلي مان) الذي وجد مقطوع الرأس ولم تعره القوات العراقية والأمريكية أي اهتمام " كانت الجثة مقطوعة الرأس وعندما ابلغ الفلاح عن الجثة لم يعره أحد الانتباه ، لا الشرطة المحلية ولا مدربيهم الأمريكيين ... لماذا كان عليهم أن يفعلوا ذلك ويومياً يُقتل العشرات ، أن لم يكن المئات من الناس ، لكن عندما عُثر على أوراق بعضها مكتوباً بالإنكليزية والأخرى بالعربية يلعب بها الأطفال في شوارع القرية قيل إنهم عثروا عليها عند الجثة ، ذهبت الشرطة ومعها المدربون الأمريكيين إلى مكان الجريمة وعندما رفعوا الجثة عثروا على جواز سفره الأمريكي"^(٣٤٦). فسرعة انتشار الخبر لا تتعلق بصحته و إنما تتعلق بالشخص المخطوف والضحية .

ثانياً : المفارقة الرومانسية :

تقوم المفارقة الرومانسية على البناء والهدم في النص الروائي عبر إيهام المتلقي ف "يقوم فيها الكاتب ببناء هيكل فني وهمي ثم يحطمه ليؤكد أنه خالق العمل وشخصه وأفعالهم"^(٣٤٧). وقد ورد هذا النوع من المفارقة في رواية (تل اللحم) تطالعنا إحدى الشخصيات وهي شخصية عباس حبيب معالي الذي كان مصدراً للامان لها حسب تصورهما فعندما كانت تستيقظ مفزوعة على صوت الأذان لتسأله (هل تحبني) حتى تقع

^(٣٤٤) ينظر : المصدر نفسه : ٩٩

^(٣٤٥) ينظر : المصدر نفسه : ١٥٣

^(٣٤٦) بغداد مالبورو : ٢٥٤.

^(٣٤٧) النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، ١٩٨٦ م : ٢٨.

نفسها وتسكت هاجس الخوف لديها الذي يستثيره صوت الأذان ، على الرغم من تصرفاتها البعيدة عن الدين من المفارقة أن عباس كان هو السبب في دفعها إلى دروب الرذيلة وعلاقتها بمسؤولين والتعاون مع الاستخبارات .

" عندما غادرت غرفة المسؤول الأمني ...فكرة وحيدة شغلت ذهنها في ذلك اليوم (من قادها إليه ؟ من وشى بها ؟ أو على أقل تقدير ، من أوصى المسؤول الأمني بها ؟) ... ربما فكرت ببعض الأسماء ، لكن أن يكون عباس هو الذي فعل ذلك ، فهو ما لم تفكر به أبداً عباس حبيبها ... عباس الذي حلمت بأنها ستكون عروساً له يقودها بعربانة خيول قديمة . عباس الذي كانت تستيقظ معه صباح كل يوم جمعة بجوار صحن العباس على صوت (الله اكبر) و لتجد يده تحت رأسها ... عباس هذا بالذات هو الذي سلمها إلى مسؤول الكلية (٣٤٨)"

ثانيا : مفارقة السخرية :

توصف مفارقة السخرية بأنها تجمع بين الرفض لسلوكيات الأفراد أو المجتمع عبر أسلوب يبعث على الفكاهة فالسخرية " تعبيرٌ عن عدم الرضا مصوغاً بأسلوب فكه طريف ، وكلا الأمرين : عدم الرضا ، وطرافة التعبير عنه لا حدود لتفاوتهما ولا تنوعهما ، فعدم الرضا قد ينصب على شخص في شكله أو سلوكه أو خلقه أو صلاته ، أو أي شيء قد يتعلق به ، وقد ينصب على شيء معين أيا كان هذا الشيء لأنَّ هذا الشيء مبعث ضيق أو نفور أو سخط في أي جانب من جوانبه ، وقد ينصب على عادة من العادات الشائعة في المجتمع ، أو سلوك منتشر ، سواء أكان سلوكاً قديماً أو طارئاً على المجتمع" (٣٤٩) و قد ورد هذا النوع من المفارقة في الرواية (الحرب في حي الطرب) فمن المفارقات اللفظية المضحكة مشاهد تؤكد أن الجنود لم يستقبلوا الحرب بيأس وتشاؤم دائما ؛ فأحيانا تؤخذ الحرب من جانب هزلي وكأنها أصبحت روتيناً يومياً أو أمراً واقعاً معاشاً فلا تثير فيهم الاطلاقات النارية أي ريبة ؛ فيقول نائب الضابط حميد في رواية (الحرب في حي الطرب)

(٣٤٨) تل اللحم : ٦٢- ٦٣ .

(٣٤٩) التصوير الساخر في القرآن الكريم ، عبد الحليم حنفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٢م : ٢٧

عند سماع انقطاع صوت الموجهات الليلية " لبرهة خفّ قصف المدفعية تدريجياً ، ثم سكن كماكنة تعبئة . ومن بعيد انبعثت رشقات خفيفة لبنادق من أماكن متناثرة . ليهدأ بعدها ، كل شيء ، ثم ليرتفع صوت جلال الذي أحدث نهوضه صوتاً :

- هذه الجولة الأولى . وبعد أن انتهى من جملة دفع القنينة إلى فمه نهض نائب الضابط حميد:

- أراد الفرس أن يتمنوا لنا ليلة سعيدة "(٣٥٠).

وان البعض الآخر من الجنود وجدوا في الالتحاق بالجيش العراق عن طريق التطوع خلاصاً من حياة ملؤها البؤس والعوز ، و أن التطوع من جانب آخر سيعود بمردود مالي على عكس التجنيد الإلزامي الذي يفرون منه باتجاه التطوع إلا أن المفارقة حين يقفون قبالة الموت يتلقفهم فيكونون في تماس مع الحرب وقتها يكون لا طريق للعودة فأما الحرب أو الموت بعد اتخاذ قرار التطوع وتصبح أمنيات التسريح هاجسا يعيشون عليه .. ففي حديث بين جلال احد الجنود ونائب الضابط يؤنبه عن تراجع في خوض الحرب "فرد عليه نائب الضابط :

و الآن شبعت بطنك فتريد أن تتسرح .

شعر جلال بالإهانة . أتى على بقية سجارته فتح النافذة ورماها بعيداً ثم أغلق النافذة وقال :

- هل تريد أن تجرحني بهذه الجملة . إذا كنت أنت مرتاحاً للجيش فأتمنى لك جنازة حلوة .

أدار نائب الضابط رأسه إلى جلال وقال .

- أهلاً ومرحباً بالموت . فكلنا فداء للحزب والثورة "(٣٥١).

فهذه الأمنية (جنازة حلوة) تحمل بعداً دلالياً من اجتماع نقيضين مشحونة بطاقة سخرية وامتعاظ من الحرب ومن نائب الضابط ، كما تبعث في مخيلة القارئ كل صور الموت

(٣٥٠) الحرب في حي الطرب : ٢٢

(٣٥١) الحرب في حي الطرب : ٣٢

البشعة التي صورها الروائي في روايته ، أما عن جواب نائب الضابط فهو يحمل مفارقة لغوية أخرى وذلك بترحيبه بالموت.

وهذا شبه لما ورد على لسان (الهنوف) في رواية (إثم سارة) فقد وجدت صعوبة في وصف حالها اثر خروجها من المعتقل هي وعائلتها ، " (شكرا للحرب) ، قالت لها الهنوف بنبرة لم تخلُ من الاستهزاء (كل شيء من أجل المعركة) ، أجابتها سارة بصوت لم يخلُ من السخرية هو الآخر " (٣٥٢). فالامتنان للحرب ، لأنها اعادت صديقتها فمع نشوب الحرب أُطلق سراح السجناء ومنهم عائلة صديقتها .

ثالثا : مفارقة التنافر البسيط :

في رواية بغداد مالبورو يتضح تناقض تصرفات الجنود فـ " نحن سندافع عن شرف الوطن" (٣٥٣) . هذه الجملة التي كان الجنود يهتفون بها تتناقض مع تصرفاتهم من ممارسات غير أخلاقية عند تزاحمهم على اغتصاب(احلام) فإذا كانت بنت الوطن مغتصبة فمن أين للوطن شرف فشرف الوطن مقرون بشرف حرائره .

ومن مفارقة التنافر التي جاءت في رواية (تل اللحم) نجد شخصية إفطيم بيّ ديّ على الرغم من انغماسها بالرزيلة إلا أنها كانت ترتدي قلادة (القرآن الكريم) لعل هذه المرأة سبب شعورها بالخطر الدائم تلجأ إلى القرآن الكريم ليمنحها بعض من الاطمئنان والسكينة . "كانت ظهيرة ساخنة غير عادية - رغم أن الناس في الجنوب اعتادوا على حرّ تموز ذاك - وكانت إفطيم بيّ ديّ تعرق ، مسكت في اليد اليمنى مهفة وفي اليد الأخرى فتحت زيقها

(٣٥٢) إثم سارة : ١١٢ .
(٣٥٣) بغداد مالبورو: ٦٠ .

لتحرك الهواء بين فتحة الثديين الذين سالت عليهما قطرات العرق من جهتي السلسلة القلادة الذهبية السمكية لتلتقيا عند القرآن المجيد الذي التصق عند فتحة الثوب تماماً^(٣٥٤).

و في رواية (الحرب في حي الطرب) نجد جلال رغم ممارسته اللوطية الشاذة التي يسوغها لنفسه فهذا التصرف المشين قد دفعته إليه الحرب في رأيه^(٣٥٥)، والمفارقة قائمة على التناقض حين يحاسب زوجته على أفكارها المتحررة من سماع الموسيقى الغربية ورأيها عن إمكانية أن تجمع المرأة بالرجل علاقة صداقة بريئة، فالمفارقة تظهر في تفكير جلال بأحقية الرجل بعمل كل المحرمات " اخرج جلال سجارة من جيبه ووضعها في فمه. أشعلها . نفت دخانها بقوة ونظر إلى وجوههم وكأنه يريد أن يدرس ردود أفعالهم ثم أكمل وقد تصبب بعض العرق فوق جبهته ..

- تقول إنني رجعي لأنني لا أسمع أغاني غربية ، فأنا أسمع دائماً أغاني شعبية .لا أدري من علمها ذلك ،فأنا أعرفها منذ كانت صغيرة وتأتي إلى بيت عمته التي كانت جارتنا في مدينة الحرية. لا أدري من علمها ربما أخوها ... ولكني سأقولها بصراحة لها صديق طالب وهي تريد أن تعيش معه كما تقول (حياة معاصرة) تريد أن ترقص تويست و روك أند رول"^(٣٥٦).

أما في رواية (إثم سارة) فإن التنافر يقع في شخصية (غازي الجاسي) والد سارة الذي استوقفه منظر اليهود المتدينين في البلدان الأوربية وملابسهم التي يعدها خروجاً عن المألوف وهو لا يرى في ملابس المتطرفين في بلاده ومنظرهم ما يثير الدهشة والريبة " في عينيه استغراب ورفض منظر اليهود المؤمنين هؤلاء ؟ لماذا يعتقد أن منظرهم غير طبيعي ومنظر رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبيعي ؟ ألا يلبس رجال الهيئة الدشاديش القصيرة ؟ ألم يطلقوا هم الآخرون شعورهم على شكل ضفائر"^(٣٥٧)

^(٣٥٤) تل اللحم : ٦٥ .

^(٣٥٥) الحرب في حي الطرب : ١٤١ .

^(٣٥٦) الحرب في حي الطرب : ١٤٠ .

^(٣٥٧) إثم سارة : ١٥٠ .

ومن المفارقات التي يرسمها التناقض حين يتحول الموت من صورته البشعة التي تعد مفزعا للإنسان ما أن يحس باقترابه إلى راحة منشودة لأنها ستنقلهم من واقع مقيد إلى حرية وخلص من كل قيد أعملته الحرب في البشر.. ففي وصف راوي بغداد حال سلمان يقول " كأنه وهو يواجه الموت تحرّرَ من كل عبء أو خوف ، من كل مسؤولية أو رقابة كأنه في بحثه عن موته هناك أراد تحرير نفسه من كل ذنب، وعدم إرسالها لي عن طريق البريد حرّره من عبء الرقابة العسكرية، فأني بريد هذا ، وفي الأيام تلك ، وهو يخدم في أكثر الخطوط تماساً بالحرب" (٣٥٨).

رابعا : مفارقة بناء الشخصية :

وقد عرّف هذا النوع من المفارقة على أنها " التناقض بين أفعال الشخصية وما هو مرسوم لها من الخارج في لحظة معينة" (٣٥٩) ، وتطل علينا المفارقة بتغيير سمات شخصية من شخصيات رواية (بغداد مالبورو) وهو اخو راوي بغداد الذي اتهم أخاه بخيانة شرف العائلة حين تخلص من أسلحة والده بعد وفاته برميها في النهر ، تتصاعد المشاجرة بينهما فينعت به " صديق الشيوعيين وللشروكية ، و سكران مخمور" (٣٦٠). هذه المشاجرة جعلت الخلاف بينهما يمهد لقطيعة ولم تطو المسافة بينهما حتى بمرور حوادث أليمة على العائلة تدعوهم لفض النزاع ومن ذلك وفاة والدتهما فكانت المقاطعة أزلية، إلا أن المفارقة ارتسمت حين لمح عيونه وهو ملثم في حادثة اختطاف وتسليب سمايلي مان ، فقد ترأس العصابة يقول (راوي بغداد): " لكني لم أرَ الخطر ماثلاً أمام عيني مثلما رأيته في ذلك الصباح. التهديد الذي رأيته يلمع في عيون المسلّحين الملتئميين أولئك ، خاصة في عيني رئيسهم كما يبدو، الملتئم بالغترة والذي ظل جالسا في مقدمة السيارة ، صامتاً تماماً يراقب المشهد ، لم أرَ له مثيلاً من قبل" (٣٦١)، فكيف جمعت هذه الشخصية الضدين وكيف تحولت هي أمور تدفع للدهشة وترسم المفارقة في مشهدين متناقضين .

(٣٥٨) بغداد مالبورو: ٥٧

(٣٥٩) المفارقة بنية الاختلاف الكبرى ، د. سناء هادي عباس ، مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة المستنصرية ، عدد/

٤٦ ، ٢٠٠٦ م : ٩٧ .

(٣٦٠) بغداد مالبورو: ٢٦ .

(٣٦١) المصدر نفسه : ٢٦ .

و نلمس هذا النوع من المفارقة في مشهد آخر بطلته أحلام التي تأنقت بلون احمر^(٣٦٢) ، وكأنها اختارت هذا اللون الذي يحمل دلالة التعطش للدماء وأخبرت (عماد) أنها ذاهبة إلى المحكمة وبعد الاستطراد يلعب عنصر المفارقة المرسومة بدقة دوره حين يتبين أن هذه المحكمة هي محكمتها الخاصة وإن هذا اليوم هو يوم أخذها بالثأر من حبيبها السابق الذي مضت على علاقتها به خمس عشرة سنة فتربصت به لتقتله ؛ لأنه هو الذي أسلمها للضياح وتخلي عنها فهو قادهما للجنون ولتكون مطمع لرجال وجدوا فيها فريسة سهلة وإرضاء لشهواتهم ، فوجدت قتلها لحبيبها السابق انتقاما من جميع الرجال الذين مروا في حياتها " عند المدخل الخلفي للجامع انتظرت مجيء موكب الف.ش كانت الساعة قاربت الثانية عشرة ظهراً ، ربما قبلها بثماني أو عشر دقائق عندما رأته يترجل من سيارة لم تكن من ماركة لانديروز لكنها كانت سيارة مضللة الزجاج وقبل أن تلامس قدما القاضي (الف.ش) الأرض طلبت منه أن يلتفت وينظر إليها . لم يستغرق الأمر طويلاً ، ربما ثانية أو ثانيتين أو ربما ثلاث حتى أن القاضي لم يلحق أن يطلب من البيدي كارديز أن يبعد المرأة هذه التي وقفت تنتظر موكبه بل لم يلحق لكي يستدير ويحمي نفسه في داخل السيارة ، ربما شلته الدهشة هذه المرة ليست بسبب جمال المرأة التي ابتسمت بوجهه مرة ثانية بل أكثر بسبب الطلقات المتتابعة التي خرجت من المسدس بسرعة باتجاهه ، خمس عشرة إطلاقاً بعدد سنوات الحيف والظلم والعذاب خمس عشرة إطلاقاً مع كل واحدة نادت بجملتها تلك التي لم تقلها منذ مغادرتها كركوك(لماذا تهربون من قدركم ...أنا نهايتكم جميعاً) كأنها بهذا الشكل أرادت أن تختم قصة بدأت قبل سنوات ، قصة كان لابد لها أن تنتهي بهذا الشكل مثل كل قصص الحب الأخرى"^(٣٦٣) . فالجريمة التي ارتكبتها تمت في باب الجامع الذي كان يتردد عليه أش كل يوم جمعة ،فالمفارقة الأخرى أن هذا الرجل المعروف بتصرفاته اللاأخلاقية كان يتردد مع مجموعة من السياسيين على المسجد يوم الجمعة وان هذه المرأة البلهاء استطاعت أن تصطاده هناك^(٣٦٤) .

^(٣٦٢) ينظر: المصدر نفسه : ٢٩٤

^(٣٦٣) بغداد مالبورو : ٢٩٥ .

^(٣٦٤) ينظر: المصدر نفسه : ٢٩٤ .

أما في رواية ملائكة الجنوب فتتحول شخصية ليث فهو إنسان جبان يخاف المواجهة في بداية الرواية، فيصفه نعيم " كان خجولا مغلقا يجد صعوبة في الحديث ولكي ينهي جملة واحدة كان يحتاج إلى خمس دقائق... كثيرا ما كان المعلم يصرخ فيه أن يسكت ويطلب مني أن أجيب عن الأسئلة عوضا عنه وكأنني أنا الأكبر منه وليس العكس... كان الطلاب يعيبون عليه تتأتأه ويضربونه يمسون بخنقه عند الحائط كان يأتي لي باكيا فأقول له لماذا لا تدافع عن نفسك فيجيبني لا أقدر فأقول له إذن نادِ أباك وكان يرفض ويقول كلا سيضربني "(٣٦٥). ثم يتحول إلى شخص عنيف يستلذ بإلحاق الأذى بأخيه الملاك (نور) وزوجته الملائكة التي تدين بالديانة اليهودية فوجد ليث في ذلك سببا في إلحاق الأذى بهما .

خامسا : المفارقة اللفظية :

وهي " انقلاب غير زمني في حين أن مفارقة الأحداث هي مفارقات زمنية ؛ لأنها انقلاب يحدث مع مرور الزمن "(٣٦٦). وتنشأ من كون الدال يؤدي مدلولين نقيضين الأول،مدلول حرفي ظاهر ، والثاني مدلول سياقي خفي ، وهنا تقترب المفارقة من الاستعارة والمجاز وكلاهما في حقيقته بنية ذات دلالة ثنائية ، غير أن المفارقة إلى جانب كون المعنى الثاني نقيضا للأول تشمل على علاقة توجه المخاطب نحو التفسير السليم للقول (٣٦٧). وهي "شكل من أشكال القول يساق فيه معنى ما ، في حين يقصد منه معنى آخر ، يخالف - غالباً - المعنى السطحي الظاهر"(٣٦٨) .

وقد وردت المفارقة اللفظية في رواية الحرب في حي الطرب أشار جلال إلى حي الطرب بقوله (بيت الله) نجد هذه الإشارة مفارقة لفظية بين المعنى الحقيقي للمكان - حي

(٣٦٥) ملائكة الجنوب : ٣٩ - ٤٩ .
(٣٦٦) المفارقة في الشعر العربي الحديث (أمل دنقل - سعيد يوسف - محمود درويش أنموذجا)، ناصر شبانة ، دار فارس للنشر والتوزيع ، ط ١ ، الأردن - عمان ، ٢٠٠٢م : ٦٤
(٣٦٧) ينظر: المفارقة والأدب (دراسة في النظرية والتطبيق) خالد سلمان ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٩م : ٢٦.
(٣٦٨) المفارقة القرآنية ، دراسة في بنية الدلالة ، د. محمد العبد ، دار الفكر العربي، ط ١ ، ١٩٩٤ م : ٥٤ .

الطرب - الذي يقصده واللفظة المذكورة بطريقة سخرية من المقدسات الدينية "صحيح أننا قد أضعنا الطريق في البداية إلا أنني قررت أن أقودكم إلى حي الطرب .

فتح عدنان فاه وصاح :

- أنت مجنون ، جميل بحق ، لماذا أخفيت عنا هذا الخبر الجميل ؟ فأردف علي

- لقد تكهنت بذلك . كنت على ثقة من أن جلال يخفى مفاجأة ثم عقّب :

- أتمنى ألا نموت قبل أن نصل حي الطرب !

فقال جلال بمرح:

- لنشرب باقي العرق وبعدها نتجه إلى بيت الله ^(٣٦٩).

فقد حمل هذا النص مفارقة لفظية حيث أن البيت في حي الطرب هو مرتع للشيطان حيث تمارس فيه الرذيلة فضلاً عن الغناء وممارسة الجنس بينما ينعته (جلال) على أنه بيت الله .

(٣٦٩) الحرب حي الطرب : ١٤٥

المبحث الثالث :

التناص :

التناص كما ترى جوليا كريستيفا هو فضاء متداخل نصياً. وأنه مجال لتقاطع عدة شفرات تجد نفسها في علاقة متبادلة وامتصاص لنصوص متعددة ومن ثم هدمها^(٣٧٠). فـ " كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذا يصبح نصاً في نص ، تناساً"^(٣٧١).

وعرفه أحمد الزعبي " أن يتضمن نصٌ أدبيُّ ما ، نصوصاً وأفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب ، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل نص جديد واحد متكامل "^(٣٧٢).

وبذلك أصبح التناص شيئاً حتمياً وضرورياً وليس نقطة ضعف في النص. يعد التناص إشارة إلى عمق وسعة إطلاع الكاتب ومعرفته الثقافية وقراءاته المتعددة. وبالفعل، الكاتب المتمكن هو الذي يستطيع استحضار النصوص السابقة لنصه بشكل يخدم نصه^(٣٧٣).

" يتمثل التناص في كلِّ كتابة تقع ضمن أعمال تسبقها، لذا تتطلب دراسة التناص معرفة وإحاطة جيدة بالنصوص الأدبية السابقة فيما إذا أردنا دراسة رواية ما كون الرواية من أكثر الأجناس الأدبية تنوعاً وانفتاحاً على مختلف العلامات الثقافية "^(٣٧٤). ولتتبع مواضع التناص في روايات نجم والي سيقف البحث عند أنواع التناص الواردة في رواياته :

^(٣٧٠) ينظر : علم النص ، جوليا كريستيفا ، تر. فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ط ١ ، ١٩٩١ م : ٧٨ - ٧٩ .
^(٣٧١) في أصول الخطاب النقدي الجديد ، تورودوف ترفتان وآخرون ، تر. احمد المدني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ط ١ ، ١٩٨٧ م : ١٠٢ .
^(٣٧٢) التناص (نظرياً وتطبيقاً) ، أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني ، ط ١ ، اربد - الاردن ، ١٩٩٥ م : ٩ .
^(٣٧٣) ينظر: مفهوم التناص في النقد العربي من الأصول إلى الأفق ، محمد برونه ، مجلة دفاتر اللغويات والتعليم ، العدد ٣ ، ٢٠١٠ م : ١٠٨ .
^(٣٧٤) التناص في رواية (أموات بغداد) لجمال حسين علي ، رحاب حسين عبد فرهود ، مجلة الباحث ، العدد ٣ ، مج ٤٢/٢ ، ٢٠٢٣ م : ٥٤٢ .

أولاً : التناص الديني

الدين ملازمٌ للإنسان منذ الأزل وهو جزء من تكوينه الفكري يسقط على جوانب الإنسان المختلفة والإبداعية منها ؛ فنجد الأديب يحتاج للمرجعية الدينية لإثبات فكرة معينة ونعني بالتناص الديني " هو استحضار نصوص دينية من مختلف الكتب المقدسة السماوية أو الحديث الشريف ، وكذلك توظيف الأخبار الدينية وحكايات الصوفيين في النص الروائي من أجل تعميق رؤية معاصرة "(٣٧٥) . وقد لجأ نجم والي إلى هذا التوظيف في رواية (بغداد مالبورو) وسلط الضوء على شخصية (راوي بغداد) الذي كان يعاني اضطراباً نفسياً جراء الحرب فقد سيطر عليه الخوف وعزف عن إنجاب الأطفال لأنه ؛ وجد في ولادتهم عبثية فكأنهم هدايا للموت في بلد تنهشته الحروب ففي منلوج داخلي يفصح عن خوفه " أن علي التمرن على الخوف ليس لأن لا أحد يدري إلى أين ستسير البلاد كلها بعد دخول قوات المارينز، ليس لأن أحداً ما جلس في مكان ما في زاوية من زوايا البلاد وبدأ بالتخطيط لبث الذعر ونشر الخراب، ليس لأن الثأر والقتل على الهوية سيدمغ بدمغته البلاد، ليس لأن الشر سيخرج من قمقه مثلما خرج العبد المسجون من قنينة سليمان، فرانكشتاين ولى وترك لنا مختبره بكل ما فيه من شرور ليس لأن ما حدث فاجأنا جميعاً ، بل لأننا كنا في هذه البلاد "(٣٧٦) . ففي النص استحضار لقصة النبي سليمان الذي كان يسجن المردة والشياطين في قماقم من نحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه (٣٧٧) ، واستحضار لقصة فرانكشتاين الذي يولد الشر في مختبره فيخلق مخلوقاً غريباً بتجربة علمية غير تقليدية (٣٧٨) ، و أراد بهما أن يصور الدمار والخراب الذي يسود البلد وتحول البشر إلى مخلوقات غريبة تتلذذ بالدماء والدمار .

(٣٧٥) توظيف المرجعية في الرواية العراقية ، عبد الأمير مطر فيلي ، اطروحة دكتوراه /جامعة بغداد ،كلية الآداب ، قسم اللغة العربية / سنة ٢٠٠٨ م : ٧١

(٣٧٦) بغداد مالبورو : ١٠٤ .

(٣٧٧) "عن عبد الله بن عمر بن العاص أن في البحر شياطين مسجون اوثقها سليمان يوشك ان تخرج " ،صحيح مسلم ،الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح .الإمام النوري ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩١ م : ٧

(٣٧٨) ينظر : فرانكشتاين ، ماري شيلي ، تر . فايفة جرجس حنا ، ط ١ ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٢ م

ومن تمثلات الحرب تحول المكان المسالم إلى ساحة ميدان محتملة أو وحدة تدريب وثكنة ، فإن كان الموت خلاصاً للأحياء من حياة قاسية لبيحثوا في القبر عن سكينه تخلصهم من حروب متلاحقة فإن من المفارقة أن تتحول المقبرة إلى وحدة تدريب فقد اتخذ الأمريكان مقبرة السومريين قاعدة جوية إلا أن دانيال الملقب بـ (سميلي مان) وهو احد جنود المارينز خشي من عقاب الهي وحذر رفاقه من هذا العذاب ، فاحترام الموتى أمر قد حثت عليه كل الأديان و منها الدين المسيحي الذي يعتقد فوجد في الإنجيل ما يعضد موقفه " (كل من مسّ على وجه الصحراء قتيلاً بالسيف أو ميتاً أو عظم إنسان أو قبراً يكون نجساً سبعة أيام) (العهد القديم عدد ١٩ و ٢٠ صفحة ٣٤٥) وهو لا يريد أن يكون أحد هؤلاء النجسين الذين تقع عليهم لعنة الرب لأن الأرض التي يتدربون عليها مليئة بعظام الموتى" (٣٧٩).

وقد باغته هذا العذاب فعلا بشكل شعور لا يمكنه التخلص منه كما يستلهم الروائي النص المقدس في موضع آخر يجسد إحساس سمالي مان بتأنيب الضمير بعد أن أقدم على قتل مجموعة كبيرة من الجنود العراقيين في حرب الخليج وكانت أصوات العرب تتعالى فرحين وهم يحفرون قبرا جماعيا ، وبتوجيه من القائد الأمريكي الذي كان يصرخ ادفنهم (ادفونهم) وقالها بلهجة عراقية ، وكأنه قد تخيل هذا المشهد وخطط له هذه الصرخات أصبحت أصوات تعذيب لديفد ؛ لأنها أخذت تلاحقه حتى في فراشه فمن أين له أن ينام بعد هذه الحادثة " كيف ينام وفراشه ذاته تحول إلى خندق أو قبر ، إلى هاوية بئر عميق (الرجل المتقل بدم نفس يهرب إلى الجب) قال له الإصحاح الثامن والعشرين في أمثال الإنجيل، وهو إذا هرب فإلى أي جب سيكون مثواه ؟ القلب الفرخان يفتح أسارير الوجه، وهو يعرف ذلك حتى قبل أن يقرأ الجملة تلك في الإصحاح الخامس عشر في أمثال الإنجيل، لكن من أين يأتيه الفرخ والقلب غادر مكانه في صدره هناك؟ " (٣٨٠). فقد تناص مع الإنجيل فهو يشير إلى أن الذي قتل إنسانا فأن ذلك يسبب له ثقلا فضيحا على ضميره يدفعه للانتحار مثلما فعل يهوذا و قايين حين هرب وظل تائها ، ولا يجوز تبرئته بأن يدفع

(٣٧٩) بغداد مالبورو : ١٥٧ .

(٣٨٠) بغداد مالبورو : ١٨٧ .

فدية فالدم لا فدية له (٣٨١) ، فالهاجس الديني هو ما دفعه إلى الإحساس بالذنب وعدم قدرته على تجاوز الحادثة ، على عكس شخصيات كثيرة كانت تتلذذ بالموت ومنهم الجنود العرب في المشهد السابق .

فقد وجدت العصابات التكفيرية بعد ٢٠٠٣ في العراق بيئة تمثل حاضنة ممتازة لتمارس نشاطاتها عن طريق التطرف وتطبيق نمط حياة متشدد قائم على الإجماع وفرض الانقياد لها، مشرعين ذلك برغبتهم بتنفيذ أوامر الله في الأرض متناسين أن الله هو الغفور الرحيم الذي لا يرد تائبا "أذكر الكثير ناهيك عما قرأته على الحيطان في مدينة البصرة وفي أكثر من مكان (نحذر من السفور والتبرج ومن يخالف سوف يتعرض للقصاص ، اللهم أشهد إننا بلغنا) التحذيرات تلك التي كتبتها المليشيات الدينية لم تكن مجرد كلمات بل جرائم كانت نتيجتها مقتل أكثر من ١٠٠ امرأة في المدينة" (٣٨٢). ففي النص السابق تناص مع قول الرسول ﷺ في خطبة الوداع " ألا هل بلغت اللهم فاشهد" (٣٨٣). وهذه الخطبة معروفة بأنها تبين أن قيمة الإنسان تقررها تقواه، وقربه إلى الله وهذا عكس ما نادى إليه الجماعات المتطرفة من قتل وسفك للدماء وعدم التمسك بالتقوى وهي جوهر الدين الإسلامي فقد استعمل التناص لتحقيق دلالة لما يحقق مبتغاهم من إثارة الرعب والذعر في النفوس.

وتصور رواية (إثم سارة) حركة تصفية قامت بها الهيئات الدينية في السعودية للقضاء على أتباع المذاهب الأخرى ففي قول (الشيخ يوسف الأحمد) يخاطب (غازي الجاسي) زوج أخته يصف حال المذاهب الأخرى " أنجاس ملاعين يتلونون مثل الحرباء ، حرباويون، بعضهم سجل باسم آخر ، أخفى ديانتهم ومكان عمله ، كشف تلاعباتهم يحتاج إلى وقت والجهد وفراسة العرافين ، على رجال الهيئة أن يستلّوهم مثلما يستلّون الشعرة من العجين" (٣٨٤) وهذا تناص حسان بن ثابت عندما استأذن الرسول ﷺ في هجاء مشركي قريش فسأله

(٣٨١) سفر الأمثال : ١٥٨ .
(٣٨٢) بغداد مالبيرو : ٢٥٨ - ٢٥٩ .
(٣٨٣) البيان والتبيين : ج ٢ / ٢٢ .
(٣٨٤) إثم سارة : ٨٢ .

الرسول ﷺ كيف تهجوه مع اجتماعي معهم في نسب واحد ؟ قال له " لَأَسَلَنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ" (٣٨٥).

فنلاحظ تلاعب المتطرفين بالنصوص بما يخدم مصالحهم وهذا ما نجده في الرواية ذاتها ففي موضع آخر يصور التنازع الذي يولده التطرف في داخل الأسرة، فالاستبداد في الرأي و مصادرة حرية الآخر وإجباره على إتباع نهج معين هو الأسلوب الذي اتخذه الشيخ يوسف داخل أسرته فقام بتعذيب ولده (ناصر) تحت الشمس الحارقة في مشهد بين إصرار (ناصر) على موقفه " تركه أبوه موثوق اليدين والرجلين ساعات طويلا تحت الشمس الحارقة في ساحة الدار ،سمعته يقول لأبيه وهو يبكي ، حتى إذا قام بتعذيبه بهذا الشكل فهو سيظل مصراً على ما يريد ، (لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري لما تركت هذا الأمر)قال ناصر لأبيه ، فيرد عليه أبوه والشرر يتطاير من عينيه ، (تُحرف كلام الله) (٣٨٦). فالروائي يركز على نسبة هذا الكلام لله من قبل الشيخ يوسف الأحمد بالرغم من أنه حديث نبوي، (٣٨٧) وفي هذا إشارة إلى عدم فهمه للتعاليم الدينية لأنه لا يملك ثقافة قرآنية تؤهله أن يكون داعية إسلاماً .

(٣٨٥) صحيح البخاري : ج ٤ / ١٨٥ .

(٣٨٦) إثم سارة : ٩٣ .

(٣٨٧) ينظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ، دار القلم ، ط ٨ ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٦ م : ج ١ / ٥٣٣ .

ويتضح التناص الديني في الحديث عن (العم عاصم) في رواية (صورة يوسف) الذي فقد عقله وانتهى الأمر به في مشفى المجانين يستطيع قراءة الصور التي تخزنت في ذاكرته يقول : " ليست ذكرياته مجموعة من الصور فقط ، إنما حاضره أيضاً، وهو الذي نقل لسراب الجملة التالية، التي وصلت مسامع يوسف في تلك الليلة أيضاً: (المشكلة لا تكمن بأن الناس تتذكر بسبب وجود بعض الصور، إنما أنهم يتذكرون الصور فقط). وهو يستطيع أن يقرأ كل صورة . الوجوه صور، ووجه يوسف فيه أكثر من (أحد عشر كوكباً والشمس والقمر). كما قال له في تلك الليلة مستعيراً تلك الجملة من سورة يوسف في القرآن" (٣٨٨).

فالنص فيه تناص مباشر من سورة يوسف* واستحضر العم عاصم - والد زوجة يوسف في الرواية - الآية القرآنية ليبين أن هناك قاسم آخر غير الاسم قد جمع بين يوسف في الرواية ويوسف الصديق (عليه السلام) ، وهو أن كليهما قد تعرض للغدر، فيوسف الصديق(عليه السلام) تعرض للغدر من إخوانه(٣٨٩) ، ويوسف في الرواية تعرض للغدر من أخيه يونس كما أن يوسف في الرواية متعدد الوجوه، فتتعدد وجوهه بتعدد الشخصيات التي انتحلها ، وهذا ما قصده العم عاصم بـ (أحد عشر كوكباً) .

ويلجأ إلى التناص في رواية (تل اللحم) حين يفشل (اسيد لوتي) في زراعة النخيل المهمة التي كان مكلفاً بها من الحكومة فنصحته امرأة ذكية تدعى (إفطيم بي دي) بصيد سمكة نادرة وإهدائها إلى القائد المعروف بحب السمك حتى يعفو عنه ، وفعلاً نفذ نصيحتها لتنتقذه هذه الحادثة من موت محتم ففي حوار دار بين (مرايا) و (نجم) عن ذكاء هذه المرأة :

" - هل تعرف ، أن إفطيم بي دي نوع غريب ونادر من النساء !

... في ذلك الحفل الذي أقامته البلدة لحاكم البلاد ، والذي صاد فيه أسيد لوتي سمكة (الحصانية) ، وقدمها بيده هدية للحاكم الذي وقف بملابسه و بجزمته العسكرية وحاشيته عند الشاطئ حيث ظللت الشجرة المكان والتي يقال إن ادم قطف التفاحة منها فأكلها بإغواء من حواء . . .

(٣٨٨) صورة يوسف : ٦٢ .

* ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ سورة يوسف : الآية ، ٤ .
(٣٨٩) قصص الأنبياء : ج ١ / ٣٥٠

- إِفْطِيْمٌ بَيِّ دَيِّ علمته كيف يصيد السمكة .

قالت معالي ، لتكمل :

- لولاها لضاع أسيّد وضاعت معالي ! " (٣٩٠).

وقد اختارت الحكومة تنظيم الحفل في منطقة القرنة بالقرب من شجرة ادم وقد اختار (أسيّد لوتي) إهداء هذه السمكة في ظل شجرة التفاح التي شيع أن ادم قد أكل منها وكانت سبباً في إخراجه من الجنة إذن نستشف من المشهد السابق أن:

السمكة = التفاحة

ادم العراق = ادم (ع)

أسيّد لوتي و إِفْطِيْمٌ بَيِّ دَيِّ = الشيطان و حواء

يتبين أن هناك نسقاً مضمراً يشير إلى نقمة (أسيّد لوتي) و(إِفْطِيْمٌ بَيِّ دَيِّ) على الحكم، وكان هذه السمكة هي التي ستخرج ادم العراق من الحكم كما أخرجت التفاحة ادم من الجنة ومن المفارقة حدوث محاولة انقلاب على الحكم في الوقت ذاته (٣٩١).

ونجد التناص أيضا في رواية (ملائكة الجنوب) بعد أحداث السويس وحروب العرب مع اليهود أصبحت المراكب تأتي محملة من القرى المحيطة بالعريضة لمحاربة اليهود في عماريا الذين يسكنون أمين في مدينتهم منذ سنين وتم تشجيعهم على القتال لأنهم سذج وإقناعهم بأنهم يحاربون من أجل الدين وهؤلاء اليهود هم أعداء هذا الدين " قيل لهم ، أن العدو احتل المدينة ، و أن الوقت قد حان لتنظيفها من كل رجس و عرق خبيث ، ومن الكفار الذين سرقوا حقوقكم ، وأثروا على حسابكم ، وقد حان الوقت ، لكي تستردوا حقوقكم المغتصبة ، وتقاتلوا القوم الظالمين ، (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم و أرجلهم من خِلاف أو يُنْفَوْا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (سورة المائدة ، آية ٣٣) ، وعندما

(٣٩٠) تل اللحم : ٤٤ .

(٣٩١) ينظر : المصدر نفسه : ٤٦

أصغى الرجال خاشعين إلى تلك الآيات القرآنية وغيرها من كلام (الله) ، كما قيل لهم ، سمعوا إشارة الهجوم . لم يتساءلوا عن هوية العدو الذي سيذهبون لقتاله^(٣٩٢) . فلم يفهم هؤلاء المتعصبون معنى الآية القرآنية ولم يتدبروا بها فيمكن أن تمرر الكثير من الأفكار عن طريق استغلال جهل الناس بدينهم ، فلم يحاول هؤلاء المتعصبون التبصر بمعنى الآية القرآنية إنما أثارتهم الحمية وروح الحرب ومطامعهم بالمغرم ؛ ففي الآية الكريمة حكم واحد يشمل كل من حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً على حدٍ سواء أكانوا من أهل الإسلام أو أهل الذمم أو المشركين ولم تخص بني إسرائيل فقط^(٣٩٣) .

ثانياً : التناص الأدبي

الأدب هو الذخيرة والخزينة الثقافية التي تعين الروائي بما فيه من إحياءات وتعدد دلالات تفتح المجال للمتلقي ومخيلته للإبحار في أعماق النص ؛ وقد لجأ نجم والي إلى التناص الأدبي في إغناء رواياته بالدلالات الأدبية .

إنَّ الحرب تبعث على الحزن والخيبة لعدم القدرة على إخماد ما أضرمت ، وقد يلحقها شعور الإنسان بالدونية فينتقص من ذاته لأنه مكبل غير قادر على مواجهتها ، وهذا هو شعور (علي) في رواية (الحرب في حي الطرب) فقد أَلقت الحرب بظلالها على شخصيته فتحول إلى شخص مهزوز يسيطر عليه الأسى غير قادر على اتخاذ قرار شخصي يحدد مصير حياته ، فلا جدوى من قراره إذ كان مصيره الموت المحتوم^(٣٩٤) . فحال الضياع الذي هو به يستدعي نص السياب حين عبر الحزن الذي يتصف به المطر فيعد ذلك الإحساس الذي يتصل بالغرابة ويُنمِّ الوطن كأنه أمام حرمان عام فهو يقول على لسان (علي) :

" - هل تعلمين أي حزن يبعث المطر

^(٣٩٢) ملائكة الجنوب : ٣٣٧ .
^(٣٩٣) ينظر : تفسير الطبري ، أبو جعفر محمد جرير الطبري ، محمود محمد شاكر ، دار التربية والتراث ، ط١ ، ٢٠٠٠ م : ج ١٠ / ٢٦٣ .
^(٣٩٤) ينظر : الحرب في حي الطرب : ١٧٥

وكيف تنتشج المزاريب فيه إذا انهمر .^(٣٩٥)

فهو تناص مع قول السياب^(٣٩٦):

مطر

مطر

أتعلمين أي حزنٍ يبعث المطر ؟

وكيف تنتشج المزاريب إذا انهمر ؟

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضياح ؟

كالحب كالأطفال كالموتى - هو المطر !

فاستدعاء نص السياب دلالة الاندماج بين ظلمة الحرب العاصفة في البلاد إلى ظلمة الغربة والمعاناة خارجها ؛ لأنه كان يفكر بالهروب إلى الكويت فالغربة المتوقعة هاجس مخيف يبعثه المطر أولاً لينبعث فيما بعد شعور التلون فيتناص مع المثل الشعبي " من يتزوج أمي يصير عمي "^(٣٩٧). فعلي سيتترك العراق ويهرب إلى الكويت ليبحث عن وطنٍ بديل فيها ، فهو في نظرته لنفسه فقد المصالحة الذاتية بينه وبين نفسه ، ويجسد المثل الشعبي هاجس الخيانة للوطن لديه ؛ فهو مثل يضرب للقبول بالأمر الواقع الذي لا مفر منه والمهادنة مع المصير المحتوم ، والذي يعضد الرأي السابق لجوؤه لأمثال كويتية دراجة ليصف حالاً ويوضح موقفاً حين طلب الكف عن الحديث في طريقه للنجاة والهروب من البلاد عن طريق الكويت أو السعودية واستخدام المثل الكويتي " إذا حضر الهرس ، بطل الدرس " ^(٣٩٨) . الذي يعطي دلالة واضحة إلى قصدية المؤلف لإظهار التلون الذي بدت

^(٣٩٥) المصدر نفسه : ١٧٥ .

^(٣٩٦) ديوان أنشودة المطر ، بدر شاكر السياب ، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة ، ط١ ، ٢٠١٢م : ١٢٤ .

^(٣٩٧) الحرب في حي الطرب : ١٧٥ ، و ينظر : موسوعة الروائع و الحكم والأمثال والأقوال المأثورة ، منير ب. عبود ،

شبكة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت لبنان ، د.ت : ٤٠٥ .

^(٣٩٨) الحرب في حي الطرب ، ١٨٦ و ينظر : المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه

الله تعالى وسيرته وأقواله ورحلاته ، تأليف وجمع وترتيب ، عبد الأول بن حماد الأنصاري ، ط١ ، السعودية ، ٢٠٠٢م :

٤٥٦ / ١ .

عليه شخصية علي فهو لا يزال في العراق وكأننا نلمح في النصين السابقين أنساقاً مضمرةً تشير إلى أن العراق في حرب إيران كان يحارب بالنيابة عن دول الخليج ، فالعراقي (علي) تنازل عن شخصيته وانتمائه في هذه الحرب ليتقمص انتماءً آخرًا و لم يبال بأمر الوطن بعد مغادرته ويقول الراوي متحدثًا عن هواجس عبد الحسين ونظرته إلى علي " نظر إلى علي ... وبحس العارف راوده اعتقاد قوي بأن الأمر سواء لعلي . أبقى في العراق أم غادره . إنه في الحالة نفسها التي ردّ فيها المتنبي:

أَيَّا شِئْتِ يَا طَارِقًا فَكُونِي هَلَاكًا أَمْ نَجَاةً أَمْ مَمَاتًا " (٣٩٩) ، وفي النص تناص مع بيت المتنبي قال : (٤٠٠)

وَ أَيَّا شِئْتِ يَا طَرْقِي فَكُونِي أَدَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكًا

فالمتنبي يشير إلى أن الأمور سيان وهذا كلام ضجر يقول لطريقه كوني كيف شئت فأنا لا أبالي وان كان الهلاك في سلوكه ، فهو يقول : " إذا سرت وسيف الدولة راض عني فلا أبالي أي شيء كان في طريقي .. هلاك أو نجاة فأن سعادة جده تدفع ما احذره " (٤٠١) . ففي الرواية قد تحولت الدلالة من الرضا إلى شعور عدم الرضا والقبول فهو غير راض عن نفسه وإحساسه بخيانة الوطن فقد سحب نجم والي الدلالة إلى اللامبالاة .

إن الأزمات النفسية التي تجتاح الشخصيات ومحاصرة العوز والحرمان التي ترافق الحرب تستدعي في ذهن الشخصيات معاناة مستهلكة ومن ذلك تناصه مع رواية (الجريمة والعقاب) في قوله : " فكر أن يقتل أم حسين، صاحبة الدار التي أجز غرفة عندها في الحيدر خانة. كم من ليلة جلس يخطط على هدى راسكولنيكوف. كان مفلساً لحد اللعنة، وعندما قرر فعل ذلك في النهاية، كتب رسالة إلى صديفته آنذاك سناء، لدهشته عرف بعدها، أنه لم يخاطبها في الرسالة بسناء، إنما بسونيا. في تلك الليلة شرب أيضاً قنينة من العرق، وفي الصباح وجد نفسه قد نام عند عتبة الدار، الرسالة ما تزال في جيبه، فيما كانت رجل أم

(٣٩٩) الحرب في حي الطرب : ١٨٦ .

(٤٠٠) ديوان المتنبي : ٥٦٦ .

(٤٠١) شرح ديوان المتنبي ، أبو العلاء المعري ، تح/ د. عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٩٢م : ٢٥٦ .

حسين ترفسه لتوقظه قبل أن يوقظه صياح الباعة ولهيب الشمس الحارق"^(٤٠٢). فأغلب الشخصيات التي رسمها هي شخصيات مأزومة خلفت الحرب فيها اضطرابات نفسية ورافقها الحرمان فصالح في رواية (مكان اسمه كميت) كان معجباً بـ (دوستوفيسكي) إلى درجة أنه تقمص احد شخصيات روايته الجريمة والعقاب وهو (راسكولينكوف) فكاد يرتكب الجريمة ذاتها التي ارتكبها بطل رواية الجريمة والعقاب لولا ايقاضه من الحلم فالجريمة يؤججها الحرمان و هو القاسم المشترك بين صالح و(راسكولينكوف) ، فضلاً عن أن الاثنيين وجدا في المرأة خلاصاً فـ (سونيا) أنقذته من صراعه النفسي عندما أقنعته بتسليم نفسه للعدالة بينما صالح لم ينقذه من ارتكاب جريمته وملاقاة مصير راسكولينكوف إلا قنينة العرق ، ومن المفارقة أن العرق أصبح مصدراً لخلاص صالح من عذاب نفسي كان سيلاحقه لاحقاً إذ ما قتل صاحبة الدار التي استأجرَ منها غرفة كما قتل راسكولينكوف صاحبة الدار المرابية.

ونجد نجم والي يتناص مع دستوفيسكي في قصة الليالي البيضاء فقصة صالح وحبيبته ماجدة تشبه إلى حد بعيد قصة (ناستينكا وحبيبها) على الرغم من بعض الاختلافات ، ونلمح الإشارات إلى هذه القصة في عدة مواضع فقد قرأها صالح ثلاث مرات ^(٤٠٣). وأهداها إلى حبيبته ماجدة ويدور حوار فيما بينهما عن هذه الرواية فهي تسأله عن سبب تسميتها بهذا الاسم :

" ماذا تعني الليالي البيضاء ؟

ابتسم وأجابها :

- في شمال الكرة الأرضية عندما تدور الأرض حول نفسها يبقى الجزء الشمالي منها محجوباً عن الشمس ، يدور حول نفسه فقط ... يُطلق على تلك الليالي التي تكون فيها الشمس مشرقة أربعاً وعشرين ساعة اسم (الليالي البيضاء)" ^(٤٠٤) فتكون الليالي مضيئة كالشفق في المنطقة التي جرت فيها أحداث القصة كما أن ماجدة تمنّت أن تكون ليالي كميت

^(٤٠٢) مكان اسمه كميت : ١١٩ .

^(٤٠٣) ينظر : مكان اسمه كميت : ١٨ .

^(٤٠٤) المصدر نفسه : ١١٩ .

بيضاء^(٤٠٥) ومن المفارقة أن أحداث هذه القصة تشبه أحداث جرت لصالح ؛ فهو أحب ماجدة و التي أحببت بدورها عصام ماهود وهذا ما حصل مع ناستينكا، أما الاختلاف عن قصة الليالي البيضاء فإن ناستينكا قد أحببت حبيبها إلا أنها بقيت على حبها له على العكس من ماجدة التي أحببت مدرسها صالح فيما بعد فهربا معا ؛ فكان في مهربهما ملاقاتة حتفهما ، فصالح أراد أن يعيش قصة أسطورية إلا أن النهاية لم تكن سعيدة فإذا كانت نهاية الليالي البيضاء الفراق فإن نهاية قصة صالح و ماجدة الموت الذي لا فرار منه .

ونلاحظ التناص المباشر الذي جاء تلميحا للانتماء الحزبي لسلمان ماضي في رواية (بغداد مالبورو) فحين التقاه راوي بغداد كان يردد "أيها الجلاد ، اذهب إلى قرينتك الصغيرة ، لقد طردناك و ألغينا هذه الوظيفة"^(٤٠٦) فهذا التكتيف والتركيز يدين القمع ويتخلص من الطاغية الذي لازال شبحة يلاحق الضحايا فالقرية الصغيرة هي بؤرة المفارقة في النص قرية تنبت طاغية ! كانت الصور هي جواز المرور للاوعي عند سلمان والتي تخدم الحالة أو المشهد السردي حين عرف راوي بغداد أن سلمان سيكون صديقاً له فيما بعد ومن الشبه في أن أحداث الرواية كانت في مدينة كركوك كذلك قصيدة سركون كانت عن تلك المدينة الغربية التركيب من حيث الأجواء الاجتماعية والأقوام التي تسكنها فهي خليط عجيب من عرب وأشوريين وأكراد وأرمن وصابئة^(٤٠٧)

إن شعور الإنسان بهاجس الموت وارتيابه منه يتأتى من خوفه من مجهول يلحقه ، فالإنسان يألف الحياة في الدنيا وان كانت ظالمة محطمة للأمال ؛ فيعيش ما يعرفه بمره خوفا مما يجهل ؛ فيقف سلمان أمام حادثة انتحار البغل وجد أن البغل في معادلة الحياة يتغلب على الإنسان لأنه لم يرض بحياة الذل والإجهاد ؛ فلجأ إلى إنهاء حياته وهو الأمر الذي يرتاب منه الإنسان ويخشاه وليمرر هذه الفكرة تناص مع شكسبير في مسرحية هاملت

^(٤٠٥) ينظر: المصدر نفسه : ١١٩ .

^(٤٠٦) بغداد مالبورو : ٣٣ .

^(٤٠٧) ينظر : سركون بولص (الأشوري التائه) أكتب باليد التي هجرتني ، محمد ايت لعيميم، مجلة البيت ، العدد الرابع

١، /١ ابريل /٢٠١٤م : ١٧٢،

فردد على لسان سلمان هذه الجملة " لماذا يجعل التأمل منا جبناء " (٤٠٨). وهذا تناص مباشر من نص مسرحية شكسبير :

" لو لا أن الخوف من أمرٍ قد يلي الموت ،

ذلك القطر المجهول الذي من وراء حدوده

لا يعود مسافر ، يتبّط الإرادة فينا

ويجعلنا نؤثر تحمل المكروه الذي نعرفه

على الهروب منه إلى المكروه الذي لا نعرفه ؟

إلا هكذا يجعل التأمل منا جبناء جميعاً " (٤٠٩).

و قد أدرك انتحار البغل مما جعل راوي بغداد يسأل عن الأمر الذي أدى بسلمان إلى أن يتوقف عند هذه الحادثة التي لا تستحق أن يعيرها كل هذا الاهتمام ؛ وهو لا يعرف أن سلمان جعل من حياة البغل معادلة لحياة الإنسان ، فالبغل لم يستسلم لحياة لم تعجبه وهذه فلسفة فالإنسان العادي وحتى الصعلوك في روايات نجم والي يتحول إلى فيلسوف يتأمل في الحياة والموت لان الحياة القاسية توقظ روح التأمل والفلسفة في الإنسان ولعل الروائي قد غالى كثيراً حينما جعل البسطاء يتأملون بنفس تأمل الفلاسفة .

ومن اللافت للنظر أن الاقتباسات عادة ما جاءت على لسان سلمان لأنه شاعر فهو كثيراً ما يقتبس نصوصاً تجعل صديقه يتأملها فيجد إسقاطاً لما يعيشه من حالات نفسية وانفعالات ، فحين حدثه راوي بغداد عن حبه لخطيبته التي وعدّها بالزواج فور انتهاء الحرب إلا أن حرباً جديدة بددت هذا الوعد إذ داهمته فما استطاع تحقيق وعده ففي قول سلمان " الحب سر الله على الأرض ... هات لنشرب " (٤١٠) تناص مع قول شمس الدين التبريزي " الحب سر الله على الأرض " ففيه مواساة له فهو الشفاء لجروح الإنسان عند

(٤٠٨) بغداد مالبيورو : ٣٧ .

(٤٠٩) مأساة هاملت أمير الدنمارك ، وليم شكسبير ، ت . جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت

، ط ٥ ، ١٩٧٩م : ١٠٧ .

(٤١٠) بغداد مالبيورو : ٤٩ .

التبريزي كما أن الحب والخمر هما شفاء للإنسان المجروح من الحروب عند سلمان وعادة ما يرد التناص على لسان سلمان فهو كما يقول راوي بغداد "يستعين بشاعر زميل له ، ذلك هو دينه" (٤١١) .

إن النصيحة هي خلاصة خبرة يقدمها الإنسان لمن يحب لإنقاذه من الانقياد لهلاكه؛ شريطة أن لا تتناقض مع فعل الناصح يتأمل راوي بغداد بهذه المسألة ولماذا لا يريد الإنسان أن يقع الآخرين بنفس الخطأ أو ندفعهم إلى القرار الصحيح لأننا نريد لهم أن يحققوا ما لم نستطع تحقيقه " نريد الدفاع عن آخر حجة في حوزتنا لكي لا نتخذ قراراً نندم عليه لاحقاً؟ أم لأننا نرى في قرارهم القرار الذي تمنيناه ولم نستطع إنجازه؟ الأوان فات، ومات ما مات ، ولا يهم أنها حكمة أخرى لسكران فأنا أعرف في النهاية أن من غير المهم ما نفكر به، وما فات مات " (٤١٢) . ففي قوله ما فات مات استحضار لقول قس بن ساعدة الأيادي " أيها الناس، اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت " (٤١٣) . فالذي يموت لا يعود للحياة لاستدراك ما فاته وأراد بذلك أن يتعض الناس من أخطائهم .

إن أحداث الحرب المليئة بالمتناقضات المحزنة هي ما دفعت راوي بغداد في رواية (بغداد مالبور) يتأمل هذه الأحداث المتناقضة ، ومنها وصول رسالة كان ينتظرها راوي بغداد بعد فترة طويلة من إرسالها من قبل صديقه سلمان ، وهذه المفارقات المتعبة والمحزنة لأنها تتعلق بأحباب رحلوا عن هذه الحياة حملت راوي بغداد أن يصف حال الناس في الحرب تعبوا من الضحك لكثرة ما مر عليهم من ويلات ودمار " كلا لديه رغبة بالضحك لكنه لا يستطيع الضحك ، قيل (شر البليّة ما يضحك) وفي بلاد مثل بلادنا بكل ما أصابها من شر وويلات تعب الناس من الضحك حتى طلقوه " (٤١٤) . فالمثل يضرب لمن تصيبه الشدائد والمصائب في غير وقتها فيضحك

(٤١١) المصدر نفسه: ٤٧ .

(٤١٢) المصدر نفسه : ٨٢

(٤١٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، تح/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م: ج ١/ ٢٥٥

(٤١٤) بغداد مالبور : ٨٣ .

يرحل نجم بطل رواية تل اللحم مع معالي للبحث عن أسيد لوتي و وجبهة إلا أنه سرعان ما يفكر بالتراجع عن الذهاب في هذه الرحلة ؛ لأنه وجدها عبثية لا جدوى منها فهو لا يعلم بوجهتها ، أما معالي فكانت تعلم طريق هذه الوجهة وفي خضم هذا التفكير الذي راوده أحس أنه لا بد أن ينهي الرحلة إلا أن زفير معالي وهي نائمة يبعث فيه هاجس إكمال الرحلة فيتخيل خطابه "أنا الذي يزفر هذه المرة، ولكن بعد سماعي تلك الزفرة التي تأتي من خلف ظهري ، تمسّ ظهري مثل يد ناعمة بخفة ، و تدور إلى جانب ، تحرك قميصي ، وتجسّ جهة الصدر اليسرى ، تبعث معها الأنين ، الوجع ، وفي الوقت نفسه تقول : اصبر قليلاً (ستريك الأيام ما كنت جاهلاً) بيت آخر من المتنبي الذي تحبه"^(٤١٥) . فقد تناص مع طرفة بن العبد^(٤١٦) :

سُتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

ويبدو أن شخصية نجم في ثقافته الأدبية لم تكن تتم عن قراءة واعية يعود فيها إلى مصادر الأدب وروايته ؛ وإنما يعتمد على الثقافة الشائعة فنسب البيت في حديثه إلى المتنبي وهو في الحقيقة لطرفة بن العبد وبذلك عبر عن ثقافة عامة دائماً ما تُنسب الأبيات التي فيها حكمة إلى غير قائلها فإذا كان بيت فيه خلاعة ومجون وخمر يُنسب إلى أبي نواس وإذا بيت حكمة إلى المتنبي فكان استشهاده بنص يُعد باعثاً لإكمال طريقه المجهول ومعرفة سره ومن المفارقة أنه نسب البيت للمتنبي في هذا المشهد بحوار متخيل وقد أراد في قرارة نفسه أن يفتنع مستشهداً بالشاعر الذي تحبه معالي وتذكره في كلامها .

إنَّ الحرب في العراق جعلت الحياة جحيماً مطلقاً وكأنه بلاد تشب به الحرائق ولا خلاص للداخل فيها وليس له أمل بالحياة فيقول راوي بغداد واصفاً هذه الحال " يعرف الجميع أن دخول المنطقة هذه هو بمثابة دخول المنطقة الحرام، خاصة بعد ساعة غروب الشمس فمن يدخلها من جهة الشورجة أو من جهة باب المعظم ما عليه إلا تريد كلمات دانت في الكوميديا الإلهية (أيها الداخلون إليها ودّعوا آمالكم جميعاً) كل الذين تورطوا بدخولها تحدّثوا عن عدم الرحمة ، عن الوحشية التي ينفض فيها المهاجمون من سكانها على

^(٤١٥) تل اللحم : ١٥١ .

^(٤١٦) ديوان طرفة بن العبد ، شرحه مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط٣ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٢م : ٢٩ .

داخلها الغريب ، الخاصة "(٤١٧) فهو يتناص مع مسرحية دانتي الكوميديا الإلهية ويستدعي مشهداً عند باب الجحيم قرأ فيه دانتي: "لم يخلق قبلي شيء سوى ما هو أبدي، و إنى باق إلى الأبد. أيها الداخلون، اطرحوا عنكم كل أمل" (٤١٨). سمع دانتي - في الجحيم - صرخات المعذبين كعاصفة هوجاء، فبكى من هول ما سمع. وحين سأل عمن يكون هؤلاء المعذبون، جاءه الجواب بأنهم كانوا فى الدنيا يبحثون عن مصلحتهم الذاتية فقط. فلم يعصوا الله، ولم يطيعوه في الوقت ذاته، وعاشوا بلا فضيلة ولا رذيلة. فطردتهم السماء حتى لا ينقصوا جمالها فالنص يتحدث بالتحديد عن ساحة الميدان هذه المنطقة التي في اسمها تناص مع الحروب "إلا يُطلق على جبهات القتال ميدان الحروب؟ هل لهذا اختارها سلمان، أغراه اسمها في اللجوء إليها" (٤١٩). لا احد يسلم منها فهي الجحيم لكل من يدخلها.

ثالثاً : التناص التاريخي

توظف الأحداث التاريخية بوصفها نصوصاً تشتغل في النصوص الروائية لمعالجة الواقع الراهن ؛ لاكتنازها حمولات ثقافية بما تحمل من إيماءات رمزية لوجود علاقة بين التناص التاريخي و بين الروايات ، فالأدب يعمل على خلخلة الثوابت التاريخية وإخراجها إلى طابع أدبي بطبيعة تأويلية فيتحول النسق التاريخي إلى نسق إبداعي يمتاز بالحرية (٤٢٠)

ومن توظيف نجم والي للتناص التاريخي ما ورد في روايته (بغداد مالبورو) إذ غنم (سلمان ماضي) ورفاقه مجموعة من الأسرى الأمريكان في إحدى معاركهم وهي معركة الخفجي وعددهم ٢٩ جندياً ونشأت علاقة صداقة بين سلمان ماضي واحد الجنود الأمريكان ويدعى (أم ديفد) إلا أن احد هؤلاء الأسرى حاول الفرار حين حصل على السلاح من (نهاد) وهو احد الجنود ثم قتله ونشأت مواجهات دامية حين رفعوا الأسلحة وتبادلوا رمياً عشوائياً فلقى (أم ديفد) حتفه ثم داهمت القوة الجوية الأمريكية المكان ففر سلمان متأثراً

(٤١٧) بغداد مالبورو : ٨٨

(٤١٨) الكوميديا الإلهية ، دانتي ألبيري ، ت. كاظم جهاد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٢ :

١٥٦

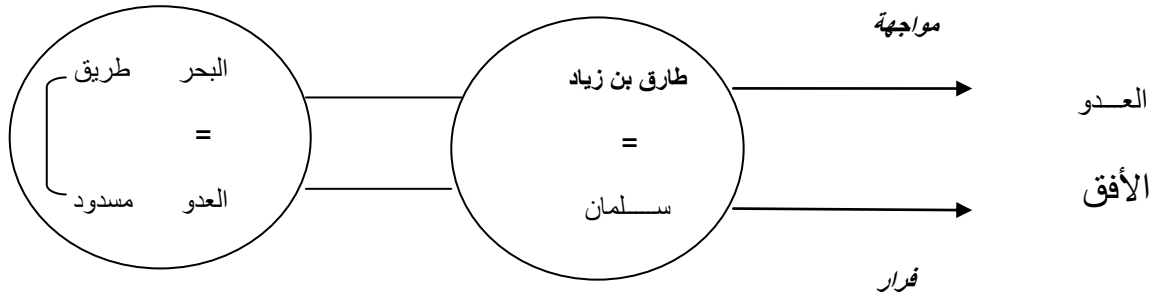
(٤١٩) بغداد مالبورو : ٨٨

(٤٢٠) ينظر: التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية ، عادل العناز ، إصدارات دائرة الثقافة ، حكومة الشارقة -

الإمارات العربية المتحدة ، ط١ ، ٢٠١٩م : ٤٣

بقتل صديقه ديفد ، وصديقه في الجيش العراقي نهاد ، ان فراره هو فرار من فاجعة الموت أولاً ثم محاصرة القوات ثانياً ف " مايزال يسمع صوت احدهم وصراخه (ام ديفد ، مالبورو ... أنا ديفد و أنت بغداد يا سلمان " (٤٢١). فيصف الراوي خطوات سلمان في الصحراء " المهم أن يحفر بسطاله له طريقاً بعيداً عن طائرات الآباتشي والأسلحة الرشاشة التي خدّدت بصوتها السماء ، وحده في البرية ، الأفق من أمامه ، و الأعداء من ورائه " (٤٢٢).

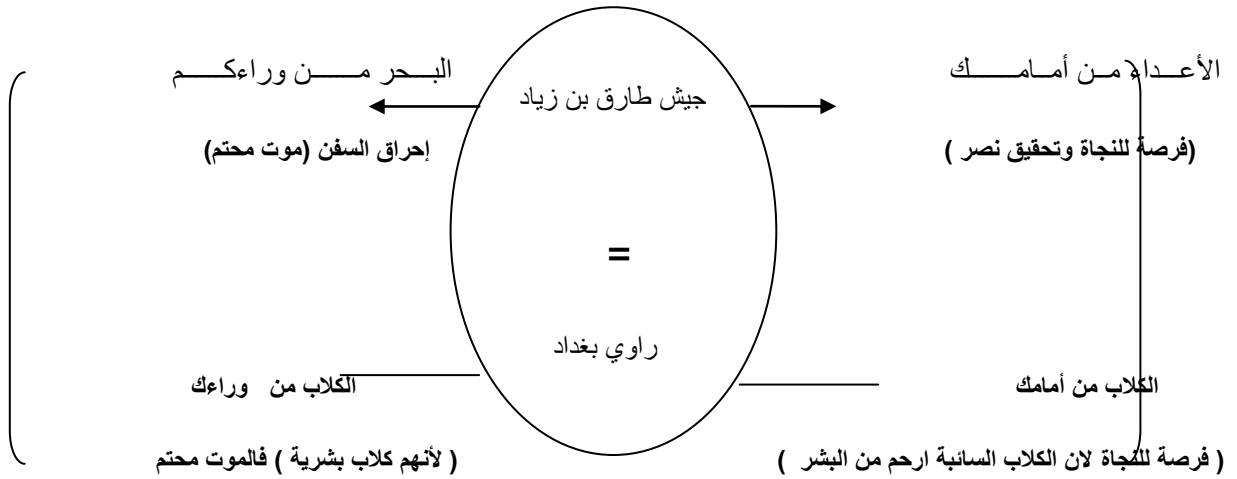
وفي هذا تتناص مع الكلمات الخالدة التي نطق بها طارق بن زياد عند نزول القوات العربية من سفنهم استعداداً لفتح الأندلس ثم قيام طارق بحرقها وهي إشارة إلى حالة الانحصار ، أما نجم والي فقد عكس المقولة ؛ لان الخطاب في توجهه مختلف ففي خطبة طارق حث على المقاتلة فوضع العدو أمامه أما سلمان ففي حالة هرب فكان العدو خلفه فقد انعكست المقولة لاختلاف الدلالة المنشودة ويمكن توضيح الفكرة بالشكل الآتي :



ويتناص في ذات الرواية أيضاً مع نص طارق بن زياد " في اللحظة التي طوقتني فيها الكلاب ورأيت الرجال الملتئمين ما زالوا ينتظرون في سياراتهم لكي يستمتعوا بمشهد الكلاب السائبة وهي تنهشني أو تعضني بالتأكيد . في تلك اللحظة وقبل أن أراهم يختفون

(٤٢١) بغداد مالبورو : ١٠٠
(٤٢٢) المصدر نفسه: ١٠٢.

في عتمة الليل تذكرت الجملة التي قالها طارق بن زياد لجنوده بعد عبورهم المضيق الضيق الذي ربط شمال أفريقيا بالأندلس (الموت من أمامكم والبحر من ورائكم) وفي حالتني تلك ما كان علي إلا أن أقول: الكلاب من أمامي والكلاب من ورائي. وربما كانت الكلاب السائبة أرحم من الكلاب التي جلست خلفي" (٤٢٣). فهو هنا يتناص أيضا مع مقولة طارق بن زياد وهو تناص غير مباشر بإبدال كلمة (الأعداء) بكلمة (الموت) ليجسد صعوبة الحالة التي عاشها راوي بغداد فهو مواجه للموت كما واجهه جيش طارق بن زياد و قد جعل الكلاب أمامه وخلفه - كناية على الأعداء - لكنه يستدرك بأن الكلاب السائبة هي ارحم من البشر فمن الممكن التخلص منها وان لديه فرصة للنجاة وأن كانت صعبة ويمكن توضيحها بالشكل الآتي :



و يتناص مع المقولة ذاتها في رواية أخرى وهي الحرب في (حي الطرب) ف جاء على لسان (علي) : " - سيان ، هنا أو في مكان آخر . تقصدون ضعنا ؟ لقد ضعنا منذ زمن لا فرق أن أموت هنا أم في مكان آخر . كل الأرض ميدان حرب - الموت من أمامكم والموت من ورائكم" (٤٢٤). فالتناص هنا غير مباشر أيضا وجاء به ليبين عبثية الحياة في العراق فالموت يحاصرهم في كل مكان .

(٤٢٣) بغداد مالبورو: ٢٤٣.

(٤٢٤) الحرب في حي الطرب : ٦٦ .

وفي موضع آخر من الرواية نجد التناص التاريخي حاضراً في حديث رجلٍ غريب الأطوار التقاه الجنديان (علي ، وجلال) في الجبهة وكان يقلب في رؤوس الجثث القتلى بحثاً عن رأس القائد ؛ لأنه بنظره أهم الرؤوس التي يريد الحصول عليها ويحلم أن يراه مقطوعاً ولا بد يوم ما أن يحمل على رمح وليتبين فيما بعد أن هذا الرجل رائدٌ في الجيش العراقي يبدو أنه فقد عقله من جراء أحداث الحرب مما جعل علي والجنديين يرتابان ويعتقدان أنه ربما يشكل خطراً عليهما فكلامه لا يتفوه به إلا مجنون " - لا تعتقدوا أن الأمر خطر عليكم إذا تكلمتم عن هذه الرؤوس .

- قديماً قال الحجاج أرى رؤوساً قد أينعت وحن وقت قطافها، ولكنه لم ينتبه إلى الأعرابي الذي كان يجلس في أحد الزوايا والذي ضحك عند ذكر كلمة رؤوس. كان رجلاً طاعناً في السن وتخضرم مع أكثر خلفاء بني أمية. وعندما جلجلت ضحكته قوية في المجلس ثار الحجاج ليسأله لماذا ضحك ؟ وبعد أن سأله الأمان، حدثه هذا كيف أنّ الناس صفقوا للمختار عندما رفع برمحه رؤوس قتلة الحسين، وكيف أنهم صفقوا لزياد بن أبيه* عندما قطع رأس المختار والآن يصفقون لك لأنك ستقطع رؤوسهم. وسيصفقون عندما يرون رأسك مقطوعاً. هل تعلمون أن الحجاج ذو رأس صغير كالقائد.

وفجأة نهض من مكانه وهتف :

- أهم رأس بالنسبة لي أن أحصل عليه الآن هو رأس القائد" (٤٢٥).

يريد أن يشير إلى أن الذي أدى إلى بطش القيادة وطغيانها هو تشجيع الناس للدكتاتور في كل زمان ومكان وعدم اتخاذهم موقفاً إزاء ظلم الطاغاة "اذ لم يكن توظيف الموروث التاريخي في الرواية العراقية بمعزل عن سياقه التاريخي الذي ولد فيه ففي أحداث هذا

* يبدو أن الروائي نجم والي اخطأ في هذه المعلومة التاريخية فالذي رفع رأس المختار على الرمح بعد قتله هو مصعب بن الزبير وليس زياد بن أبيه . ينظر : جمل من أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (٢٧٩ هـ) ، تج/ د.سهيل زكار ، دار الفكر، ط١ ، بيروت، ١٩٩٦م : ج ٢٨٧/٣ . (٤٢٥) الحرب في حي الطرب : ٦٦ .

الموروث مسوغات أحداثه " (٤٢٦). استثمرها الروائي نجم والي في منجزه الإبداعي لتصبح هذه الأحداث ذات رسائل أخلاقية وسياسية واجتماعية وتحمل دلالات ثقافية .

رابعاً : التناص الذاتي

اشتملت روايات نجم والي على نوع آخر من التناص الذي يتمثل بتفاعل نصوص الكاتب ذاته فيما بينها سواء كان في الجانب الموضوعي أم الأسلوبية، فهناك فكرة مركزية حاولت جميع النصوص توصيلها.

فوجد شخصية هارون والي تذكر في كل الروايات بوصفه راوي في (ملائكة الجنوب) ، و صديق مشترك لسلمان وراوي بغداد في(بغداد مالبورو) أو شخصية ينتحلها يوسف في رواية (صورة يوسف) ،. ففي رواية (صورة يوسف) جاء على لسان (سلمان ماضي): " أعرف أديباً واحداً هارون والي وبصراحة قرأت له لأنه يتحدث دائماً عن المسكوت عليه وعن كل ما يلحق بالإنسان من حيف .لم اعرف أنه سيعرف هارون والي الذي تحدثت عنه وان علاقة قديمة وحميمة ربطته معه ، لكن الفرحة التي ارتسمت على وجهه، عندما نطقت الاسم أمامه جعلتني أفهم منه كل شيء خاصة عندما سمعته يقول لي صحيح أن هارون لم ينشر إلا قليلاً لكن يعجبني فيه إصراره على مواصلة رواية الجحيم الذي نحن فيه . غادر مبكراً من اجل أن يعطي نفسه الفرصة لرواية عذابنا بحرية " (٤٢٧).

ويرد هارون والي في رواية (صورة يوسف) أيضاً حين يتخيل جوزيف كرملي نفسه بأنه هو هارون والي "رأى جوزيف كرملي أو جوزيف ك ينادي عليه بصوت محموم ،ويقول له : أنا هارون والي الذي يروي حكايات الخراب ،من مكاني البعيد عنكم ، لكنني أكثر قرباً مما تتصورون ؛ رأى رجلاً يشبهه ،لا يخرج من بيته سنوات ، يجلس في صالون البيت عند طاولة ،و وضع عليها آلة تسجيل ، يُملي عليها تفاصيل جولات يومية ،يتخيل أنه

(٤٢٦) توظيف المرجعية التراثية في الرواية العراقية : ٥٧ .
(٤٢٧) بغداد مالبورو : ٣٥

قام بها ؛ رأى عبر نافذة الشباك الذي شرع الرجل يتطلع منها ، أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ورأى نفسه يخرج من غيب بئر قناعه ممزق " (٤٢٨).

إن اختيار اسم (هارون) بما يحمل من رمزية " فهو اسم النبي الذي لم يشعر بالملل من رواية القصص" (٤٢٩)، فقد اتخذ اسم الراوي هارون والي لما فيه من رمزية للفصاحة قال الله على لسان موسى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ (٤٣٠) . وهذا ما يؤهله لرواية أوديصة نجم والي ومشروعه بكتابة ملحمة تاريخ جحيم العراق (٤٣١).

وفي رواية بغداد مالبورو يشير إلى أحداث جرت في رواية (تل اللحم) إذ أن قوات التحالف قد قسمت الجيش البري إلى ثلاث مجموعات ويصف المجموعة الثالثة "وهي المجموعة هذه التي كانت بقيادة الجنرال الفرنسي بلزك (الذي انتحر لاحقاً في منطقة تلّ اللحم لعدم تمكنه من الزحف على بغداد)" (٤٣٢) . فالنص يحيلنا إلى مشاهد مع رواية تلّ اللحم التي ذكرت فيها حادثة انتحار بلزك بالتفصيل (٤٣٣).

ونجد الترابط أيضا في رواية (بغداد مالبورو) في قصة نهاد احد شخصيات الرواية الذي كانت أمنية حياته السير على خطى خاله (الملاك نور) وتفاصيل حياته ذكرت بالتفصيل في رواية ملائكة الجنوب والذي يعد احد أبطالها " كيف ينسى موت نهاد مثلاً؟ رغباته وحدها ملأت ورقتين أو أكثر من دفتره الصغير كان ما يزال في أول العمر. حدثه مراراً عن مشاريعه في المستقبل، عن خطته لكي يصبح نقاش ذهب من الدرجة الأولى في العراق ، قال له أريد السير على خطى خالي كان يُطلق عليه اسم الملاك أو نور الشيخ ملا إبراهيم وهل هناك أحد لا يعرف عائلة الشيخ ملا إبراهيم ، الابن الأكبر سير المنار ملا إبراهيم صاحب محل صياغة فيليبيا للذهب في شارع النهر في بغداد، وبعده. ابن أخيه نور بن الشيخ يحيى ملا إبراهيم الذي ورث المحل وظل يعمل فيه حتى يوم اعتقاله في مديرية

(٤٢٨) صورة يوسف : ٢٢١

(٤٢٩) ملائكة الجنوب : ١٩٣

(٤٣٠) القصص ، الآية : ٣٤

(٤٣١) ينظر: ملائكة الجنوب : غلاف الرواية .

(٤٣٢) بغداد مالبورو : ٦٤

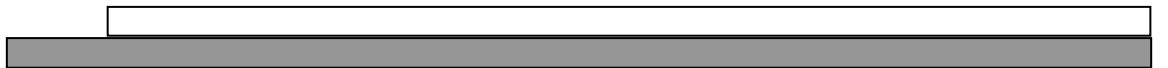
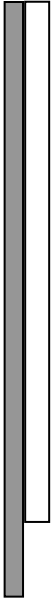
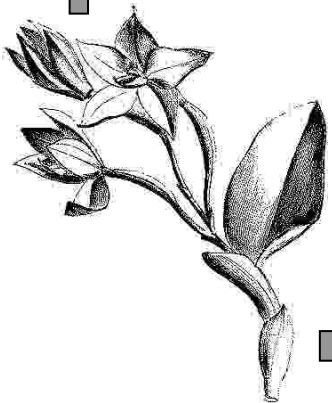
(٤٣٣) ينظر : تل اللحم : ٣٣٢

الاستخبارات في وزارة الدفاع في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٠، نهاد هذا بالذات لم ينجح بالبقاء على قيد الحياة، غافلته الحرب "(٤٣٤)".

شكل التناص بنوعيه الخارجي والذاتي ظاهرة في روايات نجم والي معبرة عن ثقافة عامة وأنساق مجتمعية في رواياته من خلال التناص مع نصوص أدبية عربية وغربية أو مع نصوص رواياته موظفاً هذا التناص بأسلوب أدبي وبلغه موحية ومكثفة تخدم الحدث وتعمق من مأساة الحرب وسلوكيات الشخصيات في الروايات بوصفها أحداثاً وسلوكيات عاشها العراقيون بعد الاحتلال الأمريكي للعراق .

(٤٣٤) بغداد مالبيورو: ٩٩.

التفاح



الخاتمة

بعد هذه الدراسة التي تتبعت فيها تمثيلات الحرب التي رسمها نجم والي في منجزه الروائي يقف البحث وقفته الأخيرة ليوجز أهم ما أسفرت به هذه الدراسة من نتائج :

١- استطاع نجم والي أن يصور جنباً من جوانب المجتمع العراقي في رواياته بهيئة مسخ انعدمت فيه القيم وساد فيه الفساد بكل ألوانه وصوره ، عن طريق مزج الخيال بالواقع إلا أن من يتعمق في قراءة الروايات يتأكد أنه أديب صاحب رسالة توعوية مررها بخلط الأحداث التاريخية بأخرى خيالية بشعة مبالغ فيها؛ ليرسم صورة لأبشع ما قد تكون عليه الحرب ، واختار لأحداثها العراق مكاناً ، وهو أكثر وطن اثبت للتاريخ أن الحرب مهما كانت قاسية لا تستطيع التغلب على قيم دينية وأخلاقية واجتماعية راسخة فما فعله الروائي هو نسج لخيوط الخيال ليرسل دعوة سلام ويقرب المجهر أكثر من وجه الحرب البشع فيبين نذباتها ، ويحذر البشرية جمعاء وهذا هو الروائي الحقيقي الذي يوظف فنه من اجل رسالة يحملها لا من يسجل الأحداث التاريخية بواقعتها فينقلها كما هي .

٢- جاءت صورة الحرب بوصفها أداة إبادة عظيمة لم تسحق الإنسان عن طريق الموت والدمار، بل إنها خلفت في الإنسان الحي بعدا تدميريا فهيمنت صورة الانحلال على العالم في القيم والمبادئ واضطرابات النفس ،فالتفت الشخصيات بهالة من الاضطراب فهي شخصيات مأزومة عانت الخوف والرعب وسيطرة الكوابيس وهواجس قتل النفس والميل للعنف الجسدي واللفظي.

٣- العنف هو الوريث الشرعي للحرب إلا أنه لم يتخذ في روايات نجم والي بعدا خارجيا في صراع الدول مع نظائرها فحسب بل هناك ميدان آخر لا يقل ضراوة من ميدان الحرب الخارجية ،وهو ميدان الحرب الشرسة التي تمارسها السلطة حين تعمل في الشعب كل سياسات الإرهاب والتخويف فتحول الوطن جبهة أخرى أخطر واشد بأسا فلم يأمن أحد من نيرانها .

٤- اعتنى الخطاب الروائي بالبنية الاجتماعية كما اعتنى بالبنية النفسية العميقة لأنها مواطن تمثلات الحرب الحتمية وانعكاس جوهرى لها وبرز الدمار على مستوى (الدولة - المجتمع - الإنسان) ، فقد انسحبت آثار الحرب من الإنسان للمجتمع عن طريق إباحة المحظورات والتخريب الممنهج وشيوع الإرهاب السلطوي والسياسي والانحرافات السلوكية الشاذة والدعارة وانحراف المعايير الدينية مما عكس صورة لإنسان متهاك في ظل مجتمع متهاك .

٥- تعد روايات نجم والى مشروعاً فكرياً يوجز التحولات السياسية والاجتماعية وتكشف عن قدرات سردية للأديب تؤكد أهمية السرد في تصوير أفاق اجتماعية ونفسية وتاريخية من دون إلغاء جماليات النص .

٦- تمثل اللغة أساساً من أساسيات تمثلات الحرب فقد اعتنى الروائي في اللغة بجعلها وانعكاساً لقباحتها ، فالصياغة اللغوية في روايته احتشدت بالجدل والضجيج الكلامي والبذاءة والإلحاد والكفر وتجلي هيمنة منطق القوة بسبب قساوة الحرب وانعكاساتها على بنية المجتمع وتفكيره وسلوكياته .

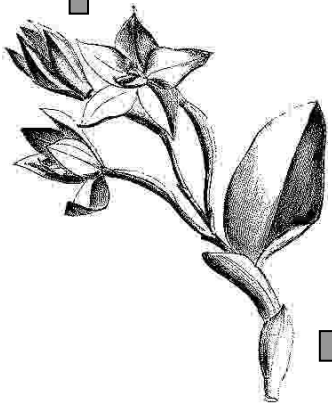
٧- تراوحت اللغة بين التقريرية والشعرية ، فقد لجأ للشعرية حين كان الخطاب يصدر من شخصية على مستوى من الثقافة أو شاعر أو غير ذلك فيما كانت التقريرية لغة الحرب الرسمية واللغة التي صورت الواقع القبيح فلا يبتعد عن ألفاظ لحيونة الإنسان ، أو ألفاظ بذئية في لغة الحوار وما ذلك إلا صورة لانعكاس الحرب التي أراد الروائي إيصالها .

٨- لعبت المفارقة دوراً في بناء الروايات بشكل عام فقد بنيت عليها أغلب روايات الأديب فبقي عنصر المفاجأة حاضراً مكنت المفارقة الروائي من تصوير واقع الحرب وما خلفت من تناقضات على مستوى الشخصيات والبنية الدرامية والحدث .

٩- تعرض روايات نجم والى شكلاً فريداً من أشكال التناسل الذي يشمل العناصر الخارجية والذاتية. وتتميز هذه الظاهرة بمهارة المؤلف في دمج النصوص الأدبية العربية والغربية،

بالإضافة إلى أعماله السابقة، للتعبير عن موضوعات ثقافية ومجتمعية أوسع. ويوظف نجم
والي هذا التناسل بأسلوب أدبي غني باللغة الموحية والحيوية.

المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الروايات :

- إثم سارة ، نجم والي ، دار الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٨ م .
- بغداد مالבורو (من أجل برادلي مانينك) ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٨ م .
- تل اللحم (قصة مرايا سيد مسلط) ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٨ م .
- الحرب في حي الطرب ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ٢٠١٩ م .
- صورة يوسف (حكاية حانة المدينة) ، نجم والي ، الرافدين ، ط ١ ، ٢٠٢١ م .
- عمتي الرومانتيكية ، نجم والي ، دار روايات للاصدارات ، ط ١ ، الشارقة - الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٢٣ م
- مكان اسمه كميت ، نجم والي ، الرافدين ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٢٠ م .
- ملائكة الجنوب (كتب عماريا) ، نجم والي ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق - سوريا، ط ١ ، ٢٠١٠ م .

الكتب :

- الإبادة الجماعية مفهومها ، وجذورها ، وتطورها ، وأين حدثت ..؟، مارتن شو ، تر. محيي الدين حميدي ، العكيان ، ط ١ ، الرياض - السعودية ، ٢٠١٧ م .
- أبواب العقل الموصدة (باب النوم وباب الأحلام) ، د. علي كمال ، الدار العربية ، بغداد ، ط ٢ ، ١٩٩٠ م .
- اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق ، مرشد الزبيدي ، إتحاد الكتاب العرب، ط ١ ، دمشق ، ١٩٩٩ م .
- أدب عبد الرحمن الشرقاوي ، د. ثريا العسيلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

- أدباء منتحرون (دراسة نفسية)، مكرم شاکر اسکندر، دار الراتب الجامعية للنشر، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م.
- أساتذة الوهم، علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.
- الإسلام والديمقراطية (معالم المدرستين في التعددية السياسية)، د. نصير حميد الخزرجي، دار المدى، بيروت، ٢٠٢١م.
- أطفال فلسطين و إرهاب الصهاينة المعتدين، د. موسى عبد القادر العزه، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط ١، عمان - الأردن، ٢٠١٦م.
- الأعمال الكاملة لعبد الرحيم محمود (الديوان - والمقالات)، جمع وتحقيق عز الدين المناصرة، دار جليل، ط ١، دمشق - سوريا، ١٩٨٨م.
- الإغريقي، محمد الخطيب، دار مؤسسة رسلان، ط ١، ٢٠١٤م.
- الآلهة والأساطير اليونانية، مها محمد السيد، كلية الآداب جامعة طنطا، مكتبة المهتمين، د. ط، د. ط.
- الانتحار، إميل دوركايم، تر. حسن عودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ط ١، دمشق، ٢٠١١م.
- انتفاضة تشرين الثاني عام ١٩٥٢م / انقلاب الوصي في العراق (دراسة تاريخية تحليلية وثائقية) محمد حمدي الجعفري، مكتبة مدبولي، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الأنثى هي الأصل، نوال السعداوي، مؤسسة الهداوي سي أي سي، ٢٠١٧م.
- الانحراف الاجتماعي ورعاية المنحرفين ودور الخدمة الاجتماعية معهم، محمد سلامة غباري، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية - مصر، ط ١، ١٩٨٩م.
- الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)، د. مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، ط ٥، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠١٩م.
- الإنسان والمدينة في العالم المعاصر، مجموعة من المفكرين الفرنسيين، تر. كمال خوري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٧م.
- الأيام، طه حسين، مؤسسة الأهرام، ط ١، القاهرة، د. ط.
- بدايات حزب البعث العربي العراقي (١٩٤٤ - ١٩٥٠، ١٩٥٠ - ١٩٥٣)، فائز إسماعيل، مركز الشعلان، ط ١، دمشق، د. ط.

- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح . عبد السلام محمد هارون ، د.ت .
- تاريخ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٨٠ م .
- تاريخ المغول وسقوط بغداد ، رجب محمد إبراهيم بخيت ، مكتبة الإيمان ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- التصوير الساخر في القرآن الكريم ، عبد الحليم حنفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ط ١ ، ١٩٩٢ م .
- تفسير الأحلام ، سيجموند فرويد ، ت. د. مصطفى صفوان ، دار المعارف ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
- تفسير الطبري ، أبو جعفر محمد جرير الطبري ، محمود محمد شاكر ، دار التربية والتراث ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .
- تقنيات السرد في روايات نجم والي ، أحمد عبد الرازق ناصر ط ١ ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، ٢٠١٥ م .
- التمثيل التأويلي للتاريخ في الرواية العربية ، عادل العناز ، اصدارات دائرة الثقافة ، حكومة الشارقة - الإمارات العربية المتحدة ، ط ١ ، ٢٠١٩ م .
- تمثيلات الآخر (صورة السود في المتخيل العربي الوسيط) ، د. نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٤ م .
- تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ، دار المكشوف ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١ م .
- التناص (نظريا وتطبيقا) ، أحمد الزعبي ، مكتبة الكتاني ، ط ١ ، اربد - الأردن ، ١٩٩٥ م .
- توراة موسى (ترجمة عربية للسبعينية) ، تر . دكتور خالد جورج اليازجي ، مدرسة الإسكندرية ، ط ١ ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٨ م .
- ثقافة العنف في العراق ، سلام عبود ، منشورات الجبل ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .
- ثلاث مباحث في نظرية الجنس ، سيجموند فرويد ، تر. جورج طرابيشي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٣ م .
- جراحات الزمن الرديء ، خولة القزويني ، دار الصفوة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

- الجرائم الماسة بأمن الدولة الداخلي (دراسة مقارنة) ، سعد إبراهيم الاعظمي ، دار الثقافة العامة، ط ١ ، بغداد ، ١٩٨٩ م .
- جريمة اغتصاب الإناث والآثار المترتبة عليها (دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي) ، عبد الفتاح بهيج عبد الدايم الواري ، المركز القومي للإصدارات القانونية ، ط ١ ، القاهرة ، ٢٠١٠ م .
- جمل من أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (٢٧٩ هـ) ، تح. الدكتور سهيل زكار ، دار الفكر، ط ١ ، بيروت، ١٩٩٦ م.
- الجين الأناني (تحليل كتاب ريتشارد دوكينز)، نيكولا ديفيس، تر. كريم طرابلسي، ط ١، ٢٠١٧ م .
- حقوق الحيوان (مقدمة قصيرة جداً) ، ديفيد ديجرايستا ، تر . محمد سعد طنطاوي، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة ، ط ١ ، ٢٠١٤ .
- الحياة الاجتماعية للعراقيين في المهجر ، طالب جبار الأحمد ، المركز العراقي للمعلومات ، ط ٢ ، بغداد ، ٢٠٠٩ م .
- الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر) ، عبد الله الغدامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٤ ، مصر ، ١٩٩٨ م .
- الخوف الاجتماعي وعلاقته بنمطي الشخصية ، حسن خزعل محمد ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، ط ١ ، بغداد - العراق ، ٢٠١٨ م
- دين المؤتفكات ، عمر عبد العزيز ، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٧ م
- ديوان ابن المعتز ، عبد الله بن المعتز ، تح . كرم البستاني ، دار صادر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦١ م.
- ديوان المتنبي ، أبو الطيب المتنبي ، تح / مصطفى سبيتي ، دار الكتب العلمية، ط ١ ، لبنان ، ٢٠٠٩ م .
- ديوان امرئ القيس ، تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط ٥ ، القاهرة ، د.ت .
- ديوان أنشودة المطر ، بدر شاكر السياب ، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢ .

- ديوان زهير بن أبي سلمى ، تح. علي حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط ١ ، ١٩٨٨ م .
- ديوان طرفة بن العبد ، شرحه مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٢ م .
- الرغيف ، توفيق يوسف عواد ، مكتبة لبنان ، ط ٧ ، بيروت ، ١٩٨٤ م
- الرفاعي ، جمال الغيطاني ، مطبعة الهيئة المصرية ، ط ١ ، مصر ، ١٩٧٧ م .
- الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار ، د. إدريس الخضراوي ، دار رؤية ، ط ١ ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٢ م .
- الرواية العربية ومصادر دراستها ونقدها ، د. سمر روجي الفيصل ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- الروض الدني (المعجم الصغير) ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ هـ - ٣٦٠ هـ (، تح. محمد شكور محمود الحاج أمرير ، المكتب الإسلامي ، دار عمار ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
- سفر الأمثال ، القس انطيوخس فكري ، نسخة الكترونية .
- السوريون الأعداء ، فواز حداد ، الرياض الريس ، ط ١ ، ٢٠١٤ م .
- سوسيولوجيا العنف و الإرهاب لماذا يفجر الإرهابي نفسه وهو منتشٍ فرحاً، إبراهيم الحيدري ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠١٥ م .
- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ، دار القلم ، ط ٨ ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٦ م .
- سيكولوجيا الحروب والكوارث ودور العلاج النفسي ، غسان يعقوب ، دار الفرابي ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
- سيكولوجيا العلاقات الجنسية ، ثيودور رايك ، تر. ثائر ديب ، دار المدى للثقافة والنشر ، ط ١ ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٥ م
- شرح القصائد العشر ، الإمام الخطيب أبي زكريا التبريزي (٤٢١ هـ - ٥٠٢ هـ) ، تح. الإمام محمد الخضر حسين ، المطبعة المنيرية ، ط ٢ ، مصر ، ١٩٣٥ م .
- شرح ديوان المتنبي ، أي علاء المعري ، تح. د. عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، ط ٢ ، ١٩٩٢ م .

- شريد المنازل ، جبّور الدويهي ، دار الساقي ، ط٤ ، بيروت - لبنان، ٢٠١٢ م .
- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين (الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة) ، زكي المحاسني ، دار المعارف ، ط١ ، القاهرة - مصر، ١٩٦١ م .
- شعر الحروب في العصر الجاهلي ، د.علي الجندي ، مكتبة الإنجلو ، ط١ ، مصر، ١٩٦٦ م .
- شفاء الحب (كشف الحقائق الجنسية المثلية: الأسباب ، العلاج ، الوقاية) ، أوسم وصفي ، الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة - مصر ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، تح/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م .
- صحة النساء النفسية بين أهل العلم وأهل الدين (دراسة ميدانية) ، عزة شرارة بيضون ، دار الجديد ، ط١ ، ١٩٩٨ م .
- الصحة النفسية للأطفال والمراهقين ، إيمان دويدار ، مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر ، ط١ ، القاهرة ، ٢٠١٨ م
- صحيح البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن البخاري الجعفي ، تح / د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط٥ ، ١٩٩٣ م .
- صحيح مسلم ، الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح .الإمام النوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- ظاهرة الشذوذ الجنسي وجرائم القتل ، عبد الواحد إمام مرسي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- العرب والأمم المتحدة مجلس الأمن فقط (المكسب والخسارة) ، أسامة عبد الرحمن، هبة النيل للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠١٥ م .
- علم النص ، جوليا كرستيفا ، تر. فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء - المغرب، ط١ ، ١٩٩١ م .
- العنف (مختارات فلسفية) ، فيتوريو بوفنتش ، تر. ياسر قنصوه ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٧ م .
- العنف والعدوانية في التحليل النفسي (مكاشفات بنوية في سيكولوجية العدوانية عند فرويد) ، علي اسعد وطفة ، وزارة الثقافة السورية للكتاب ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠٨ م .

- العنف والمقدّس ، رينيه جيرار ، تر . سميرة ريشا ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .
- فرانكشتاين ، ماري شيلي ، تر . فايقة جرجس حنا ، ط ١ ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٢ م .
- فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب ، د. سمير الخليل ، تموز للطباعة والنشر ، ط ٣ ، دمشق ، ٢٠١٤ م .
- فلسفة العنف ، إلزا دورلين ، تر . جلال بدلة ، دار الساقي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٢١ م .
- فن الشعر ، أرسطو طاليس ، تر . د. إبراهيم حماده ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ت
- في اصول الخطاب النقدي الجديد ، تورودوف تزفتان وآخرون ، تر. احمد المدني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، د.ت .
- في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، دار التراث الأول ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) ، د. عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
- فيض الخاطر (مقالات أدبية و اجتماعية) ، أحمد أمين ، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة ، ط ١ ، مصر ، ٢٠١٢ م .
- قاموس اساطير العالم ، آرثر كورتل ، تر . سهى الطريحي ، دار نينوى ، دمشق - سوريا ، ط ١ ، ٢٠١٠ م .
- القصة القصيرة جداً بين النظرية والتطبيق ، يوسف حطيني ، مطبعة اليازجي ، ط ١ ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٤ م .
- قصص الأنبياء ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ، تح . مصطفى عبد الواحد ، مطبعة دار الأليف ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- قضايا الشعرية ، رومان جاكوبسون ، تر. محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، ط ١ ، المغرب ، ١٩٨٨ .
- قضايا في الصحة النفسية ، د. نازك عبد الحليم ، د. أمل يوسف التل ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م .

- كتاب الحيوان ، أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تح. عبد السلام هارون ، ط ٢ ، ١٩٦٥ م .
- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ هـ - ١٧٥ هـ) ، تح. د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار مكتبة الهلال ، د. ط ، ٢٠٠٨ م .
- الكتاب المقدس ، المكتبة الشرقية ، ط ٣ ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٤
- الكلمات والأشياء ، ميشيل فوكو ، تر. مطاع الصفدي ، مركز النماء القومي، ط ١ ، بيروت ١٩٨٩ م .
- الكوميديا الإلهية ، دانتي أليغيري ، تر. كاظم جهاد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٢ ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
- لا أحد ينام في الإسكندرية ، إبراهيم عبد الحميد ، منشورات الجمل ، ط ١ ، ألمانيا، ٢٠٠٢ م .
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (٧١١ هـ) ، صادر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٥٥ م .
- لعبة النص (مقاربة نقدية في الشعر والسرد)، صالح هويدي ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- مأساة هاملت أمير الدنمارك ، وليم شكسبير ، تر. جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٧٩ م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد ابن الأثير، تح. أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار نهضة ، القاهرة - مصر، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
- المثلية الجنسية بين الإسلام والعلمانية ، أحمد طه ، طبعة الكترونية ، مدونة أمّتي ، ٢٠٢١ م .
- المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله تعالى وسيرته وأقواله ورحلاته ، تأليف وجمع وترتيب عبد الأول بن حماد الأنصاري ، ط ١ ، السعودية ، ٢٠٠٢ م .
- محاضرات في الادب الاسلامي والاموي ، د. يوسف شحدة كحلوت ، مدرس مساق ، ٢٠٠٩ م .

- محاضرات في علم الاجتماع المعاصر (من الجذور الى الحرب العالمية الثانية) ، عبد العزيز خواجه ، دار الألباب ، ط ١ ، الجزائر ، ٢٠٠٧ م.
- مدخل إلى علم اجتماع المخيال (نحو فهم الحياة اليومية) ، فالنتينا غراسي ، تر. محمد عبد النور ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط ١ ، قطر ، ٢٠١٨ م.
- المرجع في الحرب النفسية دراسات عسكرية ، العقيد مصطفى الدبّاح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ١٩٩٨ م.
- المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م.
- مطر حزيان ، جبّور الدويهي ، دار الساقى ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٦ م.
- المعجم الادبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م.
- المعجم الفلسفي ، مراد وهبه ، دار قباء الحديثة ، القاهرة - مصر ، ٢٠٠٧ م.
- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية والفرنسية ، د.جميل صليبا ، دار الكتب اللبناني ، ط ١ ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٢ م.
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش ، منشورات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، ط ١ ، د.ت .
- المعجم الموضوعي لعلوم التربية ، احمد اوزي ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط ١ ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٦ م.
- معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، ط ٤ ، ٢٠٠٤ م.
- معجم مصطلحات التحليل النفسي ، جان برتراند بونتاليس ، تر. مصطفى حجازي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٩ م.
- معجم مصطلحات علم النفس (عربي ، إنكليزي ، فرنسي) ، مدحت عبد الرزاق الحجازي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ٢٠١١ م.
- معجم موسوعي في علم النفس ، نوربير سيلامي ، تر. وجيه اسعد ، منشورات وزارة الثقافة ، سورية - دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠١ م.
- المفارقة القرآنية (دراسة بنية الدلالة) ، د. محمد العبد ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٩٤ م.

- المفارقة في الشعر العربي الحديث (أمل دنقل - سعيد يوسف - محمود درويش أنموذجاً، ناصر شبانة، دار فارس للنشر والتوزيع، ط ١، الأردن - عمان، ٢٠٠٢م .
- المفارقة والأدب (دراسة في النظرية والتطبيق) خالد سلمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٩م .
- مفهوم الجرائم ضد الإنسانية في القانون الدولي، وليم نجيب نصار، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، بيروت - لبنان، ٢٠١٤م .
- مقدمات ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، د. مجدي حمّاد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، بيروت، ١٩٩٤م .
- مملكة الوندال في شمال أفريقيا، محمود سعيد عمران، دار المعارف، ط ١، مصر، ١٩٨٥م .
- المنجد في اللغة والإعلام، لويس معلوف، دار المشرق للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦م .
- مهزلة العقل البشري (محاولة جديدة في نقد المنطوق القديم لا تخلو من سفسطة)، د. علي الوردي، دار ومكتبة دجلة والفرات، ط ١، بيروت - لبنان، د.ت .
- موسوعة الأساطير العالمية، حنا عبود، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط ١، ٢٠١٨م .
- موسوعة الجنس والحب من الطفولة إلى الكهولة، مهجة الزايد، دار الملتقى للنشر والتوزيع، ط ١، دمشق - سوريا، ٢٠٠٦م .
- موسوعة الروائع و الحكم والأمثال والأقوال المأثورة، منير عبود، شبكة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، د.ت .
- موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط ١/٢٠٠٥م .
- موسوعة المصطلح النقدي (المفارقة وصفاتها)، د. سي ميويك، تر. د. عبد الواحد لؤلؤة، دار المأمون، ط ١، ١٩٧٨م .

- موسوعة أنواع الحروب ، الفريق الركن الدكتور محمد فتحي أمين ، الأوائل للنشر والتوزيع ، ط ١ ، سورية - دمشق ، ٢٠٠٦ م .
- موسوعة تاريخ الأديان (الشعوب البدائية والعصر الحجري) ، تر . غادة جاويش ، دار التكوين ، ط ٤ ، ٢٠١٧ م .
- موسوعة تاريخ أوروبا (عصر النهضة) ، مفيد الزيدي ، دار إسامة للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٣ م .
- موسوعة لالاند الفلسفية ، أندريه لالاند ، تر . خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، ط ٢ ، باريس ، ٢٠٠١ م .
- موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب ، د. فريد جبر ، د . رفيق العجم ، د. سميح دغيم ، د. جيراري بهامي ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٦ م
- المياه ، هدى بركات ، دار النهار للنشر ، ط ٦ ، بيروت ، ١٩٩٨ م .
- النرجسية (دراسة نفسية) ، د. بيلا غرانبرغر ، تر. وجيهة أسعد ، منشورات وزارة الثقافة ، ط ١ ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٠ م .
- النصّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق (دراسة) ، عدنان بن ذريل ، دار اتحاد الكتاب العرب ، ط ١ ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٠ م .
- النص والسلطة والمجتمع ، (المتافيزيقيا . العلم . الايدلوجيا) ، عبد السلام ابن عبد العالي ، ط ٢ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- نظرية الرواية وتطورها ، جورج لوكاتش ، تر . نزيه الشوفي ، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، دمشق - سوريا ، ١٩٨٧ م .
- النقد التطبيقي التحليلي ، عدنان خالد عبد الله ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .
- نيتشيه (خُلاصة الفكر الأدبي) ، عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٥ ، ١٩٧٥ م .
- واقع الحرب وانعكاساتها على الطفل (حالة خاصة : الطفل اللبناني) ، د. كريستين نجار ، جرس برس ، طرابلس - لبنان ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- يا مريم ، سنان أنطوان ، منشورات الجمل ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠١٣ م .

الرسائل و الاطاريح :

- التمثلات الاجتماعية للعمال حول طلب العمل داخل المؤسسة ، بلغيت سهيلة ، رسالة ماجستير ، جامعة عبد الحميد بن بتاديس ، كلية العلوم الاجتماعية / علم الاجتماع ، ٢٠٢٠م .
- التمثلات الاجتماعية للمعرفة المدرسية لدى التلاميذ الذين ظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة (دراسة ميدانية لتلاميذ السنة الثانية ثانوية ولاية وهران ومستغانم نموذجاً) ، بن ملوكة شهيناز ، اطروحة دكتوراه ، جامعة وهران / قسم علم النفس ، الجزائر ، ٢٠١٥ م .
- التمثلات الثقافية في رواية اعترافات امرأة لعائشة بنور ، خديجة بولخراس ، رحمة عزيز ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات / قسم اللغة والادب العربي ، جامعة العربي بن مهدي - أم البواقي - الجمهورية الجزائرية ، ٢٠٢٠ م .
- تمثلات الحرب الأهلية في الرواية العربية ، نادية غضبان محمد ، اطروحة دكتوراه ، جامعة المستنصرية / قسم اللغة العربية ، العراق ، ٢٠١٩ م .
- تمثلات الواقع في الرواية النسوية العراقية داخل وخارجه بعد عام ٢٠٠٣م - دراسة موازنة - ، عطاء الزاملي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية - قسم اللغة العربية، جامعة كربلاء ، ٢٠٢٠م .
- توظيف المرجعية في الرواية العراقية ، عبد الامير مطر فيلي ، اطروحة دكتوراه جامعة بغداد ، كلية الاداب / قسم اللغة العربية ، العراق ، ٢٠٠٨ م
- جرائم تخريب الاموال العامة في قانون العقوبات في العراق ، نبراس جبار خلف محمد الحلفي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد - كلية الحقوق - قسم القانون الجنائي ، العراق ، ٢٠٠٨م .
- سيرة بني هلال (دراسة سردية) ، وليدة طالب ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب / قسم اللغة العربية ، الجزائر ، ٢٠١٠م .
- المسؤولية الجزائرية عن الاتجار بالأعضاء البشرية ، فاطمة صالح الشمالي ، رسالة ماجستير ، جامعة الشرق الأوسط ، كلية الحقوق - قسم القانون، الأردن ، ٢٠١٣م .
- النخيل والتمور في العراق (تحليل جغرافي لزراعة النخيل و إنتاج التمور وصناعتها وتجارتها) ، عبد الوهاب الدباغ ، مطبعة الأمة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٥٦م .

الأبحاث والمقالات :

- الآثار الاجتماعية والاقتصادية والبيئية الناتجة عن الحروب على العراق للفترة ١٩٨٠ - ٢٠١٥ ، جنان شاكر الراوي وآخرون ، مجلة العلوم البيئية ، معهد الدراسات والبحوث عين الشمس ، مج / ٤٥ ، ج / ٢ ، مارس ٢٠١٩م.
- الاغتراب النفسي وعلاقته بالاتزان النفسي لدى ممارسي المثلية بمدينة الخرطوم بحرى ، اشرف محمد أحمد علي ، مجلة البحوث كلية الآداب، قسم علم النفس ، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الآداب ، مج / ٣١ ، العدد ١٢٢ ، يوليو / ٢٠٢٠م.
- آلية التمثيل الكولنيالي للشرق، محمد عطوان، مجلة الكوفة- العراق، دار التنوير- بيروت، السنة ٢، عدد ٤/خريف ٢٠١٤م.
- البطل في الآداب العالمية (من الاسطورة الى الحداثة) ، نسيمه زمالي ، (مقال) مجلة الذاكرة ، جامعة تبسة، عدد / ٥ ، ٣١ / كانون الاول / ٢٠١٥م .
- التمثلات الاجتماعية لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية ، د. كوثر السويسي ، المجلة العلمية لعلم النفس مجلة علمية محكمة ، مج/ ١ ، العدد / ١ ، صيف ٢٠١٦ م .
- التناص في رواية (أموات بغداد) لجمال حسين علي ، رحاب حسين عبد فرهود ، مجلة الباحث ، العدد ٣ ، ج ٢ ، مج ٤٢ .
- جريدة الثورة حزب البعث الاشتراكي ، قانون جديد ، سعيد قاسم حمودي ، العدد / ٣٩١٧ ، ١٦ / شباط ، ١٩٨١ م .
- ديوان زفر بن حارث ، زفر بن حارث الكلابي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، تح .نوري حمودي القيسي ، مج / ٣٥ ، ج / ١ ، كانون الثاني / ١٩٨٤ م .
- سركون بولص (الآشوري التائه) أكتب باليد التي هجرتني ، محمد ايت لعميم، مجلة البيت ، العدد الرابع ، ١ / ابريل / ٢٠١٤م

- ظاهرة الإلحاد (أسبابها آثارها سبل الوقاية منها)، محمد عبد المنعم عبد السلام ، مج/١ ، عدد ٣٥ ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية
- عملية التخريب كيف تقوم بالتخريب بأحكام وتدمر أمة ؟ ، بكر أبو بكر ، مركز الانطلاقة للدراسات (الدراسة الثامنة) فلسطين ، ٢٠١٧ م.
- القانون الدولي الإنساني مقدمة شاملة ، نيلس ميلز ، اللجنة الدولية للصليب الأحمر ، ١/ آب / ٢٠١٦ م .
- اللغة في الرواية (تجليات الروح للكاتب محمد نصار) ، عبد الرحمن حمدان ، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ، غزة - فلسطين ، مج / ١٦ ، العدد ٢ ، يونيو / ٢٠٠٨ م .
- مسائل الجوار والحماية عند البادية في الجزيرة العربية ، قاسم بن خلف الرويس ، ثقافة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٩ م .
- المفارقة بنية الاختلاف الكبرى ، د. سناء هادي عباس ، مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة المستنصرية ، عدد/ ٤٦ ، ٢٠٠٦ م .
- المفارقة عند جيمز جويس و اميل حبيبيتي ، سامية محرز ، عدد ٢/ ، مجلة عيون المقالات ، ١/ ابريل / ١٩٨٦ م .
- مفهوم التناس في النقد العربي من الأصول إلى الآفاق ، محمد بَرّونة ، مجلة دفاتر اللغويات والتعليم ، العدد ٣ ، ٢٠١٠ م
- موسوعة المصطلح لنقدي ، المفارقة ، نبيلة إبراهيم ، مجلة فصول ، عدد ٣-٤ ، مصر ، ١٩٨٧ .
- هاجس الخوف في الرواية الخليجية ، الرشيد بو شعير، (بحث) ، مؤتمر ثقافة الخوف ، عمان - الأردن ، ٢٤ - ٢٦ / نيسان / ٢٠٠٦ م.

المواقع الالكترونية :

- التابوهات المحرمة (المسكوت عنه) كما تعكسها الرواية المصرية - شهاب الدين نموذجاً - ، د. اميمة منير جادو ، دنيا الوطن ، تاريخ النشر ١٦/٣ / ٢٠٢٠ .
- التمثلات الاجتماعية للفلسفة كمادة تدريسية ، إبراهيم الوثيقي ، منتدى العمق المغربي ، ٢٧/ نوفمبر / ٢٠١٢ ، الموقع الالكتروني ، <https://al3omk.com/702613.html>

- الحرب والسلام ملحمة تولستوي الخالدة ، زيدون خلدون جميل ، جريدة القدس العربي ،إلياذة العصور الحديثة، الموقع الالكتروني <https://www.albayan.ae/books/eternal-books>
- خطوط الإمداد .. شرايين حياة الجيوش ، ٢٧ / ١٢ / ٢٠١٥ ، الجزيرة وكالات،الموقعا لالكتروني، <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/>
- شبكة اضاءات ،الطاغية والمفكر : كيف وعض علي الوردي " السلطان صدام " ؟ ، احمد متاريك ، ١٢ / ٨ / ٢٠٢٢ م ، الموقع الالكتروني،<https://www.ida2at.com>
- شبكة البيان ، الحرب والسلام (إلياذة العصور الحديثة) ، الموقع الالكتروني <https://www.albayan.ae/books/eternal-books>
- شبكة الجزيرة ، الأديب العراقي نجم والي: أمسك بالأماكن المهمشة التي تمتلك تاريخًا سريع الزوال ،الموقع الالكتروني <https://www.aljazeera.net/culture>
- شبكة النور للدراسات ، مقابلة / د. قاسم حسين صالح ، مجلة سفيل الكردية، حاوره فيصل خليل ، ٨ / ١٠ / ٢٠١٣ م .
- الطنطورية: الرواية التي أعادتها مجازر غرة الى المواجهة ، الجزيرة ، الموقع الالكتروني <https://www.aljazeera.net>
- قراءة في أدب غسان كنفاني، محمد سالم ، الجزيرة ،الموقع الالكتروني <https://www.aljazeera.net/blogs/2019/2/9>
- مقابلة تلفزيونية ، شبكة الإعلام العراقي، ١٧ / ٩ / ٢٠١٩ ، الموقع الالكتروني <https://www.youtube.com/watch?v=NtuwoFK1tMY>
- ويبيكديا موسوعة حرة ، عقدة الأخ ، الموقع الالكتروني <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
- ويبيكديا موسوعة حرة ، مقال ، نجم والي ، الموقع الالكتروني / <https://ar.wikipedia.org/wiki>
- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ، عقدة فايتون ، الموقع الالكتروني ، <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

Abstract:

Nejem Wali is considered one of the most significant names in the Iraqi narration map. Despite his travelling outside Iraq since the beginning of the eighteenth of the last century, his novels and his product stayed interested in his country concerns. His product conveyed an image for the war that Iraq lived. Hence, my choice for "The War Representations of Nejem Wali's Novels" was a title for the current study, it has seriousness in following up.

The study adopted the analytical descriptive approach, as well the psychological approach was used to analyze the narratives' material and to state the representations.

It was appropriate to divide the study into a preface and three chapters. The preface was a brief about the novelist's life, the representation term, and wars influence on literature.

The first chapter was devoted to the psychological terrorism. The first section was about the psychological complexes. The second section tackled the aggressiverepresentations. The second chapter stated the destructive cyber culture in warrepresentations. The first section mentioned the destructive policies while the second section included the behavioral violations.

The third chapter was a starting point to state artistic representations for war. The first section expressed the linguistic

representations for war, whereas the second section contained intertextuality. The third section was about contrast.

Later, the conclusion came to state the results that the study reached. A list of references and bibliographies, and an abstract in English.

However, I would like to express my thanks and gratitude to my supervisor Prof. Dr. Abdul Amear Muter Faily for his help, cooperation and right notes to reach the safe side.

Finally, I hope I have succeeded in my current research, however, it is my first step in the path of wide knowledge.

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic



The War Representations of Nejem Wali's Novels

by:

A Thesis Submitted to the Council of College of Education for
Human Sciences / Kerbala University as a Partial Fulfillment for
the Requirements of Master Degree in Arabic and its Literature

The supervisor:

2024 A.D.

1445 H.